



مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الثالث - المجلد الثامن والاربعون

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



مجلة المجمع العلمي

الجزء الثالث – المجلد الثامن والاربعو

بغـــداد

١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م



شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة خرى.

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي المجمع العلمي ـ ص . ب. (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ـ ٩٦٤

E-mail : aos@uruklink.net

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

الفهـــرس

الموضــوع	الصفحة

الجامعات العربيـــة ـ الواقـــع والطموح (*)

الدكتور ناجح الراوي
عضو المجمع العلمي

الملخـــص

تشير الدراسة الى واقع الجامعات العربية المتمثل بزيادة عدد الطلبـة الملتحقين بالتعليم العالي في الوطن العربي على حساب نوعيـة التعليم . وان أهداف الجامعة تكمن بنقل المعرفة وتوليدها وخدمة المجتمع . إلا أن توليـد المعرفة ما زال قاصراً بسبب النقص في أعضاء الهيئة التدريسيـة وظـروفهم المادية والاجتماعية . وتستعرض الدراسة أوضاع التعليم العالي في ظل نظام العولمة ، وتقدم بعض المقترحات للارتقاء بمستوى التعليـم الجـامعي في الوطن العربـي .

١ ـ المقـدمة :

تعتبر الجامعات مركز الإشعاع الفكـري والاجتماعـي والحضاري ، لاسيما في الدول النامية . ونظراً لانتشار التعليم في الوطن العربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين،فقد زاد الإقبال على التعليم العالي بشكل ملحوظ . فكان عدد طلبة التعليم العالي في الوطن العربي ثلاثة ملايين طالب عام ١٩٩٥ ينتمون الى ١٥٢ جامعة[1] تطور الى ٥ر٣ مليون ينتمون الى ١٨٤ جامعة عام ١٩٩٨ ومن المتوقع[2] أن يصل عدد الطلبة الى ٢ر٦ مليون طالب عام ٢٠٠٥م.

ومع ذلك فان نسبة عدد الخريجين من الجامعات الى عدد السكان فـي الأقطار العربية لايزال أقل منها في الدول المتقدمـة نظـراً لتراكـم تكوين رأس المال البشري في الأخيرة . وان مراكز البحث العلمي والدراسات العليا

* محاضرة الافتتاح في المنتدى الفكري حول المواصفات العالمية للجامعـات الذي اقامته كلية الحدباء الجامعة والمنظمـة العربية للتنميـة الادارية ـ الموصل ٢٥ نيسان ٢٠٠١ .

ي وطننا العربي ما زالت محدودة وقاصـرة عن توليـد المعرفة ، مما يتطلب دراسة الواقع ووضع الحلول الصائبـة للنهوض بالتعليم العالـي والبحث العلمي لمواكبة التحديات ا تي تجابه أمتنا ولكي تكـون جامعاتنا قـادرة على تنشئة جيل يتحمل مسؤولياته الجسام • فالجامعات هي المصانع التي تصقل مواهب الشباب وتطورها وتبني شخصيتهم وتزودهم بالعلم والمعرفة •

٢ ــ واقع الجامعات العربية

تتأثر الجامعات بالبيئة التي تتواجد في أجوائها ، وطبيعة النظـام الذي تعيش في كنفه وفلسفة ذلك النظام • ان أركان الجامعة يعتمد على الأستـاذ ، والمنهج ، والطالب وإن استعراض واقع الجامعات في الوطن العربي يشـير إلـى ما يأتـي :

٢ ــ ١ ــ النظام الجامعي :

شهـد الوطن العربي أولـى الجامعات في العالـم أيام النهضـة العربية الإسلامية فكان لجامعات القرويين والأزهر والمستنصرية ومعهـد الـزيتونة والمدرسة النظامية تقاليد جامعية تنسجم مع تراث نابع من تجربتها وحضارتها، وبعد قرون من الانقطاع تأسست الجامعات والكليات العربية الحديثة منـذ منتصف القرن التاسع عشر ، وبدلا من استلهام أسس جامعاتنـا القديمـة وتراثها وتطوير ذلك لمواكبة التقدم العلمي ، انغمست جامعاتنا بنقـل صور وتجارب الغرب بشكل مجتزأ ، ففقدت هويتها الخاصة • فتأثـرت جامعـات المغرب والجزائر وتونس بنظام الجامعات الفرنسية بما في ذلك لغة التعليم • فيما أخذت جامعات السودان والأردن والعراق ودول الخليج العربي خليطاً من النظام الإنجليزي والأمريكي •

ومن الملاحظ اختلاف النظام الجامعي في القطر الواحد أحيـانا بـين النظام السنوي والنظام نصف السنوي ونظام المقررات •

٢ ـ ٢ ـ هـدف الجامعـة :

تتحمل الجامعات في عهد تسود فيه فاعلية العلم والتقانة ، العبء الأكبر في تكوين رأس المال البشري والحفاظ على ثقافة الأمة وتجديد حيويتها •

ان السمات الجوهرية التي ترافق القرن الحادي والعشرين تشمل[٣،٤]: سيادة العلم ، والتقانة فائقة التطور ، والإيقاع الخاطف للتطور ، والمنافسة الحادة ، والإنتاج الراقي النوعية ، والكفاءة الإنتاجية العالية • ويقوم التعليم العالي والبحث العلمي بدور محوري في تكوين هذه السمات • ولكي تواكب الأمة العربية التقدم العـالمي لابـد لهامن إصلاح جذري وحيـوي لتعليمها العالي •

ويمكن تصور أهداف الجامعة في الشكل رقم (١) بما يأتي :

٢ـ٢ـ١ـ نقل المعرفة : وهو ما يتـم بكفاءة نسبية في جامعاتنا عـن طريق التدريس ، بإلقاء المحاضرات على الطلبة لتزويـدهم بالمعـارف والمهـارات •

٢ـ٢ـ٢ـتوليد المعرفة : عن طريق البحث العلمي الذي ما زال محدودا في جامعاتنا العربية ، ويشير الدكتور صبحي القاسم[٣] إلى أن مجمل الوقت المخصص للبحث والتطوير بالنسبة للتدريسيين لا يـزيد عـن ٦٪ •

٢ـ٢ـ٣ ـ خدمة المجتمع : من أهداف الجامعات في الدول المتقدمة تقديـم خدماتها الاستشارية والإرشادية وتطبيق نتائج الأبحـاث لخدمة المجتمـع •

وبالرغم من أن الجامعات العربية ترفع شعار الجامعة والمجتمع منذ أكثر من ربع قرن ومع التطور الاجتماعي الذي تحدثه الجامعات في محيطها فما زال الهدف محدود الفعالية وغير مستغل كما ينبغي في أغلب الأقطار العربية •

٢ ــ ٣ ــ الطلبة والتدريسيون :

٢ــ٣ــ١ــ الطلبة : بالرغم من زيادة عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالي فان نسبة الالتحاق ما زالت قليلة مقارنة بالدول المتقدمة • ويوضح الشكل رقم (٢) الذي يقدمه الدكتور نادر فرجاني[٥] اعتمادا على إحصائيات اليونسكو[١] نسبة الالتحاق الإجمالية للبلدان العربية مقارنة بالدول النامية والدول المتقدمة صناعيا • وقد تحسنت نسبة التحاق البنات بالتعليم العالي في السنوات الأخيرة ، حيث بلغت نسبة ٣٨٪ عام ١٩٩٥ كما يوضح الشكل رقم (٣)[٥] • ويبين الشكل رقم (٤) عدد الطلاب الملتحقين بالتعليم العالي لكل ١٠٠ ألف نسمة من السكان للأقطار العربية ، مقارنة بكوريا الجنوبية وهونك كونك لعام ١٩٩٠ • ويشير الدكتور نادر فرجاني إلى ظاهرة عزوف الشباب في دول الخليج العربي عن الالتحاق بالتعليم العالي بسبب توجههم المبكر إلى الأعمال التجارية مما يجعل نسبة البنات الملتحقات بالتعليم العالي عالية (٦٠ــ٧٠٪ للبحرين والكويت والامارات وقطر)[٥] ، ــ الشكل رقم (٥) ــ وان أغلبهن لايلتحقن بعمل بعد التخرج للأسباب الاجتماعية المعروفة•

ان الطلبة ــ لاسيما البنات ــ يتوجهون الى الدراسات الإنسانية أكثر من توجههم إلى اختصاصات العلوم الصرفة والتطبيقية بسبب مستلزمات تلك الدراسة • الشكل رقم (٦) •

٢ــ٣ــ٢ التدريسيون : إن عدد التدريسيين في الجامعات العربية عام ١٩٩٥ بلغ ١٠١٩٠٠ تدريسي منهم ٦١٣٠٠ من حملة شهادة الدكتوراه ، وان ٨٠٪ من العاملين موجودون في نحو ٢٠ جامعة[٢] •

إن أساتذة الجامعات ثروة قومية ومن الأهمية بمكان العناية بها والمحافظة عليها وتشجيعها على أن تكون منتجة • فالدول المتقدمة تعمل على استنزاف العقول من الدول النامية ومنها الدول العربية حيث تشح الرواتب والمخصصات في بعضها والجو الاجتماعي خانق في بعضها الآخر ،

والحريات مكبوتة والجو العلمي مفقود في أغلب الأقطار مما يشجع على هجرة العقول .

ولهذه الأسباب فان الإنتاجية العلمية للأساتذة في الجامعات العربية متدنية وتقتصر في الغالب على البحوث المطلوبة للترقية العلمية .

٢ ـ ٤ ـ المستلزمات المادية :

إن مؤسسات التعليم العالي تتطلب المرونة العالية والإنفاق عليها بسخاء لكي تؤدي دورها بكفاءة وتكون منتجة ومنسجمة مع التقدم العالمي في مجال العلم والتكنولوجيا . وتحتاج الجامعات الى المباني المتنوعة للفعاليات الصفية واللاصفية والى المختبرات والمشاغل (الورش) والمكتبات والحقول ، وإلى القاعات لعقد المؤتمرات والحلقات النقاشية ، والى بناء الأقسام الداخلية المناسبة وإنشاء الحدائق وتوفير الحافلات لنقل الطلبة للسفرات العلمية ، وإلى اصدار المجلات العلمية والصحف الطلابية وغيرها من الفعاليات التي تحتاج إلى الأموال اللازمة لتخريج الطالب المبدع والمفكر . وقد أخذت بعض المؤسسات العلمية الآسيوية كمعهد كوريا المتقدم للعلم والتقانة[٦] وجامعة سنغافورة الوطنية والمعهد الهندي للتقانة[٧] تناهز في مؤشرات الانفاق الإمكانات المتاحة للبلدان المتقدمة . أما في الأقطار العربية فيبين الشكل رقم (٧) تراجع ما يصرف على الطالب في الأقطار العربية بين عام ١٩٩٠ مقارنة بعام ١٩٨٠[٥] . ويعطي الجدول رقم (١) الانفاق على التعليم العالي في الأقطار العربية للسنوات ١٩٨٠ـ١٩٩٣[١] .

ومن الجدير بالذكر أن موازنة جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية السنوية المخصصة للبحث العلمي فقط تتراوح بين ٢ـ٤ مليار دولار[٨] .

٢ ـ ٥ ـ التعليم العالي بين القطاع العام والخاص :

نشأ التعليم العالي الأهلي في الوطن العربي ـ لاسيما في العقد الاخير ـ لمواكبة التحول العالمي الى نظام السوق . ومعروف أن القطاع الخاص يستهدف الربح، وعلى الرغم من القيود التي حددت الأرباح بما لايزيد عن ١٠٪ فقد انتشرت الكليات والجامعات الخاصة من دون توفر الإمكانات العلمية المطلوبة . ويستوعب التعليم الأهلي في الأردن ٤٠٪ من الطلبة عام ١٩٩٦ .

وقد أدت ظروف بعض الأقطار الى فتح أبواب الجامعات الرسمية للتعليم المسائي ـ التجاري ـ بهدف تمويل فعالياتها ، مما قد يؤدي الى وأد التعليم الأهلي قبل أن يفسح له المجال لأن يتطور ويؤدي دوره في العملية التربوية .

إن مؤسسات التعليم العالي الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية كونت نسبة ٦٠٪ في مطلع التسعينات ولكنها تستوعب ما لا يزيد عن ربع الطلبة وأنها تؤدي دوراً أهم نسبياً من المؤسسات الحكومية بالنسبة الى البحث العلمي والحفاظ على المعايير الأكاديمية الراقية وتحظى بدعم مادي وسياسي ومعنوي كبير من الدولة والمجتمع(٥) .

٢ ـ ٦ ـ تقويم كفاءة الاداء :

لاتوجد دراسات دقيقة عن كفاءة الجامعات العربية وأدائها ،ولكن هناك انطباعات عامة عن تدني نوعية الخريجين وتحصيلهم المعرفي وضعف القدرات التحليلية والابتكارية . ان إنتاجية البحوث لاتزال قليلة جداً مقارنة بالجامعات العالمية ، وهناك شعور بعدم الرضى عن الخريجين من قبل الجهات المستفيدة . ويعزى الضعف في المستوى العلمي وكفاءة الأداء الى ما يأتي :

٢ ـ ٦ ـ ١ التوسع الكمي والسريع في أعداد الطلبة الذي لم ترافقه زيادة مناسبة بالتخصيصات المالية والمستلزمات المطلوبة ، وعدم زيادة أعداد التدريسيين بما يناسب ذلك التوسع .

٢ـ٦ـ٢ـ ضف مستوى الطلبة في المراحل قبل الجامعية واستخدام أسلوب التلقين في تلك المراحل واستمراره في مرحلة التعليم الجـامعي •

٢ـ٦ـ٣ـ بطالة الخريجين مما يحد من تشجيع الطلبة •

٢ـ٦ـ٤ قلةرواتب التدريسيين ومحفزاتهم وعدم توفر أجواءالبحث العلمي ومستلزماته •

٢ـ٦ـ٥ـ وجود أعداد كبيرة من حملة شـهادة الماجستـير غـير المؤهلين كأعضاء هيئة تدريسية •

٢ـ٦ـ٦ـ التدخل الإداري في شؤون الجامعات وعدم توفر الحرية الفكرية والاستقلال الأكاديمي وضعف الادارات في كثـير من الأحيـان •

٣ ـ التعليم العالي والعولمة :

العولمة ظاهرة قديمة وجديدة ، لها أهـداف سياسيـة واقتصـادية واجتماعية وثقافية تسعى من ورائها الدول القوية الى السيطرة على العالم • بدأت أميركا تهيء لأخذ دورها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبعد بـروز ظاهرة القطب الواحد على الساحة الدولية ، وانتشار الشركات عابرة القارات (متعددة الجنسية) والمؤسسات العالمية كالبنك الـدولي ومنظمـة حقـوق الإنسانوغيرها التيتسيطر عليهاالولاياتالمتحدةالأمريكية،برزت للعيان ظاهرة العولمة وسيطرة القوى الفاعلة على صعيد رأس المال العالمي •

وهكذا بدأت محاولات الأمركة على صعيد التنظيم الاقتصادي والسياق الثقافـي العـام •

كان هـدف الجامعات الأساسي نقل المعرفة وتوليدهـا ، والاعتـزاز بالتقاليد الأكاديمية ، فأصبح توجهالشركات محـاولة استغـلال الجامعـات بالبحث والتطوير لتنفيذ مآربها بدلا من البحوث الأساسية الأكاديميـة • ان

تحكم السوق في شؤون الجامعات لقاء ما تقدمه الشركات من دعم مالي قد يفقدها استقلاليتها وطابعها المميز كمؤسسات اجتماعية • إن استمرار توجه العولمة يثير التساؤل حول هوية الجامعة نفسها ، وفيما إذا كان ذلك سيؤدي الى الانتقال من ثقافة العلم والمعرفة الى سيادة قيم السوق والمتاجرة[٥] •

إن السياسة الأمريكية تحت غطاء بعض ايجابيات العولمة تحاول طمس الهوية القومية للشعوب بغزوها الثقافي المنظم • وان شعبنا العربي الذي يعتز بقيمه وتراثه الحضاري يجب أن يأخذ الحيطة والحذر ، نظراً لأن انتاجنا المحلي يعتبر هامشياً اذا ما قورن بالدول المتقدمة ، ولكن الدول العربية بوضعها المجزأ غير قادرة على الوقوف ضد التيار الجارف للعولمة ومحطاتها الفضائية ووسائل أعلامها المتقدم •

وتجدر الإشارة الى أهمية تعريب التعليم بكل مستوياته كواجب وطني وقومي والعمل على وحدة الثقافة وتوليد العلم وتطوير الاقتصاد والإسهام في رفد الحضارة الإنسانية بنتاج أمتنا العربية لمواجهة تحديات العولمة الأمريكية •

٤ ـ آفاق المستقبل :

تضم الجامعات الشريحة الواعية من المجتمع ، وعليها تقع أعباء التطور والنهوض الحضاري للأمة • إن حالة التجزئة التي تعيشها أمتنا العربية وحالة الإحباط التي تحيط بالجماهير والمشاكل التي تعاني منها مؤسساتنا الجامعية يجب أن لاتثني الجامعات العربية عن أداء دورها في تخطي المحن والإنتقال الى حالة أفضل • ولكي تقوم المؤسسات الجامعية العربية بدور فعال نرى ما يأتي :

٤ـ١ـ أن تقدم الدول العربية الدعم المادي السخي الذي يساعدها على تخطي الصعوبات ويؤهلها لحالة النهوض • وأن تعطى الجامعات نوعاً من الاستقلال وتكون حرماً آمناً حقا ، بعيداً عن الملاحقات والهاجس الأمني الذي يحوم حول تفكير الأساتذة والطلبة•

٤-٢- أن تقوم الجامعات بإصلاح هياكلها التنظيمية ووضع الشخص المناسب في المحل المناسب ، وتنقية هيئاتها التدريسية واستقطاب حملة شهادة الدكتوراه فقط ، وتأهيل الآخرين أو نقلهم الى مؤسسات الدولة الأخرى ، وتطوير الترقيات العلمية ، وتشجيع الأساتذة وطلبة الدراسات العليا والأقسام العلمية على التنافس من أجل بحوث أكثر عدداً وعمقاً لخدمة المجتمع وحل مشاكله من خلال منح الجوائز والمكافآت والترقيات العلمية .

٤-٣- نبذ طريقة التلقين والحفظ عن ظهر قلب في التعليم . واستخدام طريقة المناقشة والحوار لخلق الطالب المفكر والمبدع .

٤-٤- تطوير المكتبات الجامعية برفدها بأحدث الكتب والمجلات العلمية واستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة كالحواسيب وشبكات المعلومات العالمية (الانترنيت) وتشجيع الطلبة على استخدامها .

٤-٥- تعريب العلوم في مختلف الاختصاصات والاستفادة من مجامع اللغة العربية والمجامع العلمية والتنسيق معها للحفاظ على وحدة الثقافة والهوية القومية أمام موجة العولمة والغزو الثقافي . إن التدريس باللغة العربية يجب أن لايبعد الطلبة عن مواكبة التطور العالمي لأن تعلم اللغاتالعالمية الحية وإتقانها أمر ضروري .

٤-٦- ان التوازن بين الكم والنوع يفرض نفسه في المراحل الأولى للإصلاح الجامعي . وان التأسيس النوعي الجديد أسهل من إصلاح القديم . ان تأسيس جامعات نوعية جديدة تستقطب عدداً محدوداً من الطلبة وتركز على البحث العلمي والدراسات العلياأمر مطلوب، على أن توفر لها كل الإمكانيات والامتيازات لتسهيل مهمتها .

إن تأسيس الجامعات النموذجية والمدن العلمية التي تجمع الجوانب الأكاديمية والخبرة التكنولوجية والإنتاجالصناعي في آن واحد له ما يبرره .

٤-٧- تشجيع المواطنين والمؤسسات والشركات للتبرع ومنح الهبات والوقفيات الى مؤسسات التعليم العالي الرسمية والخاصة عن طريق إعفاء ضريبي مشجع وقيام الجامعات بدورات التعليم المستمر وجذب ملاكات المؤسسات والشركات لتجديد معلوماتهم ومد جسور التعاون معهم •

٤-٨- وضع حد للتعليم المسائي الرسمي وتشجيع التعليم الخاص الملتزم من حيث المناهج والتوجه بعيداً عن النفس التجاري •

٤-٩- التنوع والمرونة بالتعليم العالي للاستجابة للمتغيرات العالمية السريعة، ودراسة فتح الجامعة المفتوحة لتخفيف الضغط على الجامعات ، وذلك بعد تأمين وسائل الاتصالات الحديثة • ودراسة إمكانية الجمع بين العمل والدراسة في بعض الحالات والاختصاصات لاسيما التطبيقية منها •

٤-١٠- إيلاء الفعاليات اللاصفية الاهتمام والرعاية ، واعطاء الطلبة الوقت المناسب للتفكير والتأمل وبناء الشخصية المستقلة •

٤-١١- تفعيل التعاون على المستوى القومي بتبادل الأساتذة الزائرين وعقد المؤتمرات العلمية القومية والتنسيق في البحوث والدراسات العليا وتبادل المطبوعات وإجراء بحوث مشتركة وتوحيد نظم القبول وانتقال الطلبة بين الجامعات العربية وتوحيد الشهادات التي تمنحها الجامعات وطرق الاعتراف بالجامعات والتفكير بجامعات عربية موحدة على غرار جامعة الخليج العربي (في البحرين) لاسيما بالنسبة للدراسات العليا • وتفعيل دور اتحاد الجامعات العربية ، وتحديث الستراتيجيات العربية للتعليم والالتزام بتطبيقها •

٥ ـ الخـــاتمة :

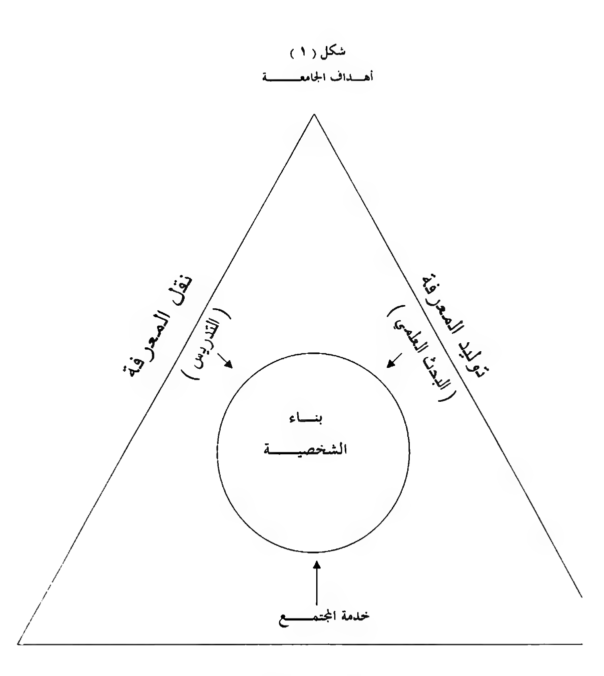
إن فلسفة الجامعة تعتمد على فلسفة النظام الحاكم ، وان أمتنا العربية المجزأة إلى أقطار تحكمها أنظمة مختلفة أغلبها رجعية متخلفة • فالأمة العربيـــة تمر بمرحلة خطيرة من تأريخها حيث لا مكان للدول الصغيرة الضعيفة في عالم التكتلات العالمية والاتحاد الأوربي وظام التجـارة العالمية الحـرة • وعلى الحكومات العربية أن تحل خلافاتها وتنسق جهودها في سوق عربية مشتركة وحركة ثقافية وعلمية تؤمن وحدة الفكر •

والمدرسة هي المسؤولة عن تربية الأجيال ، ولكن المعلم والمدرس الأداة هما نتاج الجامعة، وكذلك الطبيب والمهندس والقاضي والزراعي والمحاســب وغيرهم ، فالجامعة مسؤولة عن بناء شخصية الإنسان وبالتالي فان اصلاحهـا هو الخطوة الأولى لإصلاح المجتمع •

لقد انتشرت الجامعاتفي وطننا العربي ، والحاجة الى هـزة جـذرية لإصلاح الجامعة بما يؤهلها لتربية جيل جديد وبنائه ، قـادر على تحمـل مسؤوليات المرحلة والتحديات التي تجابه أمتنا العربية لتأخذ مكانتها المرموقة بـين الأمـم ••

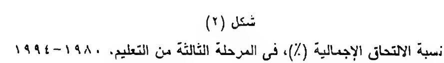
المصـــادر :

١ ـ اليونسكو ـ الكتاب الاحصائي السنوي ، ١٩٩٦ م .
٢ ـ صبحي القاسم «نظم البحـث والتطوير في البلدان العربيـة » : آفـاقها وانجازاتها . ـ ورقة ـ مقدمة لاعتمادها في المؤتمر العالمـي للعلـوم ـ اليونسكو حزيران ـ ١٩٩٩م .
٣ ـ نادر فرجاني « الامكانات البشرية والتقانية العربية» : المستقبل العربي ـ العدد ٢٥٢ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت . ـ شباط ٢٠٠٠م .
٤ ـ ناجح الراوي «المدخل العلمي والتقني للوحدة العربية» : وقائـع نـدوة الوحدة العربية : الواقع والمستقبل منشورات المجمع العلمـي ، بغـداد ـ أيـار ٢٠٠٠م .
٥ ـ نادر فرجاني « مساهمة التعليم العالي في التنمية في البلدان العـربية » :ـ المؤتمر الاقليمي العربي حول التعليم العالي مكتب اليونسكـو الاقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت ـ آذار ١٩٩٨م .
٦ ـ ناجح الراوي « كوريا الجنوبية والتنمية » : مجلة المجمع العلمي ـ المجلد السابع والاربعون الجزء الثالث . بغداد ـ ٢٠٠٠م .
٧ ـ ناجح الراوي « التقانة والتحديث في تجـارب العالم الثالث » : مقبـولة للنشر ـ مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية بـيروت . ـ ٢٠٠١م .
٨ ـ ميشال أده «البحث العلمي في النزاع العربي الاسرائيلي» : محاضرة ، ـ المؤتمر العربي الخامس للاستخدامات السلمية للطاقة الذرية بـيروت . تشرين الثاني ٢٠٠٠م .



شكل (١)
أهـــداف الجامعـــة

استشارات وتطبيق المعرفة



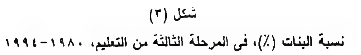
شكل (٢)

نسبة الالتحاق الإجمالية (٪)، فى المرحلة الثالثة من التعليم. ١٩٨٠-١٩٩٤

٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
٠

١٩٨٠ ١٩٨٥ ١٩٩٠ ١٩٩٥

البلدان المصنعة —○— البلدان النامية ··■·· البلدان العربية —◆—



شكل (٣)

نسبة البنات (٪)، فى المرحلة الثالثة من التعليم، ١٩٨٠-١٩٩٤

٦٠
٥٥
٥٠
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠

١٩٨٠ ١٩٨٥ ١٩٩٠ ١٩٩٥

البلدان المصنعة — البلدان النامية — البلدان العربية

شكل (٤)

عدد الطلاب الملتحقين بالتعليم العالى لكل ١٠٠ ألف من السكان،

فى البلدان العربية وكوريا وهونج كونج، ١٩٩٠

٥٠٠ ١٠٠٠ ١٥٠٠ ٢٠٠٠ ٢٥٠٠ ٣٠٠٠ ٣٥٠٠ ٤٠٠٠

شكل (د)

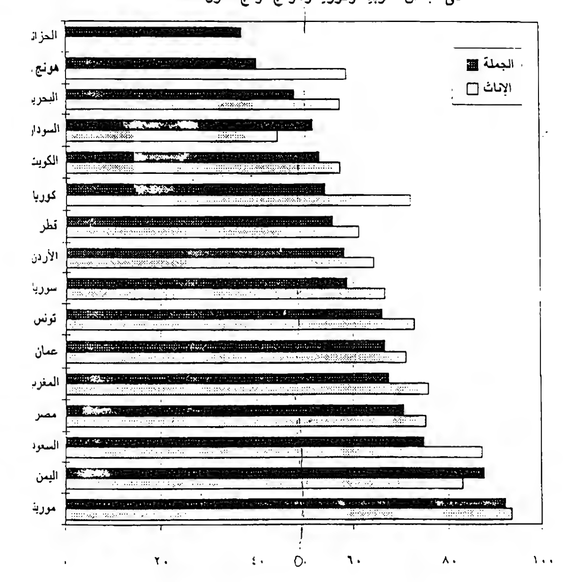
نسبة الإناث بين طلبة التعليم العالى (٪)، فى البلدان العربية وكوريا وهونج كونج، ١٩٩٥/٩٤

اليمن
موريتانيا
العراق
كوريا
سوريا
المغرب
مصر
الجزائر
هونج كونج
تونس
ليبيا
السعودية
لبنان
الأردن
عمان
البحرين
الكويت
الإمارات
قطر

٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠

شكل (٦)

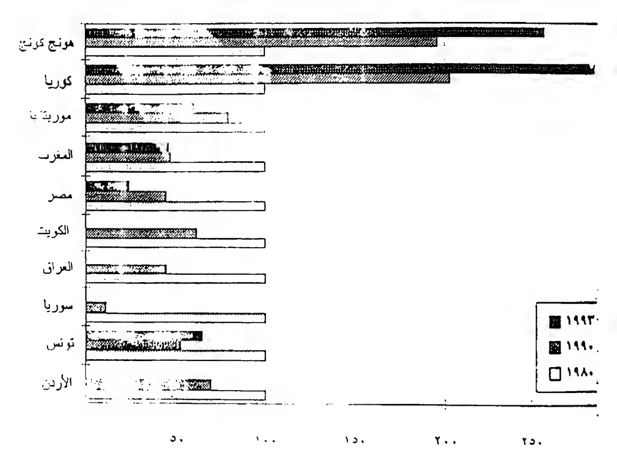
نسبة طلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربية فى التعليم العالى، فى البلدان العربية وكوريا وهونج كونج، حول ١٩٩٠



شكل (٧)

الأرقام القياسية للإنفاق العام الجاري على التعليم العالى (بالدولار) للفرد من السكان

(بالأسعار الثابتة ١٩٨٠=١٠٠)



جدول (١)

الإنفاق الجارى على التعليم العالى (بالدولار) للفرد من السكان

(بالأسعار الجارية)، ١٩٨٠-١٩٩٣

البلد	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٣
الأردن	١٣,٣٤	١٦,٠٤ [١]	
الإمارات			
البحرين			
تونس	١٢,٨٤	١٤,٦٢	٢١,٦٣
الجزائر	١٩,٨٧		
السعودية			٩٠,٥٣ [٣]
السودان	٣,٨١		
سوريا	١٤,٠٣ [٧]	١١,٤٤ [٧]	
الصومال			
العراق	٢٥,٦٧ [٧]	٢٤,٩٣ [٢]	
عمان		١٠,٥٥	٨,٢٨
قطر			
الكويت	٩٠,٥٦	٦٦,٠٦ [١]	
لبنان			
ليبيا			
مصر [٥]	٥,٤٥	١٣,٩٥ [١]	٨,٥١ [٣]
المغرب [٦]	٨,٤٦	٧,٩٨	٨,٨٠ [٣]
موريتانيا	٢,٩٣	٥,٤٢ [٦]	٥,٥٦ [٤] [٦]
اليمن			
كوريا	٢,٩٤	١٠,٥٦	١٧,٨٩
هونج كونج	١٩,٢٥	٧٤,٢٠ [١]	١١٣,٦٣ [٢]

[١] بيانات ١٩٨٩
[٢] بيانات ١٩٩١
[٣] بيانات ١٩٩٢
[٤] بيانات ١٩٩٤
[٥] لا يشمل الإنفاق على الأزهر
[٦] إنفاق وزارة التعليم فقط
[٧] يشمل الإنفاق الرأسمالى

المصدر: اليونسكو، الكتاب الاحصائى السنوى، ١٩٩٦

اتجـاهات في الاشراف التربوي

الاستاذ حكمة عبدالله البزاز

الملخص :

ما زال قطاع الاشراف التربوي جزءاً من مدخلات العمليـة التربويـة وعنصرا مهماً من عناصرها لم يولَ الاهمية التي هو جدير بها على الرغم من أهميته في تحسين العملية التربوية ـ توجيها وتنفيذاً وتقويماً ـ كمـا لا تزال بعض اتجاهاته ولاسيما الحديثة منها لم تتضح لدى الكثير من العاملـين في الحقل التربوي .

ومن أجل هذا فقد سعى الباحث الى محاولة الاسهـام في سد هـذا الجانب مذكراً بجذوره التاريخية فضلا عن أهميته وضرورته للعملية التربوية، ومستعرضا جـانبا من جوانب تطوره النـوعي في القطـر العراقي ، ومن ثم التعريف بأهم اتجاهاتهالحديثة التي يمكن الافادة منها في تصحيـح مساره وفي تحسين أدائه وزيادة فاعليته وتنويع اساليبه .

تمهيـد :

الاشراف التربوي ، نظرة في نشاته :ـ

تشير الدراسات التاريخية والتربوية الى ان العرب قد عرفوا (الاشراف) أو (التفتيش) باسم (الحسبة) والمشرف أو المفتش (المحتسب) ، وكـان له مهام كثيرة ومتنوعة بتنوع الحياة المحلية انذاك حتى قيل انها تمتد لتشمـل أكثر من سبعين وجهاً من وجوه النشاط الاقتصادي والاجتماعي آنذاك[1] .

وكان لمنصب المحتسب ما للقضاء من أهمية ومكانة ، فقد كان تعيـين المحتسب وأسلوب عمله يتناسب ومكانته الاجتماعيـة وأهميـة وظيفتـه

(١) انظر محمد بن احمد القرشي ، معالم القربة في احكام الحسبـة ، دار الفنون كيمبرج ، ١٩٢٧ ، ص٢ .

فالمحتسب يجب (أن يكون حراً وبالغا •• عاقلا •• ذا رأي وصرامة ، يعمل بما يعلم ، ولايكون قولهمخالفا لعمله •• عفيفاً متورعا عن قبول الهدية •• شيمته الرفق ولين القول •• وطلاقة الوجه •• وسهولة الاخلاق عند أمره الناس ونهيه ، فان ذلك أبلغ في استمالة القلوب وحصول المقصود)[٢] •

وكان القطاع التربوي واحداً من القطاعات المهمة التي كانت تغطيها نشاطات المحتسب حيث كان من مهامه التأكد من سن مؤدبي الصبيان (المعلمين) وخلقهم وطريقة تدريسهم وأسلوب معاملتهم للصبيان الذين يعلمونهم •

وقد تم تطبيق أسلوب المحتسب انطلاقا من مسؤولية الدولة الاسلامية في تطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث تم تخصيص موظفين خاصين في الدولة مهمتهم تنفيذ هذا الامر بتكليف من ولاة الامور • وعلى هذا الاساس تعد الحسبة احدى وظائف الدولة أو احدى الولايات أي السلطات بالتعبير الحديث كولاية القضاء وولاية المظالم فهي إذن رقابة ادارية تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين في مجال الاخلاق والدين والاقتصاد أي في المجال الاجتماعي بوجه عام تحقيقا للعدل والفضيلة على وفق المبادىء المقررة في الشرع الاسلامي والاعراف المألوفة في كل بيئة وزمن •

وحدد ابن تيمية مهمة المحتسب بقوله (وأما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم)[٣] •

وعلى كل حال فالمحتسب في تأريخنا العربي الاسلامي يقابله المفتش أو المشرف التربوي في يومنا هذا وان كان عمل المحتسب أكثر سعة إلا أنه يبقى ذا مكانة رفيعة وشأن مهم لأهمية مايقوم به في كلا الحالتين •

---

(٢) المصدر السابق ، ص ٧ •

(٣) انظر : محمد مبارك ، الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية ، دار الفكر ، لبنان ، ص ٧٢–٧٤ •

واذا التفتنا الى الغرب فاننا نجد أن التفتيش عندهم كان يقوم به الكهنة ، ذلك أن التعليم بمجموعه ودرجاته كان واقعا تحت اشراف الكنيسة المباشر فقد حظيت احدى مدارس زوريخ سنة ١١٦٩ بأول زيارة يقوم بها كاهن ، كما تشير الى ذلك بعض الدراسات(٤) اذ كان المفتش هو الذي يهيىء البرامج وينصب المعلمين والمديرين أو يطردهم ويسرحهم • وكان الغرض من زيارته التعرف على صفات المعلمين ومدى توافقها مع أهداف الكنيسة وآرائها •

وهذا لايختلف عما كان يمارس في الولايات المتحدة إذ ترسل المحاكم بعض المختارين لمراقبة المعلمين بغية التأكد من توافر صفات معينة فيهم(٥) •

ويمكن القول إجمالا ان وظيفة (المفتش) وبغض النظر عن التسميات ومن يقوم بها ، كان تمثل سلطة تنفيذية مركزية الى حد ما ورقابية في أهدافها ، فردية في اجراءاتها ، يتمتع صاحبها بمركز اجتماعي وديني أحيانا •

وعلى مستوى الوطن العربي فقد ورث النظام التربوي مفاهيم التفتيش وأهدافه مما افرزته الجذور التاريخية والمفاهيم والاتجاهات الغربية الانكليزية والفرنسية كجانب مما تأثرت به الانظمة التربوية العربية بشكل عام ، ويمكن القول أن أغلب الدول العربية قد التفتت الى التفكير والاهتمام بنظمها التربوية وادارتها التعليمية أهدافا وأسلوباً بعد حصولها على الاستقلال ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وامتداداً الى الوقت الحاضر • وكان الاشراف التربوي بوصفه جزءاً من العملية التربوية قد نال اهتماما متميزاً في هذا المجال •

---

(٤) انظر : خالد قوطرش ، التفتيش في التعليم ، مجلة المعلم العربي ، العدد الاول ١٩٥٢ ، دمشق ، ص ٢٩ •

(5) Monro, Walters., "ed", Encyclopedia of Educational Research the Macmillan company NewYork, 1956, p. 1371.

ويمكن القول أن هذا التميز في الاهتمام قد تولد عن الاهتمام بالتعليم عامة والتعليم الابتدائي خاصة بوصفه القاعدة الاساسية للعملية التربوية فضلا عن الاهتمام بالمعلم بكونه عنصراً أساسيا من عناصر هذه العملية فضلا عما أفرزته المؤتمرات والندوات المتخصصة العربية مما عكس نفسه في تطوير هذه الاجهزة الاشرافية . إلا أنها بقيت تختلف بين هذا القطر وذاك تبعاً لفلسفة التعليم القطرية ورؤية المسؤولين عنه وتأثرهم كما قلنا بالانظمة التربوية الغربية ولاسيما التقليدي منها . وكان ما زال هذا الاختلاف بيناً في بعض أهدافه وفي سعة مهماته وفي التكوين الاداري له كما في صلاحياته وأساليبه بل في تسمياته حيث يطلق بعضهم عليه الاشراف أو الاشراف التربوي أو التوجيه التربوي أو التربص أو التوجيه الفني ، كما أن لكل قطر اساليب في الاختيار والتعيين والاعداد والتدريب مع وجود قواسم مشتركة احيانا خاصة في مجال بعض الاهداف والمهمات[٦] .

الجذور التاريخية للاشراف التربوي في العراق :ـ

عند الانتقال الى الجذور التاريخية للاشراف التربوي في العراق خاصة منذ بدايات القرن العشرين ، نشير الى أن التفتيش قد عرف بوصفه عملا قائماً بذاته منذ عام ١٩١٣ عندما عينت الحكومة العثمانية أحد الاشخاص للقيام بتفتيش المدارس الابتدائية والعناية بالتدريسات[٧] ثم تطور الأمر بداية الحكم الوطني الى ثلاثة مناطق تعليمية في العراق كله أي لكل منها مفتش يشرف على سير التدريسات فيها،وضعت أول تعليمات خاصة بالتفتيش

---

(٦) انظر : حكمت البزاز : الاشراف التربوي في الوطن العربي اهدافه ، بناؤه ، اساليبه ، جريدة الثورة ، العدد ٥٠٠٨ في ١٩٨٤/٢/٢ ، والاشراف التربوي في الوطن العربي الى اين ، جريدة الثورة ، العدد ٥٠١٥ في ١٩٨٤/٢/٩ ، دراسة مقدمة الى ندوة اتحاد المعلمين العرب المنعقدة في بغداد .

(٧) انظر : عبدالرزاق الهلالي :تاريخ التعليم في العهد العثماني ، دار الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢٢٨ .

عام ١٩٢٢[٨] حددت أغراضه وأساليبه وعلاقاته ، كما أنشئت دائرة التفتيش التي يرتبط بها المفتشون فنياً في بغداد ويرتبطون اداريا وماليا بمدير معارف المنطقة (كان العراق مقسما الى ثلاث مناطق ، شمالية ووسطى وجنوبية) .

وهكذا استمر التوسع والاهتمام بالتفتيش خلال السنوات العشر الاولى من الحكم الوطني ، ويبدو كما أشار احد الخبراء الاجانب انه كان (كتابياً) و (من الشدة بحيث يمنع أي تنوع يخرج عن المألوف)[٩] .

وكان المشرفون يقومون بأعمال كثيرة (٤٠ مدرسة بـ ٢٠٠ صف) وتحقيقات ومعاملات ادارية وغيرها . واختصاراً للاجراءات واعادة التنظيم ألغي التفتيش عام ١٩٣٣ وعهد لمديري المعارف (التربية) بمهماته . ثم أعيد بعد عامين كهيئة تفتيش (١٩٣٥) حيث عقد مؤتمر لمفتشي المدارس الابتدائية تضمن محاضرات ونوعاً من التدريب . واستمر التفتيش ينمو عددياً ونوعيا ببطء ثم عين معاونو مفتشين وتم استحداث تفتيش اختصاصي للمدارس الثانوية . وقد تأثر جهاز التفتيش وادارته بما لحق بجهاز وزارة المعارف (التربية) من تغير وتبدل وعدم استقرار حتى عام ١٩٥٨ الذي أنشيء فيه مجلس للتفتيش يعقد سنوياً بموجب نظام وزارة المعارف رقم ٢٩ لسنة ١٩٥٨ حيث نص على اختيار أحد المفتشين ليكون مشرفا على زملائه في اللواء (المحافظة) أي مشرفاً أول حاليا . ثم تبع ذلك تشكيل المفتشية العامة للتربية والتعليم ، كانت تصدر التعليمات والتوجيهات بين الحين والآخر تحدد المهمات والتوجهات والاغراض والعلاقات الخاصة بالتفتيش كما تجري بين الحين والآخر دورات قصيرة وأساليب محدودة لرفع مستوى المفتشين حتى قيام ثورة ١٧ــ٣٠ / تموز ١٩٦٨ .

---

(٨) ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق /ج١ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٨٦ .

(٩) بول مونرو وآخرون : تقرير لجنةالكشف التهذيبي ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ص ٨١ .

الاشراف التربوي في ظل الثورة :

من المعلوم أن ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ قد ورثت نظاماً تربويا متخلفا وتقليديا تعشعش فيه عناصر بعيدة عن فكر الثورة وفلسفتها ، والاشراف التربوي كأحد الانظمة الفرعية للنظام التربوي كان يعاني ما تعانيه الانظمة الفرعية الاخرى من تخلف سواء كان ذلك على المستوى الفني أم المستوى الاداري على الرغم من وجود عدد محدود جداً من العناصر المخلصة في بعض مفاصله إلا أنها لم تكن ذات تأثير في مسيرته •

ونظراً لما لهذا الجهاز من أهمية كبيرة في تطوير العملية التربوية فقد أولته الثورة اهتماما واضحا في اطار سعيها لتنوير الجهاز التربوي كله •

ويمكن القول ان المحاولة الاولى لتطوير هذا الجهاز تمثلت باعداد تقرير خاص لتطويره صدر عام ١٩٦٩ ضمن خمسة تقارير عالجت جوانب أخرى من العملية التربوية ، إلا أن هذا التقرير كالتقارير الاخرى التي اتخذت بعض الخطوات المفيدة في ضوء ما جاء فيه بعد عرضه على الجهات القيادية التربوية ، لم يكن نظرة جذرية وتقدمية لما ينبغي أن يكون عليه جهاز التفتيش •

ويمكن القول أن الخطوة الاهم في تطور جهاز الاشراف التربوي جاءت بصيغة تشريعية بعد صدور قانون وزارة التربية ١٩٧١ ونظامها عام ١٩٧٢ وبعد انعقاد الحلقات الدراسية الثلاث في عامي ١٩٧٠–١٩٧١ ، إذ النظر الى التفتيش كاشراف تربوي حديث إذ لم يقتصر الموضوع على تغيير تسمية التفتيش الى الاشراف التربوي بالطبع بل جرى السعي الى تحديد مهماته وواجباته ووسائل علمه وتنظيمه • كما تم في منتصف السبعينات تقريبا تغيير قياداته وانتساب أعداد كبيرة من العناصر المؤمنة بمبادىء الثورة وأهدافها ضمن ملاكاته ، كما جرى التوسع في اعداد العاملين فيه بشكل كبير •

ويمكن الاشارة الى بعض المحطات البارزة والاتجاهات التطويرية في مسيرة الاشراف التربوي بما يأتي :

١ ـ تغيير تسمية التفتيش الى الاشراف التربوي مع تغيير في المفهوم والاتجاه والهيكلية التنظيمية •

٢ ـ توفير عناصر جديدة مؤمنة ومتحمسة للعمل •

٣ ـ الاتجاه نحو تعزيز الجانب الفني والنظر الى الاشراف التربوي كعملية فنية تعاونية ديمقراطية •

٤ ـ انشاء وحدة فنية لاعداد الدراسات والبحوث المتعلقة بالاشراف التربوي

٥ ـ إعداد خطة خمسية لتطوير الاشراف التربوي •

٦ ـ إصدار اعداد من مجلة الاشراف التربوي (طبع ناسخة) •

٧ ـ الاتجاه نحو إعداد المشرفين التربويين وتدريبهم بأساليب حديثة داخل العراق وخارجه (كالاسلوب متعدد الوسائل) •

٨ ـ إيفاد عدد من المشرفين التربويين الى خارج العراق لاكتساب المزيد من الخبرات العلمية كتدريب المشرفين والاختصاصيين في اللغة الانكليزية•

٩ ـ تجريب نماذج جديدة من الاشراف التربوي (المشرف المقيم ، المدرس المشرف ، الاشراف بناء على طلب •• الخ) •

١٠ـ تجريب استمارات تقويم المعلمين وتحديثها ، وايجاد استمارات متنوعة بتنوع موضوعات الدراسة ، ومنها استمارات رقمية •

١١ـ استخدام مقياس كمواقف واختيارات في اختيار المشرفين الجدد واجراء مقابلات علمية وشخصية من قبل لجنة متنوعة الاختصاصات مع اجراء مقابلات على مستوى المحافظات للمرشحين الجدد •

١٢ـ إلغاء استمارة التقويم السرية والازدواجية بين التقارير المرفوعة عن المعلمين والمديرين وغيرهم وابلاغ المعلمين والمديرين بنتائج تقويمهم •

١٣ـ تحديث الهياكل الفرعية والتخصصات في بنية الاشراف التربوي قبل ايجاد مشرف أول اختصاص للمواد •

اهمية الاشراف التربوي وضرورته :

لابد قبل الحديث عن أهمية الاشراف التربوي الاشارة الى أن الموقف من الاشراف التربوي من حيث أهميته وضرورته يتباين بين دولة وأخرى كما يتباين بين الحين والآخر حتى في الدولة الواحدة • فلا غرابة مثلا أن نجد كما أشرنا في الحديث عن الاشراف التربوي في العراق في ثلاثينات القرن العشرين دعوة واجراءً لالغاء الاشراف التربوي من دون الغاء مهمته إذ أوكلت لمدير التربية مثلا • كما نجد في بلد مثل الصين إنكارا لأهمية التفتيش والغاء له كونه من مخلفات الماضي التقليدي ، كما قد نجد تأكيداً لأهميته واعلاءً لشأن القائمين به كما ساد في انكلترا حتى يقال أنهم كانوا يسمون المفتش بصاحب الجلالة • كما نجد في بعض الدول الاوربية من يوكل مهماته لمدرسين أو معلمين نابهين من ذوي الخبرة في المدرسة حيث (يشرفون) على زملائهم • كذلك نجد هناك اختلافاً في أغراضه ومهماته ، فعلى الرغم من الاتفاق العام على كون هذا الجهاز يسعى بشكل أساسي الى تحسين العملية التربوية فان بعض الانظمة التربوية تحدد واجبه بالتوجيه وأخرى بالتنسيق فقط وأخرى بالتدريب وهكذا يطلق عليه منسقاً وموجهاً ومدرباً •• الخ • ولاشك في أن ذلك كله يعكس نفسه على اختياره واعداده وتدريبه وصفاته الشخصية ومكانته وصلاحياته وعلاقاته مع المؤسسات التربوية والمجتمع المحلي •

ولكن الملاحظ وبشكل عام أن المجتمعات المتقدمة تربوياً قد خففت من الاعتماد على التفتيش أو الاشراف بشكل كبير لا إنكاراً لواجباته ومهماته ودوره في تطوير العملية التربوية بل في نظرتها الى الفلسفة القائمة وراءه أولاً وفي نظرتها الى أدوار الآخرين من العاملين في الحقل التربوي من معلمين ومديرين وفنيين حيث توكل اليهم مهمات المشرف نفسها أو بعضها وهم قريبون منها • وبالطبع فان ذلك يتوقف على مستويات معلمي المدارس

ومديريها أولاً وأساليب التعليم الحديثة المستخدمة والمؤسسات التدريبية وغير ذلك من عناصر التعليم والتعلم التي يمكن أن تؤدي المهمات الاشرافية .

إلا أنه كما يبدو من النظرة العامة الى الوضع الدولي العالمي تربوياً أن الدولةالنامية بشكل عام مازالت ترى في الاشراف التربوي (ومنها القطر العراقي والدول العربية الاخرى) عنصراً مهماً وفاعلاً في تيسير العملية التربوية وتطويرها . ولهذا فان الدول هذه بشكل عام تسعى الى تطويره وتحديثه والبحث في مشكلاته والنهوض بتحقيق أهدافه .

وبشكل عام فيمكن القول ان أهمية الاشراف التربوي تنبثق من الادوار التي يقوم بها والمهمات التي يتولاها والوظائف التي ينجزها (فهو يمكن أن يسهم بصورة فاعلة في تحسين العملية التربوية .. عن طريق العمل على نمو المعلمين في أثناء الخدمة والتقريب في مستوياتهم وسد الثغر في اعدادهم وربطهم بأحدث التيارات التربوية والاجتماعية وحل مشكلاتهم المختلفة وتذليل الصعوبات التي تحول دون أدائهم لواجباتهم بشكل سليم ونقل آرائهم ورغباتهم الى المسؤولين وبالعكس ، وتعميم الاساليب الحديثة في التعليم ونقل التجارب الرائدة والمبتكرة بين المدارس العراقية وتهيئة عناصر قيادية تمكن من الاضطلاع بمسؤوليات أعلى وتنسيق جهود وفعاليات المدارس الابتدائية مع المؤسسات الاخرى لخدمة المجتمعات المحلية) [10] .

وبالطبع فان هذه الاهمية متعددة الجوانب فضلاً عن أمور ومهمات أخرى تعد الوظائف الرئيسة للاشراف التربوي مما يؤكد ضرورته لتطوير العملية التربوية . وقد أكدت هذه العملية عشرات الدراسات العربية والأجنبية .

ويبقى أن هذا الجهاز التربوي المهم وهو يقوم بدور قيادي وطليعي في تطوير العمل التربوي لابد من أن تتوفر له الامكانات المادية والبشرية عالية

---

(١٠) حكمت البزاز ــ تقييم الاشراف الابتدائي في العراق ــ رسالة ماجستير في التربية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٥ ، ص٦.

المستوى لكي يقوم بالمهام المطلوبة منه كما لابد قبل هذا أن ندرك مفهومه وأساليبه وعناصره الاساسية وأسسه والاتجاهات الحديثة فيه لكي تصبح صورته أكثر وضوحاً ونحسن كفاءة العاملين فيه ومن حولهم من المديرين والمعلمين مما يعزز مكانته ويساعده في انجاز مهامه •

مفهوم الاشراف التربوي :

على الرغم من اختلاف المربين في سعة وظائف الاشراف التربوي ومهماته وأساليبه إلا أنهم يكادون يتفقون على أن مفهومه يتحدد بكونه برنامجاً مخططا لتحسين عملية التعليم كما أشارت الى ذلك الموسوعة التربوية[١١] • أو هو جهود منظمة يبذلها المسؤولون لتوفير القيادة للمعلمين والعاملين الآخرين في مجال تحسين التعليم مهنياً ويشمل ذلك إثارة النمو المهني وتطوير المعلمين واختيار واعادة صياغة الاهداف التربوية والادوات التعليمية وطرق التدريس وتقييم العملية التعليمية[١٢] أو تنسيق نمو المعلمين وإثارته وتوجيهه لغرض نمو وإثارة وتوجيه كل طفل للمشاركة المستمرة الذكية في المجتمع والعالم الذي يعيش فيه[١٣] • فهو مجهود منظم وهو توجيه وتنسيق واستثارة لقدرات المعلمين فرادى وجماعات وهو أيضاً مصدر تربوي يقدم الخبرات وينمي القابلياتويوجهها ويقيم الانجازات ويطور العملية التربوية •

فالاشراف التربوي إذاً هو عملية فنية تقدم خدمة للمعلمين خاصة والعملية التربوية عامة •• وهذه الخدمة تأتي ضمن سياق عام علمي ومنظم وقيادي تتم بالتعاون مع المعلمين والمديرين الفنيين والمسؤولين التربويين

(11) Harris Chester w., (ed. Encyclopedia of Educational Research, the Macmillan company, NewYork, 1960, P. 1442.

(12) Good Carter v. (ed.) Dictionary of Education, Mcgraw — Hill, Book Inc. Newyork 1959, P. 539.

(13) Briggs,Thomas H.& Justman Joseph, Improving Instruction Through Supervision, the Macmillan Company Newyork. 1956.

لتحسين العملية التربوية • وبالطبع فان معنى العمليــة التربويــة ومفهومها هنا يعني كل جوانب العملية التربوية وعناصرها بما فيها من مناهج ووسائل وادارة وتقنيات وأهداف وخطط وتقويم وتدريب وعلاقات انسانية ووظيفية•

ولكي تتحقق للاشراف التربوي أهدافه في تحسين العملية التربويــة فلابد من توافر عناصر معينة ومقومات تساعده في تحقيق أهدافه ويأتي فــي مقدمة هذه العناصر :

١ ــ حُسن اختيار المشرفين التربويين سواء من حيث الكفاءة أو من حيث السمعة الطيبة بين أوساط المعلمين والمجتمع الذي يعملون في إطاره • ولابد من أن يتم ذلك بعد تقويم دقيق وعلمي وبأدوات علميــة رضينة وموضوعيــة •

٢ ــ إعداد المشرفين التربويين لفترة محدودة كافية وفي إطار برامــج مهنيــة ووطنية على وفق فلسفة الدولة وأهدافها التربوية •

٣ ــ إخضاع المشرفين التربويين لبرامج تدريبية لفتــرات محــددة تتناسب وحاجاتهم للتدريب سواء بما يسد ما قد يكون من نقص في إعــدادهم أو بما يحقق نموهم الذاتي وقدراتهم الفنية •

٤ ــ إعتبار عملية تقويم المشرفين التربويين جزءاً لا يتجزأ من العمل الاشرافي وجزءاً أساسيا من عملية تقويم جهاز الاشراف التربوي كله وبمختلف مستــوياته •

٥ ــ العمل على توفير الحوافز والامكانات المادية الواسعة لتشجيع الاعمــال الابداعية والمبادرات الخلاقة والجهود الاستثنائية وتسهيــل أعمــال المشرفين التربويين وتهيئة الظروف الاجتماعية والوظيفيــة التي تتناسب ومهماتهم القيادية ودورهم في تطوير العملية التربوية •

٦ ــ ولاشك في أن هذا كله لايمكن أن يتحقق ما لم تكن قيــادة الاشراف التربوي خاصة والقيادات التربوية على المستويات المركزية واللامركزية مؤمنة بأهمية الاشراف التربوي ودوره في تطويــر النظام التعليمــي

فضلاً عن توفير الصيغ الادارية والتشريعية والتمويلية التي توفر للعمل الاشرافي مرونة كافية وصلاحيات مناسبة تساعده في أداء دوره المطلوب ، كما تسعى الى استمرار رفده بالعناصر الافضل والقدرات الأعلى بأعداد تتناسب مع أعداد المدارس والمعلمين ومع متطلبات تطوير العملية التربوية فضلاً عن توفير أفضل الفرص وأوسعها لتنمية قدرات المشرفين التربويين واطلاعهم على أحداث مستجدات العمل الاشرافي والتربوي وتقنياته على المستوى العربي والدولي وبما يساعدهم تماماً في تحملهم المسؤوليات الوظيفية والوطنية المناطة بهم ويزيد من كفاءتهم الفنية ويستثمر قدراتهم الابداعية الى أقصاها ويهيء النظام التربوي قيادات تربوية جديدة .

اساليب الاشراف التربوي :

مع تطوير مفهوم الاشراف التربوي من صيغة (التفتيش) القديمة والتقليدية التي كانت (تفتش) عن الاخطاء وتتصيد الهفوات والعيوب الشخصية وتبحث عن كل ما هو سلبي الى الاشراف التربوي الذي يقوم على أسس ديمقراطية وتعاونية وفنية وعلمية يشارك فيها جميع من تعنيهم العملية التربوية ، فقد تطورت أساليب الاشراف التربوي من أسلوب الزيارة الصفية المحدودة الزمان والمكان في أغلب (الاحوال) الى أساليب متنوعة ومتعددة لكل منه طريقة وهدف وشكل ومضمون ومنها ما هو أسلوب فردي ومنها ما هو أسلوب جماعي .

ومن بين أهم الاساليب الفردية التي تقتصر على علاقة مباشرة بين المعلم أو المدير والمشرف :ـ

١ ـ مقابلة المعلم قبل زيارته في الصف .

٢ ـ زيارة المعلم في الصف .

٣ ـ مقابلة المعلم بعد زيارته في الصف .

٤ ــ زيارة المدرسة (المدير) .
٥ ــ التزاور بين المعلمين .

أما الأساليب الجماعية وهي الأكثر حداثة في العمل الاشرافي التي يشترك فيها المعلمون والمديرون والمشرفون وغيرهم من الاختصاصيين وبأعداد متباينة وحسب هدف وطبيعة وظروف كل منه فان أهمها :

١ ــ المشغل التربوي .
٢ ــ الاجتماع بالهيئة التعليمية قبل بدء العام الدراسي أو خلاله أو بعد انتهائه أو بعد انتهاء زيارة المشرف لأعضاء الهيئة التعليمية في صفوفهم.
٣ ــ المؤتمر التربوي .
٤ ــ الدروس التدريبية ، أو ما تسمى بالنموذجية أو التطبيقية .
٥ ــ اللجان (لدراسة موضوع معين أو بحثه أو تطويره) .
٦ ــ الاجتماع بمعلمي صف معين أو مادة دراسية معينة .
٧ ــ الدورات التدريبية .
٨ ــ الحلقات الدراسية .
٩ ــ القراءات الموجهة المهنية والتعلم الذاتي .
١٠ ــ النشرات الاشرافية والبحوث التربوية .
١١ ــ التعاون مع المؤسسات التربوية الاخرى .
١٢ ــ المحاورة والندوة .
١٣ ــ الدرس المصغر .
١٤ ــ أسلوب العصف الذهني .
١٥ ــ استخدام تجارب صفية في طرق التدريس[١٤] .

---

(١٤) لمزيد من التفاصيل يرجع الى : حكمت عبدالله البزاز ، تقييم التفتيش الابتدائي في العراق ، مصدر سابق ، والاساليب الحديثة في الاشراف التربوي ، عبدالرحمن اسماعيل كاظم ،تعيين دراسي أعد للتدريب في معهد التدريب والتطوير التربوي،١٩٨٧ . وكتاب تنمية الكفاءات التربوية الدكتور عبدالقادر يوسف، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٧ .

وعلى الرغم من تعدد هذه الأساليب وتنوعها إلا أن تنفيذها بنجاح يتطلب مهارات عالية وجهوداً منظمة وتخطيطا محكماً بحيث يشعر المشاركون فيها بفوائدها الجمة وأثرها في تنمية قدراتهم وتحسين أدائهم ومن ثم تطوير العملية التربوية •

ولكي يتحقق هذا فلابد من توافر مقومات معينة أساسية سواء في اختيار الاسلوب الاشرافي أم في تنفيذه ومن أهمها :

١ ـ أن يكون المعلم والمدير المشارك في البرنامج الاشرافي على اقتناع تام بأهميته وضرورته لتحسين أدائه وان يكون التحاقه بالبرنامج طوعياً •

٢ ـ أن يعالج الاسلوب الاشرافي احدى المشاكل المهمة التي يعاني منها المعلمون أو مديرو المدارس أو أن يعين لهم ما هم بحاجة اليه من معرفة أو مهارة او غيرها •

٣ ـ أن يكون اختيار الاسلوب الاشرافي مناسباً للهدف المراد تحقيقه وفي اطار المتوافر من الامكانات المادية والبشرية كوسائل التعليم وتقنياته وغيرها •

٤ ـ أن يراعي المشرف نوعية المشاركين في البرنامج وظروفهم وقدراتهم وخصائصهم •

٥ ـ أن يشرك المشرف المشاركين في تخطيط البرنامج وتنفيذها وتقويمها كما يمكن اشراك آخرين من المتخصصين •

٦ ـ عدم إغفال البرنامج للنشاطات الاجتماعية والعلاقات الانسانية والعمل التعاوني والمهارات الاجتماعية •

بعض الاتجاهات الحديثة في الاشراف التربوي :ـ

يمكن القول أن المتابع لتطوير الاشراف التربوي سواء من حيث مفاهيمه أو اهدافه أو اساليبه يجد أن هذا الجهاز لم ينل من الاهتمام في مجال تحديثه ما نالته عناصر أخرى من عناصر العملية التربوية وربما كان

ذلك لاعتبارين رئيسين (من وجهة نظرنا) أولهما أن هذا الجهاز قد انحسر دوره في تطوير العملية التربوية في الدول المتقدمة بشكل عام حتى آل الامر الى إلغائه في بعض الأحيان •

وثانيهما وجود أو استحداث مؤسسات تربوية تدريبية وبحثية وانمائية ومصادر معلومات وادارات مدرسية يمكن أن تتولى أغلب المهمات المناطة بالاشراف التربوي بكفاية أعلى وبإمكانات بشرية ومادية أفضل فضلا عن عوامل أخرى سلبية وربما كانت نفسية واعتبارية علقت بتاريخ الاشراف التربوي مما حدا بهذه الانظمة الى استبعاد الاهتمام بهذا الجهاز وتطويره ومن ثم فقد السعي للافادة منه تنظيراً وتطبيقا •

إلا أن هذا كله لم يكن عائقا كبيرا أمام المفكرين التربويين والمتخصصين في البحث عن أفضل الاتجاهات واحدى الاساليب لتحقيق أهدافه •

واذا كنا قد أشرنا الى الاتجاهات الحديثة في أساليب الاشراف التربوي ولاسيما الجماعية منها فان الانتقال من (التفتيش) التقليدي القديم الى الاشراف التربوي الحديث قد تطلب إعادة النظر في أسس هذا الاشراف ومنطلقاته • وقد تم التعبير عن ذلك في اعتبار الاشراف التربوي خدمة فنية تعاونية علمية وديمقراطية • ولم يكن تغيير تسمية التفتيش Inspection الى الاشراف Supervision لمجرد إضفاء صفة تحديثه لفظية علمية بل هو أمر بالغ الاهمية ، ذلك أن التفتيش في ماضيه قد ارتبط بجملة من الممارسات الفوقية والاساليب التقليدية والشكلية وفي مقدمتها الزيارة المباغتة للمفتش للمعلمين الذين هم بعهدته والتقييم غير الموضوعي الذي كان سمة هذا التفتيش غالبا فضلا عن ممارسات هي اشبه أحيانا بالممارسات البوليسية (كالتقارير السرية مثلا) وصولا الى التحكم في مستقبل المعلمين وحياتهم • لذا فان الانتقال الى صيغة الاشراف التربوي البعيد عن تسقط الاخطاء وتجسيمها الاقرب الى الصيغ الديمقراطية

والتعاونية والعلمية يعني انقلاباً جذريا في مفهوم الاشراف التربوي وأهدافه ووسائله • الا أن هذا التغيير يفقد قيمته عندما يصبح تغييراً لفظيا وشكلا دون مضمون حقيقي معبر عن الفلسفة الثاوية وراء تبديل الاصطلاح •

ويمكن القول ان الاتجاهات التحديثية الرئيسة للاشراف التربوي قد تناولت بشكل عام أسس الاشراف التربوي بوصفها المنطلقات التي يقوم عليها وتنبثق منها فعالياته ونشاطاته الفردية والجماعية كما انها في الوقت ذاته تعد أسساً ومنطلقات العملية التربوية بكل مفاصلها فضلا عن كونها قيما اجتماعية ترنو لها كل المجتمعات التي تسعى نحو النمو والتقدم فضلا عن انها قيم انسانية ولها جذور على المستوى القومي والاسلامي في تراثنا المجيد ومن أهمها :

١ ــ الاتجاه الديمقراطي : ويتجسد هذا الاتجاه أساسا في تصرفات المشرف التربوي مع جميع العاملين معه من زملائه من المشرفين والمعلمين والمديرين وأولياء الامور وغيرهم ، ذلك أن حياة الناس ومشاعرهم ومواقفهم واتجاهاتهم تتطلب وعياً وقدرة على التعامل الانساني البعيد عن روح التسلط والفردية والنظرة الفوقية والقدرات الانفرادية ، كما تتطلب فهماً متبادلا بين العاملين في الحقل التربوي وايمانا بكرامة الانسان واحترام قيمة الآخرين وطموحهم وشعورهم وتشجيع الحرية الفكرية لهم وتوفير أوسع الفرص المتكافئة لنموهم وترقيتهم والمساعدة في تنمية قدراتهم الابداعية والابتكارية وتشجيعهم على التجريب والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية والنقد الذاتي والضبط الذاتي(١٥) •

---

(15) Barr A. S., Burton, Willish H. & Bruecker, Leo G., Supervison Principles and Practices in the Improvement of Instruction, D. Appleton Century Company, Newyork, 1938, P. 65.

وقد دلّ العديد من البحوث والدراسات على أهمية هذا الاساس في تطوير كفاءة المعلمين وتحسين العملية التعليمية •

٢ ــ الاتجاه التعاوني : لاشك في أن أية عملية تربوية أو تعليمية لابد من أن تتم من خلال التعاون بين قطبي المعلم والمتعلم للوصول الى الاهداف المشتركة لكليهما وتظهر القيمة الحقيقية للاشراف التربوي عندما يستطيع مساعدة المعلم أو المدير في اكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات وأساليب التعليم المطلوبة والوصول به الى أعلى ما تمكنه ظروفه وقدراته الوصول اليه • ويأتي في مقدمة ما ينبغي أن يلتفت اليه المشرف في هذا المجال هو اعانة المعلم على معرفة قدراته وما توفره له البيئة المدرسية والخارجية من امكانات العمل والتطوير ، كما ينتظر من المشرف أن يعاون المعلم على حل مشكلاته المهنية وأحيانا الخاصة إن طلب منه ذلك وإن وجد المشرف أن ذلك لايخل بعمله •

٣ ــ الاتجاه العلمي : ولكي يحقق الاشراف التربوي أهدافه فلابد أن يتخذ من العلم وأساليبه أساسا له في مختلف مراحل فعالياته واوجهها من تخطيط وتنظيم ومتابعة وتقويم وفي مواجهة جميع المشاكل التي تعترضه مما يزيد ثقة المعلمين به •

ولا شك في أن استخدام الاسلوب العلمي يتطلب أولاً فهم المشرف التربوي والمعلم للاهداف التربوية المطلوبة كما يتطلب ذلك تحديدا واضحا لمهام جميع العاملين في التعليم وواجباتهم ، ووجود مستويات موضوعية ومحددة ومعروفة للحكم على مدى تقدم التعليم، واستخدام نتائج الابحاث التربوية في تحسين العملية التعليمية ، والقيام بدراسات تجريبية للمشكلات التعليمية بما فيها مشكلات الاشراف التربوي عينها • وهذا يعني ضرورة اعتماد المشرف التربوي أيضا على الحقائق العلمية والمشاهدات الميدانية والتشخيص الدقيق للعوامل المؤثرة في التعليم واستخدام أدوات البحث والقياس

كالاختبارات المقننة والاساليب الاحصائية المعتمدة في عمله ، وله اطلاع واسع في الشؤون التربوية والنفسية يؤطر ذلك كله منهجا في التفكير العلمي السليم(١٦) .

ومن أجل تحقيق الاتجاه العلمي في العمل الاشرافي فلابد ألا يقتصر هذا الاتجاه على تنفيذ الفعاليات الاشرافية فقط بل لابد أن تمتد الى تقييم المشرف لهذه الفعاليات بأسلوب علمي من حيث تحقيقها للهدف منها كما تشمل في الوقت ذاته تقييم المشرف لذاته من حيث سلوكه وعلاقاته وأداؤه لوظيفته في إطار من الموضوعية ونكران الذات مما يساعده على تحسين عمله وتطوير قدراته . ولما كانت عملية التقويم من أهم الواجبات المناطة بالمشرف التربوي فقد أشارت الاتجاهات الحديثة في الاشراف التربوي الى ضرورة مغادرة المشرف للاساليب القديمة في تقويم المعلم والمدير والانشطة الطلابية ولاسيما تلك التي تقوم على المباغتة والفجائية والزيارات القصيرة غير المخططة التي تترك آثارها السلبية في التقويم غير الموضوعي لجهود المعلم والمدير كما تعكس آثارها السلبية على العلاقة بينهم .

ويكتسب التقويم العلمي أهميته من كونه يعد خطوة رئيسة لتخطيط جديد للعمل التربوي ويساعد المعلم في معرفة خطوات سيره ومدى تقدمه كما يساعده في تحليل عمله ونقده ذاتيا ويوفر معلومات مهمة للمشرف التربوي وللادارة التعليمية حول أداء الاسرة التعليمية ومدى تقدمها والمشاكل التي تعترض سير العملية التربوية .

---

(١٦) انظر : حكمت عبدالله البزاز ، تقييم التفتيش الابتدائي في العراق ، مصدر سابق ، ص٥٥-٥٧ .

ويتفق الكثير من الباحثين على أن اهم اسس التقييم الحديث تتجه الى:

١ ـ إن التعليم هو الذي يجب ان يقوم بما فيه كل نشاطات التلاميذ وفي ضوء الاحداث المطلوبة •

٢ ـ اشراك المعلم والمدير في عملية التقويم •

٣ ـ ان تكون عملية التقويم مستمرة وبعد زيارات متعددة ولأوقات كافية •

٤ ـ وان تستخدم فيها الادوات العلمية •

٥ ـ ان تتنوع اساليب التقويم •

٦ ـ ان يكون التقويم تشخيصيا اي محاولة تحديد الاسباب والعوامل المؤثرة •

٧ ـ ان تشمل عملية التقويم المشرف نفسه •

٨ ـ ان تتواجد في المقيمين الخبرة والكفاية اللازمتين لذلك •

المصادر العربية :

١ ـ بول مونرو وآخرون ـ تقرير لجنة الكشف التهذيبي ـ مطبعة الحكومة ـ بغـداد .
٢ ـ حكمة عبدالله البزاز ـ الاشراف التربوي في الوطن العربي ـ اهدافه وبناءه وأساليبه ،جريدة الثورة ـ بغداد العدد ٥٠٠٨ في ١٩٨٤/٢/٢ .
٣ ـ حكمة عبدالله البزاز ـ الاشراف التربوي في الوطن العربي .. الى ايـن ؟ جريدة الثورة ، بغداد عدد ٥٠١٥ في ١٩٨٤/٢/٩ دراسـة مقدمـة الـى اتحاد المعلمـين العرب .
٤ ـ حكمة عبدالله البزاز ـ تقييم التفتيش الابتدائـي في العـراق ـ رسـالة ماجستير في التربية ـ مطبعة الارشاد . بغداد ١٩٧٥ .
٥ ـ محمد بن احمد القرشي ـ معـالم القربـة في احكـام الحسبـة ـ دار الفنون ـ كيمبـرج ١٩٢٧ .
٦ ـ محمد مبارك ـ الدولة ونظام الحسبةعند ابن تيمية ـ دار الفكر ـ لبنان.
٧ ـ ساطع الحصري ـ مذكراتي في العراق ـ جـ١ ـ دار الطليعة ـ بيروت١٩٦٧.
٨ ـ عبدالرزاق الهلالي ـ تاريخ التعليم في العهـد العثمانـي ـ دار الطبـع والنشر الاهلية ـ بغداد ١٩٥٩ .
٩ ـ عبدالرحمن اسماعيل ـ الاساليب الحديثة في الاشراف التربـوي ـ معهد التدريب والتطوير التربوي ـ بغداد ١٩٨٧ .
١٠ـ عبدالقادر يوسـف ـ تنمية الكفاءات التربوية ـ دار الكاتب ـ بـيروت ١٩٦٧ .
١١ ـ خالد قوطرش ـ التفتيش في التعليم ـ مجلـة المعلـم العربـي ـ العـدد الاول ـ دمشـق ١٩٥٢ .

المصادر الاجنبيـة :

1. Barr, A. S., Burton, Wi'liam H., Bruecker, Leo J., Supervision — principles and Practices— in the Improvement of Instruction, D. Appleton Century Company. NewYork, 1938.
2. Briggs. Thomas H., & Justman, Joseph, Improving Instruction Through Superrision, The Macmil'an company, New York. 1956.
3. Good Carter v. (ed), Dictionary of Education, McGraw — Hill Book Inc., New York, 1959.
4. Harris Chester W., (ed) Encyclopedia of Educational Research, The Macmil'an Company, NewYork, 1950.
5. Monroe, Wa'ters., (ed.), Encyc'opedia of Educational Research, The Macmillan Company, NewYork, 1956.

البحـــر الاحمـــر
« دراسة في جغرافية السوق »

الدكتور علي محمد المياح
عضو شرف / المجمع العلمي

الملخـص

جغرافيـــة السّـــوق فـــرع من الجغرافيـــا العسكرية وتعنـــى بدراسة خطـط الحـــرب ، والحمـــلات العسكريـــة ، والحركـــات العسكريـــة • ويكوّن البحـــر الاحمـــر منطقـــة صـــراع وتغـــير مستمر • وهـــو عبارة عن ممر ملاحي يربط البحر الاحمر بالبحار الشمالية وهو في الوقت نفســـه محطة نهائية لبعض نفط الخليج العربي وما يأتي من حقول حديثة تزخر بالنفط في داخلية الســـودان واليمن • ان انابيب النفط أوجـــدت مجموعة « نقاط سوقية ساخنة » في أماكن مثل جيبوتي وقناة السويس • والى جيبوتي تنتهي سكك الحديد القادمة من أديس أبابا • وتحتل مكاناً سوقياً مهماً عند المدخل الشمالي للبحر الاحمر من خلال مضيق باب المنـــدب • واذا مـــا اخذنا بنظر الاعتبار موارد ثروة البحر الاحمر واهميـــة السّوقية فإنـــه يصبح ذا أهمية عظيمة لا يمكن تجاهلها •

المقدمـــة :

البحر الأحمر صنو الخليج العربي وقرينـه الذي يعادلـه أهمية مـن النواحي الاقتصادية والسياسية والسوقية على الصعيدين الاقليمي والدولي. والحديث عن البحر الأحمر متمم لدراسة سابقـة عن الخليج العربي في هذا المجـال[1] .

لاتستكمل تلك الدراسة أبعادها السوقية ما لم ترفد بدراسة مماثلة عن ابحر الأحمر . فالصلات السوقية بينهما وابعادها تتجلى بوضوح أكثر من خلال دراسة مقومات البحر الأحمر .

فهذا البحر فريد في موقعة عند ملتقى قارات ثلاثهي اسيا وأوربـا وأفريقيا . وهو صلة وصل بين البحار الشرقية والغربية ، بين المحيطين الهندي والأطلسي . وينتهي هذا البحر من ناحيتـه الشماليـة بخليجين يتجه أحدهما صوب مصر وهو خليج السويس والآخر نحو فلسطين وهو خليج العقبة . وعلى جانبي هذا البحر تعدّن معادن مختلفة لها أهميتها في الصناعة مثل الذهب والحديد والمنجنيز والفوسفات والنفـط وغيرها . ويمرّ عبـره نفط الخليج العربي والسـودان واليمن . وهو قبل ذلك ممر تجاري انتقلت على مياهه تجارة اوربا واسيا وافريقيا منذ أزمنة تاريخية بعيدة . وتمتـد أرض آسيا وافريقيا على جانبيه حتى ليرى المشاهد في كثير من جهاته أرض القارتـين . ولكنه مع ذلك لم يكن يوماً منطقة فاصلة بين الاثنـين ، فقد انتقل الناس من جهـة الى

(١) علي محمد الميـاح ، الخليج العربي ــ دراسـة في جغرافيـة السوق ، مجلة المجمع العلمي ، الجـزء الاول ــ المجلـد السابـع والاربعون مطبعة المجمع العلمي ، بغـداد ، ٢٠٠٠ ، ص٢٩ ــ ٥٦ .

أخرى من دون صعوبة تذكر وامتزجت حضاراتهم • فعمر العرب سواحله الغربية وانتقلوا منها الى اعماق قارة افريقيا يحملون معهم دينهم الاسلامي الحنيف ولغتهم وحضارتهم • حتى أصبح البحر الأحمر • بفضل عروبة سكانه بحيرة عربية دون منازع •

وللبحر الاحمر أهمية سوقية بحرية لأنه يكوّن طريقاً رئيساً ثابتاً تسلكه قوافل السفن في حركتها • وقد يصبح في أوقات الحرب أكثر ثباتاً لسهولة حراسته وحمايته • ولكن السيطرة عليه وعلى نقاط التقائه قد تزيد من خلافات الدول المتناحرة • لانه يعدّ من شرايين حياة كثير من الدول التي تعتمد عليه أو لها علاقة به • وفي ضوء ذلك يبدو أن أهداف جغرافية السّوق هنا تنصب على حركة السفن والأساطيل ونظام القواعد العسكرية الساحلية • وان الحركة النسبية هي التي تسيطر على أبعاد السّوق في البحر الاحمر • في حين يشكل نظام القواعد وخدماتها الاطار السّوقي العام الذي يتمتع به هذا البحر • أما توزيع القواعد العسكرية فيكشف عن مصالح الدول التي تعمل على ادامتها • وتوضح مثل هذه العلاقة المكانية القاعدة الفرنسية في جيبوتي •

يستمد هذا البحث مضمونه ومادته من حقل الجغرافيا العسكرية • وهي دراسة تتقصى تفاعل الظروف الجغرافية والشؤون العسكرية •[2] وعلى هذا الاساس تعنى جغرافية السّوق بالنهج العلمي الذي تستخدمه القيادة للاستفادة من جميع مقومات القوة المتيسرة لديها لتحقيق الاهداف العسكرية أو الأهداف السياسية بطرق وأساليب عسكرية•[3] وفي ضوء ذلك ينصب غرض هذا البحث على التكهن والتنبؤ بزخم تتعرض له فعاليات وهمية تجرى في ظروف

(٢) Joseph A. Russel, " Military Geography" , in American Geography, Inventory and Prospect, P.E. James and C. F. Jones editors, Syracuse University Press. Syracuse 1954. P.485.

(٣) L.C. Peltier and G.E. Pearcy, Military Geography, D. Van Norstandco. , Inc., New YorK, 1966, P.32 .

مفترضة • أي محاولة كشف أبعاد جغرافية السّوق التي تفرزهـا متغيرات البحر الاحمر على الصعيدين الاقليمي والدولـي • وعليه فـان هذا البحث يحمل في تضاعيفه محتويات سياسة القوة " Power Politics " التي تعد حجر الزاوية لكثير من حقول المعرفة التي ترفد جوانب مهمة تسم الحياة السياسية والسّوقية • فلا غرو ان يحظى البحـر الاحمـر بمكانة خاصـة في خرائط السّوق التي تضعها القوى الدولية العظمى • ومن معـرفة هـذه الخرائط يمكن ادراك بعض جوانب الأمن القومي وتخطيط موقف دفاعـي يدفـع عن الأمة خطراً حادقاً بها او يحد من زخمـه في الأقـل • ولعـل معرفة جغرافية البحر الاحمر تعد مدخلاً ضرورياً لابد منه •

جغرافية البحر الاحمر وابعادها السّوقية : ـ

يمتد البحر الاحمـر من باب المنـدب في أقصى جنوبـه الشرقي الى السويس عند نهايته الشمالية الغربية • وينحصر بين دائرتي عـرض (١٢ ــ ٣٠ درجة) شمالاً قاطعـاً مسافة قدرهـا ٢٣٠٠ كيلو متر • وبذلك تقـع اطرافـه الجنوبيـة في المنطقـة المدارية ، في حين يصـل امتـداده شمالاً الى المنطقة المعتدلة الشمالية • وهو أخدود تكوّن نتيجة حركـة انكسارية أصابت القشرة الأرضية في عصـر الميوسين " Miocene " • وهـو مـن العصور الجيولوجية حدث منذ (٢٦) مليـون سنة مضت •[٤] وهي حركة كونت الاخدود الافريقي والبحر الاحمر وخلجانه وسهل البقاع في لبنان • وامتلأ هذا الاخـدود بمياه المحيط الهنـدي التي تدفقـت اليه عبر مضيق باب المندب •

---

(٤)

World In formation T'ab!e, Britannica Atlas, Encyc lopaedia Britannica, lnc., Chicago, 1979, P.I.q .

وصاحب هبوط أرض البحر الاحمر نشاط بركاني واسع وارتفاع جوانبه • فلا غرو من وجود هضاب بركانية مثل هضبة اليمن أو مرتفعات تمتد على جانبيه • ويعزو بعضهم تسميته الى وجود أحياء مائية دقيقة حمراء تكثر في هذا البحر وتسبغ عليه لونها •[5] ويرد ذكره في كتب التراث العربي باسم بحر القلزم ، بضمّ القاف وكسرها • نسبة الى مدينة على ساحل البحر الاحمر من أرض مصر وبها سمي القلزم •[6] ويتميز البحر الاحمر ، بحكم ظروف تكونه بسواحل مستقيمة قليلة التعاريج وسهول ساحلية ضيقة ولكنه بحر عميق المياه على العموم اذ يصل عمقه الى ٢٢٠٠ متر عند دائرة عرض ٢٢° شمالا ، ثم يقل هذا العمق الى ١٠٠٠ متر مدخل قناة السويس، بعدها يرتفع القاع فجأة الى ٨٠ مترا • ولا ينخفض عمقه عن هذا المستوى في خليج السويس في حين يصل عمق المياه في خليج العقبة الى نحو ١٢٨٧ مترا[7] • ويبلغ اتساع البحر أقصاه عند ميناء (مصوّع) حيث يصل الى ٣٤٠ كيلو مترويضيق عند باب المندب الى نحو ٢٢ كيلو مترا •

وتمتد بمحاذاة الساحل من الجانبين شعاب مرجانية تحول دون وصول السفن الى الساحل وتعرضها الى مخاطر ملاحية • وقد عملت استقامة السواحل وكثرة الشعاب المرجانية على قلة الموانى حتى ان السفن في كثير من الحالات تبقى في عرض البحر مقابل الساحل وموانيه ؛ وهي صغيرة ، على العموم ، ليس فيها حركة ملاحية واسعة سوى ميناء جدة والحديدة والسويس •

وتنتشر في البحر الاحمر مجموعة جزر بركانية النشأة تقوم عند مداخل مضايقه أو على مقربة من سواحله ، ومنها جزيرة تيران وصنافير عند مدخل

(٥) رفعت الجوهري ، ساحل المرجان وصحراء البحر الاحمر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص٣٥ .

(٦) ابو عبيد البكري (ت/٤٨٧هـ) معجم ما استعجم من اسماء المواضع والبلاد ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، لجنة التاليف والنشر ، القاهرة، ط١ ، ١٩٤٥ ، ج١ ، ص٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص٣٥ .

خليج العقبة وجزيرة شدوان على مقربة من ساحل مصر وقد وجدت منها قاعدة بحرية • ومنها جزر فرسان مقابل جيزان في السعودية ، وجزيرة سواكن التي تقع قريبا من الساحل جنوب ميناء بور سودان • وجزيرة قمران أمام ساحل اليمن يقابلها أرخبيل دهلك أمام ساحل أرتيريا(٨) •

وتختلف هذه الجزر حجما وأهمية ، فجزر دهلك وحنيش الكبير تسيطر على باب المندب في حين تتحكم جزر صنافير وتيران في مدخل خليج العقبة• واكثر هذه الجزر تفتقر الى مقومات الحياة لذا فهي قليلة السكان وانبعضها خالية منهم •

وتعتمد أهمية مداخل البحر الاحمر ومضايقه على سعتها وعمق مياهها • فباب المندب مضيق طوني تطل عليه جروف صخرية مرتفعة تقطعه جزيرة «ميون» بتسميتها العربية أو جزيرة «بريم» كما يسميها الاوربيون،الىممرين ، شرقي لايزيد عمقه على ٢٦ مترا أما عرضه فيبلغ ٣كيلو مترات • وينحصر هذا الممر بين رأس شيخ سعيد وبين هذه الجزيرة ويطلق عليه اسم مضيق اسكندر أو الممر الصغير • ولا يصلح هذا الممر لسير السفن المحيطية الكبيرة لكثرة الجزر الصغيرة التي تعترضه • اما الممر المحصور بين هذه الجزيرة وساحل جيبوتي فيعرف باسم ممر « ميون » وهو منفذ البحر ومسلكه الملاحي ، اذ يبلغ اتساعه نحو ٢٠ كيلو متراً وعمقه ٣٠٠ متر • وقد أدت كثرة الحوادث الملاحية التي وقعت في الممر الشرقي الى تسميته بباب الدموع او باب المندب • وقد بقيت هذه الجزيرة خاضعة لسيطرة انجليزية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ولم تحرر من سيطرتهم الا بعد ان تحررت اليمن الجنوبية من سيطرتهم ونالت استقلالها عام ١٩٦٧ •

ويسبغ المناخ بظروفه المتطرفة حقيقة سوقية اخرى فسواحل البحر الاحمر وسواحل خليج عدن عبارة عن شريط ضيق جداً • وهذه سواحل جافة جداً إذ لايزيد مجموع ما يسقط على عدن من المطر على (٠ر٩) عقدة

---

(٨) جاسم محمد الخلف وجماعته ، الأطلس العراقي ؛ بيروت ، ط٩ ، ١٩٧٥ ، ص٣٧ •

في حين يبلغ مجموع ما يصيب جـدة منه (٥ر٢) عقـدة • ويتميـز فصل الصيف بحرارة مفرطة اذ تصل درجة حرارة شهر حزيران وتمـوز وآب في عدن الى ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ درجة «ف» في حين تسجل معدلات درجات حـرارة جدة في الاشهر المذكورة ٨٦ ، ٨٩ ، ٨٩ درجة «ف» على التوالي • اما معدل درجة الحرارة في شهر كانون الثاني الذي هو أقل الشهور حرارة ، فيبلغ في هاتين ٧٧ و ٧٥ درجة «ف» على التوالي • وهذه أرقام عالية جدا بالنسبـة لمحطة مناخية ساحلية في الاخص[٩] وتنعكس هذه الظروف المناخية علـى مياه البحر نفسه اذ تبلغ درجة حرارة مياهه نحو ٥ر٢١ درجة مئوية وترتفع هذه الدرجة على سطح البحر فيشهـور الصيف الى نحو ٤٢ درجة مئويـة عندالسويس[١٠]

وتختلف درجات الحرارة ومقادير الامطار الساقطة على المرتفعات الداخلية اختلافاً واضحا • اذ يصيب أسمرة «ارتيريا» الواقعة على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم ٢٠ عقدة من المطر في حين لايسقط منه على الطرف الشمالي من السهل الساحلي الا نحو اربعة عقد • ويصل معدل اكثر شهور السنة حرارة في أسمرة الى ٧١ درجة (ف) ، وينخفض هذا المعدل في الشهر البارد من السنة الى ٦٠ درجة (ف،١١٠) ومثل هذا يقال عن صنعاء ومدينة أبها الواقعة في اعالي جبال السراة ولكـن مياه هذه الامطار تنصرف الى الداخل ولايصل منهـا شيء الى البحـر الاحمر ولذلك فان هذا البحر يفتقر الى نهر دائم الجريان يصب فيه •

المـوارد الاقتصادية : ـ

تكاد تفتقر الموارد الاقتصادية على ثروة معدنية متنوعة وعلى شيء من صيد الاسماك • اما الزراعة فهي نشاط اقتصادي محدود يوجد في سهول

(٩) دبليو ج . كندرو ، مناخ القارات ، نقلـه الى العربيـة على محمد المياح وجماعته ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ج١ ، ص٧٨ •

(١٠) رفعت الجوهري ، ساحل المرجان ، مصدر سابق ، ص٣٥ •

(١١) عبدالباري عبدالـرزاق النجـم ، ارتيريـا ، مطبعـة العانـي ، بغـداد ، ١٩٧١ ص١٣ •

تهامة حيث تزرع محاصيل الحبـوب لاسيما الذرة البيضاء وفواكه المناطق المدارية • وفيما عدا ذلك فلا يوجد أثر ملحوظ للزراعة في مناطـق الساحل • وتظهر الزراعة ثانية على سفوح المرتفعات وفي بطون الاودية حيث تتوفر موارد المياه وتعتدل درجات الحرارة •

وتتنوع موارد الثورة المعدنية ومن اهمها :

أ ـ الفوسفات :

يستخرج من منطقة سفاجة والقصير في مصر العربية ويصدر الى اليابان والهند واندونيسيا وبعضه يرسل الى چيكيا •

ب ـ المنغنيـز :

يعدن في منطقة جبال « علبـه » جنوب القصـير ويستخدم في صناعة الخشب والنضائد والزجاج •

ح ـ الحديـد :

توجد خاماته في منطقتي القصير و « مرسى علم »وشرق أسوان •

د ـ الرصاص والزنك :

ينحصر وجود هذه الخامات في منطقة القصير •

هـ ـ النحاس :

تقع مناجمه الى الجنـوب الشرقي من أسـوان ، ويستخلص من خاماته النحاس والزنك •

و ـ الذهب :

يوجد الذهب في عروق الكوارتز (المرو) في منطقة السد العالي وغيرها من مناطق الصحراء الشرقية في مصر • ويزيد الانتاج السنوي من الذهب على ٢٢٥٠ أوقية •(١٢)

---

(١٢) رفعت الجوهري ، ساحل المرجان ، مصدر سابق ، ص٧٣ ــ ٧٨ .

ويبدو من هذا السرد ان اكثــر خامات المعــادن توجد قرب السواحل الغربية • ولكن هذا لايعني خلو جهاتــه الشرقية منهــا • منذ زمن بعيد • واشتهرت في كتب التراث منطقة « سليم » الواقعة على الطريق الممتد بــين مكة المكرمة والمدينة المنورة •

ز ــ النفــط :

لقد عرف وجود النفط في منطقة البحر الاحمر منذ عام ١٩٠٨ وبــدأ استخراجه من منطقــة الغردقة عــام ١٩١٣ ثم عثر عليه عام ١٩٣٨ في رأس غارب وتزايد انتاجه فيما بعد حتى بلغ ٣٠٠ الف طن في السنة[١٣] •

وتزايدت أهمية البحر الاحمر في السنوات القلائل الماضية لسببين هي:

أ ــ انه أصبح منفذا لبعض حقول نفط الخليج العربي بعد أن بدأت خطوط الانابيب تنقل الى سواحله بعض نفــط السعودية واخرى تنقل جزءا مــن نفط العراق الى ينبع

ب ــ تدفق النفط من حقول السودان عبر أنابيب تمتد مسافة ١٥٠٠ كيلو متر واخرى تحمل نفط اليمن • وانتاج هذه الحقول في تزايد مستمر •

ان هاتين الحقيقتين تركتا بعداً سوقيا مهما وارتقت بالبحر الاحمر الى مصاف المناطق السوقية العالمية بعد أن أصبــح مجمعــا لنفط الخليج ونفط المنطقة المحيطة به • فقد أدى ذلك الى وجود مجموعــة نقاط سوقيــة ساخنة " hot points " مثل (جيبوتــي) و (الحبشة) و (جنــوب اليمن) و (السويس) • وقد أحدثت هذه الانابيب وحقول النفط الجديدة تغيرات بعيدة المدى وأوجدت علاقات دولية جديــدة • ان تنوع مخــارج النفــط ومنافذه لا تجعل العالم ، في الحقيقة ، أحسن بكثير مما هو عليه •[١٤] ويــرى بعض

(١٣) المصدر نفسه ، ص٧٣ .

(١٤) Micheal Cuningham, Hosteges To Fortnne, Brassey's publishers, New york, 1988, PP. 28-29

المراقبين في الغرب ان هذه المواقع السوقية الجديدة يصعب الدفاع عنها ، وأصبح تصدير النفط عن طريق البحر الاحمر يتزايد يوماً بعد آخر • وصاحب ذلك وجود مجموعة مواقع جديدة لأزمات محتملة • اما مناطق المعادن الاخرى التي تستخرج من مناطق البحر الاحمر فلا تخلو من أهمية سوقية محلية تسهم في مجمل وظيفته السوقية •

وتكون الثروة المائية جزءاً من موارد البحر الاحمر • وقد عملت حرارة المياه وكثرة الأوكسجين المذاب فيها على تنوع أسماكه ووجودها بكميات كبيرة • ويذكر ابن بطوطة شيئاً عن طرق صيد الاسماك في رأس دوائر • وهو مرسى على البحر الاحمر في السودان بين عيذاب وسواكن • فيقول: (رأيت بذلك المرسى عجباً وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر فكان الناس يأخذون الثوب ويمسكون باطرافه ويخرجون به وقد أمتلأ سمكاً كل سمكة منها قدر ذراع ، ويعرفونه بالبوري (*) فطبخ منه الناس كثيراً واشتووا)[١٥]• ويشتهر البحر الاحمر بكثير من أنواع السمك الممتاز امثال الشعور والفارس والمحسن فضلا عن كميات كبيرة من اسماك القرش الذي يستغل زيت كبده صناعيا[١٦] • والى جانب ذلك توجد أنواع من (التونة) الصغيرة والسردين • وتكون تجارة « الجميري ــ الروبيان » جانبا مهما من صناعة الاسماك من اليمن • وتقتصر صناعة السمك على تجميده بعض انواعه وطحنها وتستخدم هذه المنتجات علفا للدواجن • وتوجد في هذا البحر أصداف واعشاب مرجانية تصنع محليا كهدايا • ويفد الى جهات البحر

---

(١٥) ابن بطوطة (ت/٧٧٠هـ) رحلة بن بطوطة ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ .

(*) البوري سمك لايزال يعرف بهذا الاسم ويعد من اغلى انواع الاسماك في اسواق الخليج العربي ولا ياكل الا مشوياً .

(١٦) رفعت الجوهري ، ساحل المرجان . مصدر سابق ، ص٨١ .

الاحمر هواة الرياضة البحريــة مثل صيــد الاسماك ورياضة الغطس • وقد شجعت مناظره الجميلة وجوها المعتدل شتاء الى تزايد أعداد هؤلاء •

السكان :

تعد دراسة السكان ذات أهمية خاصة من الناحية السوقية وان اختلفت طبيعتها عن دراسة الموارد المعدنية لانها ذات جوانب متعددة معقدة لكل منها أهميته في حقل الدراسة السوقية • ومع ذلك يمكن تأكيد جوانب جغرافية مهمة • ويلاحظ ان نحو نصف سكان الوطن العربي تقطن في اقطار لها صلتها بالبحر الاحمر • وان عددهم قد زاد في ظرف عقد من الزمن نحو (٣٦٫٥) مليون نسمة أي ان هذه الاقطار تكــون مركز ثقــل بشري عربي واضح • وان قواعــد القوة البشرية التي تكون دعامة مهمة من دعائم قوتها السياسية في تغير مستمر• ويظهر من جدول السكان (جدول ١) غلبة مصر والسودان على الجانب الغربي من البحر ، في حين تحتل السعودية واليمن مثل هذه المكانة على جانبه الشرقي• ويرى بعض المحللين ان السكان من مصادر القوة والانتاج •

وتعتبر سعة الارض العربيــة المحيطة بهذا البحر ميزة سوقية تنتج حركة واسعة مرنة وقدرة كبيرة للتحكم بالمنطقة فالمسافة ليست مجــرد عربة للقــوة وانما هي القوة بذاتها • ولعل تنوع موارد الثروة المعدنية يعكس صدق هذا القــول •

قنــاة السويس : ـ

لايمكن الحديث عن جغرافية البحر الاحمر وابعادها السوقية الا بذكــر نبذة عن قناة السويس • وهي عبارة عن شريط مائي يقطع برزخ السويس من أرض مصر ويربط بين البحر المتوســط والبحــر الاحمر ابتداء مــن بــور سعيد (ميناء سعيد) في الشمال الى مدينــة السويس في الجنــوب • ويبلغ طول القناة نحو ١٠٠ ميل تمر خلالها ببحيرة (التمساح) والبحيرات (المرّة) • وقد بدأ العمل في حفرها في ربيع سنة ١٨٥٦م وتم افتتاحها في ١٧ تشريــن الثانــي ســنة ١٨٦٩م • وكانت المــدة التي تستغرقهــا السفن لعبــور القناة

عام ١٨٧٠م (٤٨) ساعة ثم تناقصت في الآونة الاخيرة ، بعد توسيعها وتعميقها ، الى ١١ ساعة[١٧] . وقد وضع فتح القناة مصر العربية في موقع مهم خاص . وجعل الدفاع عن القناة في الوقت نفسه ، يحظى بعناية خاصة والقيام باجراءات لازمة لصيانة القناة وضمان استمرار الملاحة

جدول (١)
الاقطار العربية المطلة على البحر الأحمر
« المساحة والسكان »

القطر	المساحة (كم٢)	السكان ١٩٩٠ (الف نسمة)	السكان ٢٠٠٠ (الف نسمة)
مصر	٩٧٧٩٣٨	٥٦٣١٢	٦٩١٤٦
ارتيريا	١١٩	٣٠٨٢	٤٠٢٥
الاردن	٩٧٧٤٠	٤٢٥٩	٦٣٧٨
السودان	٢٥٠٥٨١٣	٢٤٥٨٥	٣٢٠٧٩
السعودية	٢١٤٩٩٦٩	١٦٠٤٨	٢١١٢٥٧
الصومال	٦٣٧٦٥٧	٨٦٧٧	١٠٧٨٧
اليمن	٤٨٢٩٨٣١	١١٣١١	١٧٠٥١
جيبوتي	٢٣٠٠٠	٥١٧	٦٤٥

المصدر :

أ ـ السكان :

United Nations . World populaion Propects, 1994, U-N New york, 1995, PP. 620, 624, 694, 802, 824, 816, 874

ب ـ المساحة :

١ ـ عبدالباري عبدالرزاق النجم ، أرتيريا ، مصدر سابق ، ص٧ .

World Information Table, Brita nnica Atlas , OP. Cit., P. I.q

(١٧) خضير نعمان العبيدي ، قناة السويس ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٥٨ و ٨٤ .

فيها أمام تهديد الفرنسيين ومن ثم الالمان وأصبحت الرحلة عبر البحر الاحمر تمثل شريان الحياة للامبراطورية البريطانية لانها قصرت الطريق الى الشرق واستراليا ونيوزيلند • وبناء على ذلك استخدمت بريطانيا نصف قوتها البحرية لحماية هذا الطريق(١٨) • فقد عملت قناة السويس على قصر المسافة بين الشرق والغرب واختزلت كلفة الوقود اللازم لحركة السفن وضاعفت من عدد الرحلات التي تقوم بها السفينة بين الشرق والغرب في السنة • وبعبارة أخرى ان هذه القناة تركت آثارا جغرافية سوقية من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ولم تقتصر هذه الآثار على الصعيد الدولي وانما تخطت ذلك الى الصعيد الاقليمي • فقد ازدادت اهمية مصر بعد ان اصبحت لها سيطرة تامة على القناة ولم يعد للاجانب دخل في ادارتها او مشاركة في عوائدها • وحدث ذلك بعد تأميم القناة ونجاح مصر في توسيعها وتسهيل المرور فيها حتى بلغ عدد السفن العابرة يوميا يقرب من ٦٠ سفينة • وزادت عوائدها الصافية على بليون دولار سنويا فلا غرو ان تعرضت مواني جوانب اوربا المطلة على البحر المتوسط الى ركود اقتصادي كبير بلغ مقداره حوالي ٢٠٠ مليون دولار سنويا بعد العدوان الصهيوني على الارض العربية عام ١٩٦٧ وغلق قناة السويس • وقد اضطرت شركات سفن نقل النفط ، نتيجة ذلك ، الى بناء ناقلات عملاقة لانها اصبحت اكثر فائدة في نقل النفط حول رأس الرجاء الصالح من السفن الصغيرة • حتى بلغ عدد الناقلات الصغيرة التي توقفت عن العمل نحو ٢٥٠٠ سفينة •

لقد اصبحت مصر منذ افتتاح قناة السويس تتمتع بموقع جغرافي سوقي مهم • إذ ينقل احد الباحثين قول (بول روورباخ) مستشار وزارة الخارجية الالمانية عام ١٩٤١ في كتابه المعنون « سكة حديد بغداد » : (ان انجلترا

(١٨)
Lucile Carlson and Allen K. Philibrick. Geography and World Politicks, Prentice - Hall, Inc, Englewood Cliffs, N. J., 1958. P. 392 .

يمكن ان تهاجم من اوربا بقوات برية فقط وذلك في نقطة حيوية واحدة اسمها مصر ، فبخسران انجلترا لمصر ستخسر بواقعهــا في الشرقين الادنى والاوسط وفي وسط وشرق افريقيا)(١٩)• وما سكة حديد بغــداد والحجاز الا وسيلة اقتراب سوقي بري الى القناة تتيح لالمانيا أمكانية حشد جنودها على مقربة من قناة السويس وقطع شريان حياة الامبراطورية البريطانية • وقد حاول الالمان في الحرب العالمية الثانية تنفيذ مخططهم بطريقة • إذ حاولوا مهاجمة مصر عن طريق الصحراء الغربية ووصلوا الى (العَلمين) على مقربة من السكندرية • وشنوا غارات جوية بلغ عددها (٤٨) غارة عــام ١٩٤١ اصابت مرافــق مختلفة من القناة ولاسيما السفن العابــرة وموانى شرق القنــاة • وقــد احدثت هذه الغارات اضراراً جسيمة ادت الى تعطيل الملاحة في القناة مدة (٧٦) يوماً•(٢٠)

ويبدو من خلال هذه المناقشة ان القيمة السوقية للبحر الاحمرتخضع لسيطرة مداخله عند قناة السويس شمالا وباب المندب جنوبا وان مفاتيــح الحركة الملاحية فيه يتحكم بها العرب على وفق مقتضيات الامن القومي العربي اذ يصبح هذا البحر من دون منافذه الشمالية والجنوبية مجرد بحيرة داخلية مغلقة ليس لها قيمة سوقية تذكر • وتتضــح أبعاد هذه الحقيقــة من دراسة خطط السوق العالمية •

البحر الاحمر وخطط السّوق العالمية :

ان وظيفة أي حيز علــى سطح الارض في تغير مستمر من الناحيــة السوقية لاسباب عديدة منها :

١ ــ تغير النظم السياسية وما يصاحب ذلك من نشوء علاقات سوقية لها خصائص تختلف عن سابقتها تؤدي الى تغير موازين القوى • وقدشهدت

---

(١٩)
Robert Strausz - Hupe, Geopolitics: The Struggle for Space and power, G.P. Putnam's and Sons, 1943, P.39.

(٢٠) خضير نعمان العبيدي ، قناة السويس ، مصدر سابق، ص١٢٩ ــ ١٣١ •

منطقة البحر الاحمر بغيرات من هذا القبيل فقد أرست ثورة مصر في ٢٣ يوليو (تموز) نظاما جمهوريا صاحبته تغيرات أوضاع كثيرة منها تأميم قناة السويس أسبغت عليها وظيفة سوقية جديدة على الصعيدين القومي والدولي. وتحررت عدن من سيطرة استعمارية كانت تتحكم في مدخل باب المندب وما جاوره • واستقلت أرتيريا من سيطرة الحبشة وحرمتها من الوصول الى الساحل •

٢ ـ اكتشاف موارد اقتصادية نقلت كثير من الاماكن النائية الى مصاف المواقع المؤثرة في السياسة الدولية • فقد عملت حقول النفط التي اكتشفت في اعماق السودان الى احداث تغير سوقي جديد فيها ومثل ذلك يقال عن حقول النفط في اليمن • وينتهى النفط المستخرج في الحالتين الى نقاط تطل على البحر الاحمر جعلت منهانقاطا سوقية ساخنة •

٣ ـ التغير التقني المستمر الذي غيّر من أهمية مناطق كثيرة إيجاباً وسلباً • فقد أضحت جزيرة سقطرى قاعدة مهمة لحماية باب المندب ، كما أصبحت بعض جزر دهلك مواقع استطلاع واتصال •

٤ ـ وتعد معدلات نمو السكان وتطور مستوياتهم العلمية وتقدم مؤهلاتهم التقنية من المتغيرات المهمة في دراسة جغرافية السّوق • وقد شهدت منطقة البحر الاحمر زيادة سكانية ملحوظة في العقد الاخير كما اسلفنا ومساراً حضارياً متسارعاً • وكل هذه حقائق عملت على زيادة ضغط السكان على الأرض وتنامي قدراتهم لاستغلال خيراتها •

هذه العوامل مجتمعة عملت على ايجاد واقع سوقي جغرافي جديد • ولكن ابعاد هذه العوامل لا تتضح ما لم تعرف علاقاتها السوقية الدولية • إذ تمتد جغرافية البحر الاحمر ، من الناحية السوقية ، الى خارج مساحته المائية • فنظام البحر المتوسط من الناحية الملاحية يشمل مضيق جبل طارق وممرات صقلية وقناة السويس والبحر الاحمر ومضيق باب المندب • هذا

الممر المائي الذي يخترق قارة أوربا وافريقيا متجهاً الى الهند وجنوب شرق آسيا له أهمية حيوية في الخطط السوقية الخارجية التي يرسمها العالم الغربي.[٢١]

وكانت انجلترا قوة سائدة في البحر المتوسط . فبيدها وسائل السيطرة على منفذه الغربي عن طريق جبل طارق والمضايق بين ايطاليا وتونس ومالطا . وتسيطر على حوضه الشرقي من خلال وجودها العسكري في جزيرة قبرص . وجعلت من محمية عدن قاعدة للسيطرة على البحر الاحمر ، واتخذت من معاهدات فرضتها على البحرين وعمان وساحلها وسيلة للسيطرة على الخليج العربي[٢٢] . ولا يزال لهذه الدولة الاستعمارية وجود في جزيرتي مالطا وقبرص فمن جزيرة قبرص انطلقت طائراتها للعدوان على مصر عام ١٩٥٦ . وأصبح الاسطول السادس الامريكي في البحر المتوسط وسيلة للعدوان بعد ان تدنت قوة انجلترا وقدراتها العسكرية منذ الحرب العالمية الثانية بل وقبل ذلك .

وتظهر أهمية الموقع السوقي للبحر الاحمر على الصعيد الدولي فيما ذكره هالفرد وماكندر) الجغرافي الانجليزي عن منطقة السويداء (سهول شرق أوربا وأواسط آسيا) . وحسب رأيه أن من يسيطر على منطقة السويداء يسيطر على جزيرة العالم (قارات العالم القديم) وهذه بدورها تمكنه من السيطرة على العالم[٢٣] . وهذه الفكرة تحذر انجلترا من مغبة سيطرة دولة

---

(٢١)
Hans W. Weigert and others, Principles of Political Geography, App'eton - Century - Crofts, Inc., 1957, P. 233

(٢٢)
Van Valkenburg, Elements of Po'itical Geography, Prentice - Hall, Inc., New York, 1954,PP. 147-148.

(٢٣)
Halford, J. Mackinder, Demo cratic Ideal and Reality, Henry Holt, New York, 1919, Reissued 1942 .

برّية وهي دولة بحرية، على منطقة أوراسيا الشاسعة التي تتميز بتصريف نهري داخلي، أو شبه قطبي، أي منطقة لا تصل انهارها الى البحر ومثل هذه المنطقة لا يمكن ان تصل اليها قوة بحرية بحكم موقعها الداخلي • واقترح (فوست) ، وهو جغرافي آخر ، تعديل حدود منطقة السويداء بحيث تشمل البحر المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي ، أي انه جعل الوطن العربي برمته تقريبا يقع ضمن حلقة التوسع الاستعماري هذه[٢٤] •

وتبرز أهمية جغرافية سوق البحر الاحمر في هذا المخطط لان يكون حلقة وصل بين سويداء اوراسيا وسويداء افريقيا جنوب الصحراء • فلا عجب ان أصبحت منطقة القرن الافريقي وسواحل جنوب جزيرة العرب وسواحل الخليج العربي بؤرة للصراع بين القوى العظمى • وصاحب ذلك مخطط القواعد الامريكية الذي يلف الكرة الارضية ويبدأ على الساحل الافريقي عند الصومال يرتبط فيما بعد بقواعدها غير الاطلسي •

وحاول السوفييت في حينه الافلات من هذا الاحتواء بطريقة تقليدية وهي ايجاد حلفاء لهم عند مؤخرة العدو بعد أن استطاعوا الحصول على تسهيلات ملاحية في مجموعة جزر دهلك الواقعة عند مدخل باب المندب • وكان لهم وجود في جزيرة سقطرى وبربرة في القرن الافريقي • وقد تغير واقع الوجود الروسي في هذه المواقع بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ولكنه يلقي ضوء كاشفاً عن أهمية البحر الاحمر ، الصراع المستمر بين القوى العظمى ومحاولة السوفييت طرد النفوذ الامريكي من أطراف اوراسيا (منطقة الحواف)•

---

(٢٤) Charle B-Faweett Political Geography of the British Empire, Boston, Ginnand Co. 1934.

(٢٥) J.C. Hurewitz, Origin of Rivalry, in J.C. Hurewitz, ed., Soviet American Rivalry in The Middle East, Praeger, New York, 1969, P.5.

وجاءت نقطة التحول بعد العدوان الاسرائيلي على الأمة العربية في حزيران ١٩٦٧ وأصبح لهم حضور بحري عند مدخل قناة السويس • وحصل الاسطول السوفييتي في البحر المتوسط على مرافق للخزن والادامة او ما يعادل حقوق قاعدة بحرية في الاسكندرية وبور سعيد(٢٥)• فقد شعر الجانب العربي ، ولاسيما سوريا ، انه بحاجة لدعم سياسي عسكري هائل من الاتحاد السوفييتي يوازن به الدعم الامريكي لاسرئيل •(٢٦)

وحاول الروس تطوير علاقاتهم مع اليمن وتجنبوا التورط في المنازعات الداخلية • وأتاحت لهم هذا العلاقات مع اليمن (الجنوبي آنذاك) الحصول على تسهيلات في جزيرة سقطرى • وتقع هذه الجزيرة بين الساحل الافريقي والاسيوي • إذ تبعد نحو ٣٨٠ كم عن رأس (فرتك) • وهي أقرب نقاط الساحل العربي• في حين تبعد ٣٢١كم شمال شرق رأس عسير على القرن الافريقي • وهكذا استطاع السوفييت في العقد السابع والثامن من هذا القرن ان يمتلكوا ناصية المنازلة السوقية مع الغرب وفي مقدمتهم الولايات المتحدة •

لقد كانت الدول الاوربية تدرك اهمية البحر الاحمر من الناحية السوقية فعمدت الى بسط نفوذها الاستعماري على المواقع المهمة فيه • فسيطرت فرنسا على ما كان يعرف باسم (الصومال الفرنسي) ، جيبوتي حالياً ، سنة ١٨٨٤م اي بعد سنوات قلائل من افتتاح قناة السويس • وكان لفرنسا يومها حظ وافر في ادارة الشركة واسهمها • واحتلت بذلك موقعاً سوقياً مهماً عند مدخل البحر الاحمر على مقربة من باب المندب •(٢٨) وضاعفت فرنسا تعزيزاتها

(٢٦) محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨) البحث عن السلام فالصراع في الشرق الاوسط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٢٧) امل شاور ، الأطار الجغرافي للبحر الاحمر ومجموعاته الجزرية ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٨٩ ، ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٢٨)

L. Dudley Stamp. Africa John Wiley and Sons, Inc., New York, Seventh Printing, 1963, P. 362.

الحديثة لقاعدة الجوية بتحويل ناقلة نفط حمولتها ٢٦ الف طن Charvente الى مركز قيادة عائم يتولى شؤونها البحرية . وسوف تنضم اليها ثلاثة طرادات وثلاثة من زوارق حفر السواحل احداها مزود بقذائف (اكسوزيت) ٣٨ تطلق من السطح الى السطح . وهذه القاعدة مزودة بـ ١٠٠ طائرة قاذفة مقاتلة من طراز (F. 100) وطائرات نقل ذات محركين(٢٩). ويظهر من ضخامة القوة الجوية البحرية في قاعدة جيبوتي إن اهتمام فرنسا لا يقتصر على ساحة البحر الاحمر بل يتعداه الى أعالي المحيط الهندي . فقد وقعت في ١٧ آذار ١٩٧٤م اتفاقية مع امريكا لانشاء قاعدة دعم بحري في جزيرة ري يونيون الواقعة شرق ساحل افريقيا في المحيط الهندي .(٣٠)

وعلى غرار المطامع الفرنسية عملت ايطاليا على ايجاد قاعدة لها في القرن الافريقي وحصلت على امتياز يتيح لها ذلك عام ١٨٨٩م امتد حتى سنة ١٩٠١ ثم استقرت قواعدها في الصومال بعد ان حصلت على موافقة الرؤساء المحليين .(٣١)

ويبدو ان التطور التقني وتقدم الصناعة العسكرية ساعد على اقامة قواعد بعيدة عن منطقة الهدف . وعلى هذا الاساس اقيمت قاعدة (دييجو غارسيا) باتفاق بين امريكا وانجلترا خلافاً للقواعد والقوانين الدولية المرعية التي لاتجيز بيع جزيرة بحرية . لاسيما وان البائع لايملكها . وهي قاعدة جوية بحرية جددت مرافقها ما بين عام ١٩٨٠ و ١٩٨٨ بمبلغ قدره ٥٤٢ مليون دولار . وتقبع فيها قاذفات بعيدة المدى B52 للسيطرة على الخليج العربي و البحر الاحمر . وهذه الجزيرة حلقة مرجانية لا يزيد عدد سكانها على ٢٠٠ نسمة يعملون في تجفيف جوز الهند وجمع ملح ماء البحر

---

(٢٩) Vagdish Vibhakr, Afro- Asian Security and Indian Ocean, Sterling Publisher, PVT Ltd, New Delhi, 1974, P.41 .

(٣٠) Ibid .

(٣١) L . Dudley Stamp, Africa, op. cit , P. 364

وصيد الاسماك والتقاط الاصداف . وتقع هذه الجزيرة في أرخيل (تشاكوس Chagos) . واصبحت هذه الجزيرة رمزاً للامبريالية الجديدة تهدد الاقطار الاسيوية التي تعمل جاهدة للعيش بأمن وسلام على أساس من المساواة والعلاقات الودية المتبادلة . ولذلك ارتفعت صيحة لوقف هذا الهجوم على السلام . وعارضت ذلك كل من أندونيسيا والملايو وتايلند وغيرها من دول المنطقة .[٣٢] وتمتلك فرنسا جزيرة (مايوت) من مجموعة جزر (القمر) .

ولانجلترا مجموعة من القواعد في جزر المحيط الهندي الى الشرق من جزيرة (ملاجاسي) مثل (سيشل) و (موريشيس) وأعلنت أنها أرض انجليزية .

يظهر من توزيع هذه القواعد العسكرية أنها تخدم أغراضاً عدوانية واسعة تمتد من رأس الرجاء الصالح جنوباً الى مضايق (ملقا) في جنوب شرق اسيا والخليج العربي والبحر الاحمر . وهذه القواعد وان توزعت ادارتها بين أمريكا وانجلترا وفرنسا فانها في حقيقة الأمر تكون وحدة مشتركة . وبعبارة اخرى ان وجود حلف الأطلسي لا يقتصر على المحيط الاطلسي وغرب اوربا ووسطها وانما له وجود مماثل في المحيط الهندي والبحر المتوسط . وان الخليج العربي والبحر الاحمر ، بناء ذلك يقعان ، من الناحية السوقية ، بين قواعد هذا الحلف من الغرب والشرق .

النهج السوقي الاستعماري الآخر :

لاتنزع خطط هذا النهج منزعاً عسكرياً مباشراً وانما تحاول تطبيق أسلوب استعماري خبيث يعمل لتحقيق أغراض سوقية لها صلة مباشرة بأوضاع البحر الاحمر خاصة والأمن القومي العربي عامة . وغاية ذلك تجزئة السودان وربط ارتيريا بعجلة المصالح الصهيونية وابعادها عن ساحة التحرر العربي .

ولعل من المناسب مناقشة أبعاد هذه الخطط بشيء من التفصيل على النحو الآتي :

---

(٣٢) National Herald, Feb. 4, India, 1974

١ ـ السودان : ـ

تعاني السودان من حالة عدم استقرار أوضاع الجنوب منذ أن أشعل نارها الانجليز منذ منتصف القرن العشرين • ويتولى ادارة هذا العدوان اليوم (يوري موسيفيني) حاكم أوغنده مسترشداً بأفكار (فرانيس دنج) التي نشرها في كتابه المعنون (حرب الرؤى) • وقد جمعت الدراسة في جامعة دار السلام بتنزانيا بين موسيفيني وجورج جارانج رأس التمرد في جنوب السودان ولوران كابيلا حاكم الكونقو كنشاسا و أسياس أفورقي حاكم ارتيريا الحالي • وتغذي هذه الجامعات طلبتها بافكار (ماركس) و (ليفن) وغيرهما • ويغزل فرانسيس دنج في كتابه المذكور شبكة من الأكاذيب يطلق عليها اسم الصراع بين العرب ، سكان القسم الشمالي من السودان ، والأفارقة ممن يعيشون في جنوبه • وهو أمر مخالف لواقع الحال فقد اندمج سكان الشمال والجنوب وجمعت بينهم روح المواطنة قبل وصول الانجليز الى البلاد بل حتى في أثناء سيطرتهم الاستعمارية نحو سنة ١٩٢٠م • فقد نجحت زراعة القطن في شمال السودان وتقدمت جنوباً مما ادى الى اندماج بين سكان الشمال والجنوب • وخاف الانجليز خوفاً كبيراً مما حققه ابناء الشمال من نجاح اقتصادي • وكان مقتل (تشارلس جوردن) على يدهم • كما دحروا جيش الانجليز في المعركة التي دارت بينهم • وكانوا قوة أرعبت الانجليز خوفاً من تواغلهم في جنوب السودان ومن ثم الى افريقيا الاستوائية مما يؤدي الى قيام ثورة عارمة في المستعمرات الانجليزية كافة • وامام هذا الواقع طبق الانجليز سياسة تفرقة عنصرية كاملة في السودان فقسموا البلاد الى نصفين وطردوا ابناء الجنوب الذين كانوا يعملون في صفوف الجيش السوداني فدفعوا بهم الى شمال البلاد • وكأنهم اقاموا بذلك حاجزاً من الاسلاك الشائكة وأعادوهم الى مناطقهم • أما الناطقون بالعربية ممن كانوا يعملون في الجنوب يمتد عبر البلاد كلها • وفضلا عن ذلك ترك الانجليز أبناء الجنوب لوحدهم ولم يسمحوا لهم بشيء من التطور أو نصيب من التعليم أو المساعدة • بل

منعوهم من سكنى المـدن والحواضر والبقـاء خارجها كمـا كانت عليه حال الافارقة ايام التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا •

وذكر (أدجـار أُبا°لانس) في كتابه المعنـو°ن (الحـرب السرية في السودان : ١٩٥٥ ــ ١٩٧٢) ان هذه السياسة الانجليزية بـدأت عام ١٩٠٢ وتعززت في عام ١٩٢٢ • وعمد الانجليز الى ذلك خوفاً من اتساع مشاعر العداء ضدهم التي ظهرت جليّة في شمال السودان بتشجيع من الاحزاب المصرية وانتقالها الى الجنوب • ولذلك عمدوا الى انشاء سلسلة قـرى منعزلـة في الجنوب على اساسي قبلي عنصري لها تقاليدها ومعتقداتها • وكان الغرض من هذه السياسة كما قـال (أَنجْس جلْيان) محـافظ منطقة كردفان هو الحافظ على الحضارة النوبية ضد الحضارة والثقافة العربية • وكان من نتائج هذه السياسة ان نشبت الحرب بـين الجنوب والشمال عام ١٩٥٥ بعد ان أشعل نارها الاستعماريون الانجليز قبل سنة من استقلال السودان •

ويتولى ادارة العدوان على السودان في الوقت الحاضر حاكم اوغندا (يوري موسيفيني) • واتخذ مدينة (جولو) مركزاً لعملياته • وقـد تسلم موسيفيني مقاليد الحكم بدعم من الانجليز بعد ان وعدهم بمواصلة العدوان وتقديم العون اللازم لجورج جارانج زميل دراسته • وغاية انجلترا من كل هذا إقامة امبراطورية انجليزية كبيرة في شرق افريقيا ووسطها يتولى شؤونها (يوري موسيفيني) تضم الجزء الشرقي من زائير والاخدود الافريقي العظيم وجنوب السودان واوغنده وروانـدا وبرندي وبعض جهـات مانزلنيا حيث توجد مناجم النحاس • وتساهم الولايات المتحدة في هذه الخطط وتوفر لها مقومات نجاحها • وقد تصاعد هذا الدعم ايام تولى السلطة جورج بوش•(٣٣)

وقد أدت حالة الاضطراب هـذه الى مـوت اكثر من مليون نسمة وما صاحب ذلك من مجاعة رهيبة اجتاحت المنطقة عام ١٩٨٥ • وهكذا عملت هذه

---

(٣٣)
EIR , Vol . 24 No . 17, Washington, D.C., U. S. A., 1997 PP. 42. - 45 .

الخطط السوقية الاستعمارية على حرمان السودان من تطوير مصادر ثروته المعدنية والزراعية الضخمة من ظهورها دولة متقدمة تحذو حذوها بقية دول الاقليم • وحرمت الامة العربية من امكانات قطر عربي غني قوي يحمي ظهرها في أفريقيا ويطل بقوة على سواحل البحر الاحمر ويصبح مؤثراً في جغرافية سوق هذا البحر •

٢ ـ ارتيريا : ـ

تقع ارتيريا بين السودان شمالا والحبشة (أثيوبيا) غربا والبحر الاحمر شرقاً وجيبوتي جنوبا • ولها ساحل على البحر الاحمر يمتد مسافة قدرها (١٠٨٠كم) (٣٤) • وقد جعلها موقعها المتميز ومواردها الاقتصادية هدفا لاطماع المستعمرين • فقدغزاها الايطاليون عام ١٨٩٢ وانتهت سيطرتهم عندما خسروا الحرب العالمية الثانية • ثم استحوذ عليها الانجليز حتى عام ١٩٥٢ • وفي عام ١٩٥٠ فرض عليها قرار الامم المتحددة الصادر في كانون الاول من السنة المذكورة ورسم لها اتحادا فدرالياً مع الحبشة من دون قبول من أهلها • وفرضت الحبشة سيطرتها على البلاد بدعم من الولايات المتحددة وانجلترا والكيان الصهيوني لاهمية موقعها السوقي على البحر الاحمروقربها من منابع النفط الغنية في شبة الجزيرة العربية والخليج العربي • فضلا عن اهميتها في الصراع العربي الصهيوني واستغلت هذه الاوضاع الشركات الامريكية والصهيونية واستمرت اموالها في الزراعة والصناعة والنقل التجاري والبناء وصيد الاسماك • وكان من نتائج ذلك ان حرم الصهاينة ابناء اليمن من الصيد في المياه الاقليمية الارتيرية كما درجوا على ذلك من قبل(٣٥) •

وكان اهتمام الولايات المتحدة بهذا القطر العربي يأتي من متغير سوقي فرضه الوجود السوفيتي في البحر المتوسط والمحيط الهندي • ولذلك قامت

(٣٤) عثمان صالح سبي ، جغرافية ارتيريا . دار الكنوز الادبية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ط١ ، ص١٨ •

(٣٥) ممتاز عارف ، ارتيريا بين الاحتلالين ، دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٠٤ـ٤٠٤ •

بانشاء قاعدة استطلاع واتصال على مقربة من أسمرا[٣٦] وقد استخدمت اسرائيل هذه المرافق في عدوانها على الامة العربية عام ١٩٦٧ •[٣٧]

ولقيت ثورة التحرير الارتيرية دعماً عربياً واسعاً لان نجاحها يضمن للأمة العربية مجالاً سوقياً عربياً على البحر الاحمر • وسارعت الدول العربية للاعتراف بها بعد أن اعلن افورقي استقلالها • ولكن أسياس أفورقي (فم الذهب) خيّب ظن العرب فلم يعبر ارتيرياً بلداً عربياً ولم يعتبر اللغة العربية لغة التعليم الاولى في المدارس ، ورفض الانضمام الى الجامعة العربية بعد الاستقلال وفضل الانضمام الى منظمة الوحدة الافريقية • واتخذ سياسة معادية تجاه عدد من الاقطار العربية فتحرش بالسودان واحتل جزر حنيش اليمنية وسافر الى اسرائيل عام ١٩٩٥ مما يدل على وجود علاقات بين الطرفين تمس الأمن القومي العربي وتبعث عوامل القلق في المنطقة ، وتعرض الامن القومي العربي الى مخاطر جمّة • وقد توثقت هذه العلاقات بدعم أمريكي واسع ومشاركة فاعلة •[٣٨]

من هذا العرض يبدو ان الجغرافية السوقية للبحر الاحمر تخرج من حيزها المحلي أو الاقليمي المحدود الى مجال أوسع من ذلك بكثير وانأبعادها تأخذ صورا شتى ، منها ماهو عسكري مباشر ترسم معالمه القواعد العسكرية والاساطيل البحرية ، ومنها ماهو غير مباشر يتم من خلال جماعات حاكمة محلية غلبت عليها مصالحها الذاتية•وهي وسيلة استعمارية شعارهاالتفرقة باب السيادة والتسلط في البحر الاحمر•اذ يحلم حاكم أوغنده (موسيفيني)باقامةامبراطوربة (التوتسي) Tutsi ، ووضع (أفورقي) حاكم أرتيريا نصب عينيه اقامة دولة (التجري - Tigreans) وانتهى الاثنان الى ان يكون صنيعه بيد المستعمر •

---

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٥ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٤-٥ .

(٣٨) عبدالسلام ابراهيم البغدادي ، ارتيريا والأمن القومي العربي ، مجلة دراسات استراتيجية ، العدد الرابع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٨ ، ص١١٣ - ١٥٩ .

الخاتمــة : ــ

ان دراسة جغرافية البحر الاحمر من الناحية السوقية تتطلب الخروج من دائرة مساحته المائية وتقصي صلاته بمناطق الجوار أو بمواقع بعيدة نائية عنه. فهذا البحر يكون ركنا أساسيا من أركان الامن القومي العربي • فعلى جانبيه تمتدالسواحل العربية متصلةبلا انقطاع مسافة(٥٥٢٠كم)وهذهمزية لها أثرواضح في رسم صورة التكامل العربي ، وان التلاحم الجغرافي بين دولة العربيــة يضاعف عناصر القوة المتوارثة ويجعل منها وسيلة مهمة لتحقيق الامن العربي على الصعيدين الاقليمي والدولي •

ويحتل البحر الاحمر مكانة رفيعة في خطط السوق العالمي على الرغم من ارتفاع درجات حرارة مناطقه وجفافها • فاستمرار الملاحة المحيطــة فيه وعدم توقفها لها علاقة بازدهار كثير من المناطق ابتداء من نيوزيلند واستراليا في النصف الجنوبي من الكرة الارضية الى مواني جنوب اوربا شمالهــــا الغربي • ولا يلتفــت كثــرة من الباحثين الى ان خطط الاقتراب غــير المباشر لا تقتصر على مداخلة عند باب المندب وقناة السويس بل من مختلف مواقعه الساحلية المتقابلة • وهو أمر سوقي يكفل حماية أرض الجزيرة العربية وأعماق السودان ، ويمكّن العرب من فرض إرادتهم على أعداء الأمة •

ويجب ان تراعى في مثل هذه الدراسة التغيرات السّوقية المستمرة السياسية والعسكرية • فقد تحول البحر الى منطقة نفطية بفضل الانابيب التي تحمل نفط الخليج العربي ونفط السودان واليمن ومصــر • وأصبحت منافذ الانابيب نقاطاً سوقية ساخنة • وسوف تتعاظم أهمية البحر الاحمــر مع ازدياد كميات النفط المتدفقة اليه وتكاثر سكان الاقطار العربية المجاورة له •

ولابد من الاحاطـة بأساليب العـدو السـوقية غير المباشـرة لاختراق السواحل العربية الممتدة إزاء البحر الاحمر وطرقه لايجاد جماعات يعمل من خلالها لحرمان العرب من ظهير سوقي واسع حضارياً واقتصادياً • ومثال ذلك أحداث جنوب السـودان والمواقف المعاديـة التي تمارسها السلطة الحاكمة في ارتيريـا •

وفي خضم هذه المطامع الاستعمارية يعمل العراق جاهداً باستمرار لاعادة بناء قدرات الاقطار العربية في هذه المنطقة وتشييد مرتكزاتها الذاتيـة كلما أصابها الضعف واتتابها الوهن • ويبذل بسخاء تضحيات تفسـد على الطامع أطماعه وتقلب موازين القوى لصالح الأمة العربية •

المحتـــوى التربـــوي
للحفاظ على البيئـــة في كليات التمريض
في الوطـــن العربـــي

الدكتورة منى يونس بحري
كلية التربيـــة (ابن رشد)
جامعـــة بغـــداد

الملخـــص

ان كليات التمريض في الوطن العربي تؤكد تأكيداً بالغـاً على المواد انبيئية في مناهجها • والبحث الحالي يهدف الى تحـديد محتـوى الحفاظ على البيئة في كتبها المقررة كماً ونوعا اعتماداً على أسلوب تحليـل المحتوى بموجب (الفكرة) • وقد أعدت الباحثة لتحقيق هدف البحث تصنيفاً يشتمل على (٧) مجالات هي : السلامة ، الصيانة ، الوقاية ، السيطرة ، التقـدير ، الاستثمار ، التطوير • ومن بين نتائج البحث عدم التوازن بين فكر الحفاظ على البيئة ، والتأكيد القليل على الفكر الجمالية البيئية ووفق التدهور البيئي والتعاون العربي والاقليمي والعالمي في مجال تطوير صحة البيئة •

(١)

اهمية البحث والحاجة اليه :

منذ وجد الانسان على هذه الارض وعلاقته بالبيئة وثيقة ، اذ اعتمـد عليها في توفير ما يحتاج اليه للبقاء ، كالهواء والماء والغذاء والمأوى والكساء، وعندما تقدم بحضارته التي قطعها أشواطاً بعيدة معتمدة عليهـا ، وأراد أن يحافظ على توازن عناصرها واجه صعوبـة في ذلك ، لانـه أصبـح غالباً المسيطر عليها والمستثمر لها ، والقادر على إحداث التغيير فيها عـن طـريق

التربية التي ساهمت اسهاما كبيراً في خلق الثورة العلمية والتقنية التي هي سمة العصر الذي نعيشه والمحققة لرفاهية الانسان ، والمتسببة في فقدان علاقته المتوازنة مع البيئة ، وفي ظهور مشكلات البيئة ، ولا يخلو أي قطر في العالم اليوم من مشكلة أو أكثر ، ومن بينها :

* مشكلة التلوث كتلوث الغذاء ، والماء ،والهواء ، والتربة ، والتسممات الكيميائية .
* مشكلة استنزاف موارد البيئة كالموارد المائية، والنباتية والحيوانية والمعدنية .
* مشكلة النمو المتزايد للسكان ومشكلات الحروب وآثارها .

وتعد مشكلة التلوث من المشكلات الكبيرة التي أولتها الدول اهتماما واضحاً لما لها من مخاطر ، وآثار سلبية على نوعية حياة الانسان ، وممتلكاته وموارده المتجددة ، وعليه فقد عدّت قضية تلوثالبيئة مشكلة تهدد حياة الانسان اليوم ومستقبلا (١ ص ١٣٨) .

ان هذه المشكلات جعلت الانسان يشعر بالاخطار المهددة لوجوده نتيجة لها إن لم يحلها ، ويحافظ عليها كي يعيش في بيئة صحية آمنة .

ان سلامة النظم البيئية ، وسلامة الجنس البشري يتطلبان المحافظة على البيئة ، وهذا أمر يحتاج الى اتفاق عالمي وتعاون دولي (٢ص ٢٠) .

لقد عدّت مسألة المحافظة على البيئة مسألة حيوية تنظمها النواحي التشريعية والعلمية والتقنية ، والأهم من هذا كله أنها عدّت أيضا مسألة تربوية بالدرجة الأولى تعتمد على النوعية التربوية للانسان عن طريق التربية والتعليم على مختلف المستويات لخلق وعي بيئي ، وقيم ، واتجاهات بيئية وحسن تعامل بيئي وصحة بيئية . (٣ ص١).

وقد برزت أهمية التعليم البيئي في الاعوام الاخيرة ، واتضحت جهوده لتحقيق ذلك فضلا عن سعيه الى توعية المتعلمين بما في النظام البيئي من

مصادر طبيعية ضرورية لاستكمال مشروعات التنمية وتزويد المتعلم في أول مراحل حياته بالمعرفة بما يحيط بهمن نظم وظروف بيئية .

وعليه قامت الدول بوضع المشروعات البيئية وبعقد الندوات والمؤتمرات واقترحت أن تكون للمناهج البيئية غايات وأهداف لتحقيق التعليم البيئي ، ويتضح ذلك في اهتمام الأمم المتحدة عن طريق مؤسساتها التعليمية لنشر التربية البيئية في مناهج المدارس والجامعات . وقد كانت السويد والولايات المتحدة الاميركية أسبق الدول في هذا المضمار .

كما اتضح ذلك في جهود مؤتمر تبليسي الذي أكد أن التربية البيئية تستلزم استخدام جميع الموارد التعليمية المتاحة ،لتكون وسيلة حاسمة للنهوض بتربية أكثر اتفاقاً مع واقع المجتمعات والافراد ، واحتياجاتهم ومشكلاتهم في العالم الحديث إذ يجب أن لاتكون التربية البيئية بما فيها من حفاظ على البيئة مجرد مادة اخرى تضاف الى المناهج الدراسية القائمة ، بل يجب دمجها في المناهج المخصصة للدارسين جميعاً ، مما يتطلب تطبيق مفاهيم وأساليب وتقنيات جديدة في اطار مجهود عام يركز على الدور الاجتماعي للمؤسسات التربوية ، وعلى اقامة علاقات جديدة بين جميع الشركاء في العملية التربوية . (٤ ص ٣٦) .

واهتمت منظمة اليونسكو بوجه خاص بالتعليم البيئي سواء كان في المدارس أم في الجامعات ، وألّفت العديد من الكتب التي تخص التربية البيئية ، كما أسهمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مشروع الأمم المتحدة للشؤون البيئية (UNEP) الذي يعرف بالمشروع البيئي في الوطن العربي (٥ص ٧) .

وفي الوطن العربي بصورة عامة ، وفي العراق بصورة خاصة لم تحظ الدراسات التي تخص التربية البيئية بالاهتمام الذي تستحقه على الرغم من أن البيئة فيه تحتوي على كثير من الموارد التي تؤثر في حضارته وحضارة ومستقبل العالم.

وتسعى الدول العربية والعراق منها الى تحقيق خطوات واسعة في التقدم لتحتل مكانتها التي تليق بها بين الدول المتقدمة ، ومما يتطلبه ذلك اعداد مناهج تعليمية جامعية فعالة تضمن البعد التربوي البيئي الذي يؤكد من بين ما يؤكده الحفاظ على صحة البيئة من خلال تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم العلاقات المعقدة التي تربط الانسان بمحيطه الفيزيقي ، وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وحسن استخدامها لتحقيق صحة المجتمع حفاظاً على حياته ورفع مستويات معيشته .

والمنهج الجامعي الذي أحسن تصميمه هو الذي يؤكد هذه التربية في جميع الموضوعات الدراسية ، ولاسيما العلوم والصحة ، فالعلوم تستطيع على سبيل المثال أن تمد المتعلم بالمعلومات والمبادىء اللازمة عن المصادر الطبيعية والعلاقات بين مقومات البيئة ، بينما تسهم الموضوعات الصحية في تعميق نظرته للآثار الصحية لتلك المصادر (٧ ص ١٣) .

وتولي كليات التمريض فيالجامعات العربية اهتماماً بالغاً لهذه الموضوعات في مناهجها الدراسية ، وهي مناهج موحدة في الوطن العربي، فقد كان تمريض الصحة العامة مقرراً مهماً يدرس في المرحلة الرابعة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين حتى اليوم .

وقد تبنت معظم وزارات الصحةالعربية مشاريع لرعاية الصحة الأولية الذي يفترض أن تؤدي ممرضة صحة المجتمع الدور الاساسي فيه ، ففي مجال صحة البيئة ، ومكافحة الامراض المعدية ، وخدمات الصحة المدرسية ، ورعاية الأمومة والطفولة لممرضة صحة المجتمع المكان المناسب لتقديم كل الخدمات الأساسية في هذه المجالات فضلاً عن دورها البارز في مجال التثقيف الصحي البيئي والتوعية الصحية البيئية ، مما يوضح أهمية اعدادها لممارسة هذا الدور خلال المناهج .

ـ كما وتهتم الكليات بتدريس موضوع (تمريض صحة المجتمع) وهو ذلك الجزء من الخدمات الصحية الموجهة لتطوير قابليات الافراد الصحة

وتنميتها سواء على شكل فرد أو جماعة والكتب المقررة له تغني بتنمية مفاهيم الحفاظ على صحة البيئة •

هذه الصحة التي هي أساس تقدم المجتمع ،وقد أوضحت أهداف تدريسه مفاهيم تؤثر الحفاظ على صحة البيئة لكونه من واجبات المواطنة والدولة ولضرورته في ادامة الحياة وفي تحقيق صحة الفرد والمجتمع ورفاهيته •

ان الكتاب المنهجي لكونه يعرض المواد الدراسية المقررة بشكل منظم وواضح يفهمه الطالب في موضوع معين وفي صف دراسي معين يعدّ عنصراً أساسياً من عناصر العملية التعليمية التي تعبر عن أهداف المنهج(٧ص ١٣٥)•

والكتاب المدرسي أيضاً أداة تعليمية بالغة الأهمية وضرورية وشائعة الاستخدام بين الطلبة وعليه يمكن أن يحتوي البعد التربوي البيئي ويغطيه تغطية ملائمة لتوجيه سلوكهم نحو بيئتهم •

ــ وهناك دراسات سعت الى تجديد مدى مراعاة الكتب المقررة في مراحل التعليم العام لأهداف التربية ومعاييرها والحفاظ على البيئة :ــ

« دراسة بحري والدفاعي ١٩٨٥ » ، دراسة صبار بني ١٩٨٧»

« دراسة حسين ١٩٨٨ » ، « دراسة بحري وسلسل ١٩٩٢ » ،

« دراسة هارمان ١٩٧٩ » ، « دراسة بحري والمقدم بنيله ١٩٩٩ » ،

« دراسة روزنشال ١٩٨٣ » ، « دراسة نيسلون وشرويدر ١٩٨٩» •

ومما بيّنته بعض نتائجها ضعف مراعاة الكتب المؤثرة لأهداف التربية البيئية ومعاييرها والحفاظ على البيئة ، وتركيزها على الجانب المعرفي من المضامين البيئية مع ضعف شديد فيتأكيد نوعية الفرد بعلاقته المتبادلة مع البيئة ومشكلاتها •

وبما أن كتب صحة تمريض المجتمع من الكتب المقررة للدراسة الجامعية الأولية فيمكن الاستفادة منها في هذا المضمار لانها تتناول عناصر من البيئة الطبيعية كالماء والهواء والنباتات والحيوانات ، مما يساعد على توقي المشكلة الصحية البيئية وعلاجها عن طريق التربية البيئية الواعية لطلبة التمريض •

هذه المرحلة التي تعد مرحلة مكملة للمرحلة الاعدادية في تعليم الطالب وتكوين شخصيته من خلال كشف قدراته وتوجيهه مهنياً ودراسياً وتهيئته للدراسات العليا أو الالتحاق بمجالات العمل والانتاج •

ــ وكليات التمريض بوصفها مؤسسات اجتماعية رسمية تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة المتطورة في توفير الظروف المناسبة للنمو المتوازن والمتكامل للطالب ، مطلوب منها أن تسعى الى مساعدته على تعلم مختلف المعارف والاتجاهات والمهارات التي تمكنه من أداء دوره في المستقبل مواطناً فعالاً قادراً على اتخاذ القرارات التي تؤثر فيه وفي صحة بيئة مجتمعه المتغير• ونحن اليوم أحوج ما نكون الى مواطن قادر على الحفاظ على صحة بيئته (أهداف التمريض ص ٣٥) ، الى ممرضة يمكنها الاسهام بفاعلية تثقيفه في ذلك ، باعتبارها مسؤولة معينة رسمياً لزيارة البيوت وتقديم الارشادات لأفراد عوائلها حول كيفية الحفاظ على صحتهم •• وهم النساء الحوامل والمرضعات والاطفال وطلاب المدارس والمراهقين والكبار في السن فممرضة الصحة العامة إذن هي المدرسة والمرشدة الصحية المستعدة لمساعدة كل الناس وفي كل الظروف فهي تعنى بهم منذ ولادتهم الى وفاتهم وإن لم تتمكن بنفسها من مساعدتهم عن طريق المعلومات المتوفرة عندها حول المجتمع الذي تعمل فيه وامكانياته الخدمية والصحية ينبغي عليها أن ترشدهم الى أفضل مؤسسة صحية أو خدمية لحل مشكلتهم • انها بمثابة باحثة طبية اجتماعية نظراً لمعلوماتها ومهارتها في العناية الصحية وحل المشاكل الاجتماعية ولكونها على علاقة وطيدة بعوائل منطقة عملها مما يمكنها من معرفة أسباب كثير من أمراض ومشاكل تلك العوائل وبذلك تساعدها على حلها وترشدهم الى مؤسسات أو ذوي اختصاص لحلها قبل استفحالها (١٢مصدر سابق صفحة١٢)•

لذا يسعى البحث الحالي الى التعرف على المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة في كتب صحة تمريض المجتمع الذي يمكن أن ينمي لدى الطالب الحفاظ على صحة بيئته • وهذا له أهميته البالغة للأسباب الآتية :

١ ــ لأن مرحلة الدراسة الجامعية الاولية التي يمر الطالب فيها مرحلة شباب تتسم بنمو كبير فيمختلف الجوانب عقلاً ووجدانا وجسماً • وتوجيه هذا النمو له أثر في اكتساب المعرفة والقيم والاتجاهات والمهارات المتعلقة بالحفاظ على صحة البيئة •

٢ ــ لأهمية كتب تمريض صحة المجتمع لما تحتويه من معلومات تمكن الطالب من فهم الحقائق والمفاهيم المتعلقة بالبيئة ، وتفاعل الانسان معها ، وسعيه للحفاظ على سلامتها وحل مشكلاتها الصحية وتطويرها •

وهي تكتسب أهميتها من تماثل مفرداتها مع مفردات مثيلاتها في كليات التمريض في الدول العربية وغيرها من الدول بوجه عام •

٣ ــ لامكانية الافادة من نتائج البحث عند تنقيح (كتب تمريض صحة المجتمع) •

٤ ــ لاستجابة البحث لتوصية من توصيات المؤتمر العالمي للبيئة (قمة الارض) الذي انعقد في نيويورك ١٩٩٠ التي أكدت ضرورة القيام بالبحوث والدراسات في مجال البيئة والحفاظ عليها (١٠) •

٥ ــ لكونه بحثاً تفتقر اليه المكتبة العربية ، ولم يتوصل الى مثله من قبل باحث عربي حسب علم الباحثة من خلال تقصيها في المراجع ذات العلاقة مما يمكن أن يمهد لدراسات لاحقة •

اهداف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة في الكتب المنهجية في كليات التمريض من حيث الكم والنوع •

حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي علىتحليل محتوى الكتب المنهجية الموحدة التي تناولت البيئة في مرحلة الدراسة الجامعية الأولية ــ في كليات التمريض في الجامعات العربية•

وهذه الكتب هي :ـ

١ ـ المدخل الى تمريض صحة المجتمع ١٩٩٨م الكتاب المنهجي المقرر للصف الرابـع •

٢ ـ تمريض صحة المجتمع ١٩٩٨م الكتاب المنهجي المساعـد المقرر للصف الـرابع •

وكذلك يقتصر التحليل على بعض عناصر البيئة الطبيعية •

تعريف المصطلحات :

ان التعاريف التي تبناها البحث للمصطلحات التي وردت فيه هي :ـ

المحتـوى : Content

هو مضمون المادة الدراسية على وفق سياق منظم (١٣ ص ٥٨) •

تحليل المحتـوى : Content Analysis

هو أسلوب بحثي يستهدف وصفاً كمياً منظما وموضوعيا للمحتـوى الصريح للمادة (١٤) •

التربيـــة : Education

تنمية معرفة اتجاهات الطلبة ومهاراتهم من خلال محتوى الكتب المقررة•

الحفـاظ : Conservation

عـدم التسبـب في احـداث أثـر سلبي في المصادر resources تحـت ظروف معينة • أي ضمان حسن حالتها بما يفيد صحة الانسـان عند اتخاذ موقف في التعامل مع بعض عناصر البيئة الارض ، والمياه ، والهـواء، والنباتات ، والحيوانات ، والمعادن (١٥ ص ١٢٧) •

البيئـة : Environment

هي المحيط الذي يعيش فيه الانسان ويمارس فيـه نشاطاته المختلفـة ويتفاعل معه ، بما فيه من عوامل اجتماعية وطبيعية ، تؤثر في حياتـه بشكـل ايجابي أو سلبي •

صحـة البيئـة :

علم السيطرة على جميع العوامل في البيئة الطبيعية للانسان والسيطـرة على التدهور الذي يؤثر في كمال الناحية النفسية الجسمية والعقلية وتشجع على الطبائع الصحيحة الصحيحة • وهو النمط الصحي فـي الحيـاة الذي يؤثر في كمال كل عضو في العائلة • وهي نوعية المعيشة التي تعبر بشـكل بيئي نظيف وحقل نظيف وعمـل نظيف وجـار نظيف ثـم مجتمـع نظيف (١٢ صفحة ٢١٣) •

التربية البيئيـة :

حددها برنامج اليونسكو (UNEP) قسم التربية البيئية :

هي عملية تهدف الى توعية سكان العالم بالبيئة الكلية وتقوية اهتمامهم بها ، وبالمشكلات المتصلة بها وتزويدهم بالمعلومات والحوافز والمهارات التـي تؤهلهم فرادى وجماعات للعمل على حل مشكلات البيئة والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة • وتكون هذه العملية مستمرة لبنا ءهذه البيئة (١٧ص ٨)•

المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة :

هو مضمون موضوعات كتب صحة تمريض المجتمـع التي يمكـن أن تنمى لدى طلبة كلية التمريض المعرفة والاتجاهات والقيم والمهارات المتعلقـة بالحفاظ على مكونات صحة البيئة بدلالة تصنيف فكرة (Theme).

المنهجمجموعة الخبرات التربويةالتي يتلقاها المتعلمداخلالمؤسسةالتربوية وخارجها وبتوجيه المدرس واشرافه (بحري • مصدر سابق رقم ٧ صفحة ٦)• واجرائياً التعريف الذي يحقق هدف البحث •• المضمون التربوي للحفـاظ على صحة البيئة في الكتب المقررة في كلية التمريض في جامعة بغداد •

(١)

اجـــراءات البحـــث

طريقة البحـث :

الهدف الرئيس من هذا البحث هو تحليل الكتب المقررة لمادة تمـريض صحة المجتمع في كلية التمريض في المرحلة الجامعية في العراق للتعرف على مدى مراعاتها والحفاظ على صحة البيئة • ومن أجل تحقيق هذا الهدف اتبعت الباحثة أسلوب تحليل المحتوى (Content Analysis) وقـد اعتمـدت العديد من الدراسات السابقة هذه الطريقـة في دراسـة محتوى وسائـل الاتصال • والمجلات والكتب الدراسية وغير ذلك •

ويعرّف هولستي (Holisti) تحليل المحتوى بأنه :

(أسلوب للقيام بعمل استنتاجات عن طريـق التشخيص الموضـوعي المنهجي الحكم لخصائص محددة في المحتوى) (٢٥ ص ٦٦) •

ويقصد بالموضوعية أن تكون أصناف التحليل معرفة ومحددة بصورة دقيقة جداً بحيث يكون باستطاعة المحللين تطبيقها على مادة المحتوى نفسهـا ليصلوا الى النتائج نفسها •

أما المنهجية فهي تحليل كل المحتوى المناسب والمتصل بالمشكلـة المـراد معالجتها ويقتضي هذا استبعاد التحليلات الجزئية التي تحتوي على العناصـر التي اختيرت لدعم وجهة نظر المحلل •

أما التكميم فهو المدى أو التأكيد النسبي الذي تظهر فيه الاصنـاف المحللة في المحتوى ، ويستلزم التكميم اعطاء قيم رقمية للاصناف •

هذا ومن أجل أن تكون طريقة تحليل المحتـوى موضوعية ومنهجيـة وكمية ينبغي تحديد مصادر البيانات وأن تكون للبحث اداة للتصنيف ووحدات للتحليل ووحدات تعداد وقواعد صريحة وواضحة لطريقة التحليل وقياس ثباته (٢٥ ص ٦٧) •

وقد اتبع البحث الحالي هذه الخطوات في عملية التحليل •

تحديد مصادر البيانات :

اعتمد هذا البحث كتابي تمريض صحة المجتمع للصف الرابع وهما يمثلان المجتمع الكامل لكتب هذا الحقل التمريضي وقد بلغ عدد الصفحات المحللة (٦١٢) •• الكتاب المنهجي للصف الرابع ٢٨٨ صفحة • والكتاب المنهجيالمساعد للصف الرابع ٣٣٠ صفحة •

اداة البحث (اداة التصنيف) :

من الضروري أن يكون لهذا البحث أداة للتصنيف تحقق هدفه وتلائم المادة المحللة ، يتم بموجبها تحليل محتوى تلكالكتب • ولكي تبنى هذه الأداة لابد أولاً من تحديد مضامين الحفاظ على صحة البيئة •

ولقد اعتمدت الباحثة في تحديدها على مصادر متنوعة وهي : أهداف التربية البيئية عالميا وعربياً وقطرياً ،وأهداف تدريس التمريض الجامعي وصحة تمريض المجتمع ، التي لها علاقة بالحفاظ على البيئة ومضامين الحفاظ على البيئة في عدد من الدراسات السابقة وآراء الخبراء(*) •

هناك أنواع من وحدات التحليل منها ما شاع استعمالها أكثر من غيرها مثل : «الكلمة» وهي أصغر وحدة للتحليل «والموضوع» وهي أكبر من وحدة الكلمة ، ووحدة «الشخصية» وهي التي تكون المحرك لمواقف أو لأحداث ويعتمد عليها لاسيما في القصص ، ووحدة «المقاييس» (المساحة والزمن) تقوم على قياس مساحة المقال أو وجوده في الصفحات لاسيما عند تحليل الصحف والدوريات ، والفكرة (Theme) هي وحدة تحليل تأتي بعد الكلمة وهي يمكن أن تكون جملة بسيطة أو جملة مركبة •

وقد اعتمدت الباحثة « الفكرة» في هذا البحث كوحدة تحليل حيث لها من السعة مايكفي لاعطاء معنى ، ومن الصغر ما يقلل من احتمال تضمينها

---

* الخبراء هم :ـ
الاستاذة المساعدة وديعة الداغستاني ـ كلية التمريض ـ جامعة بغداد
والاستاذة المساعدة احلام يوسف ـ كلية التمريض ـ جامعة بغداد
والاستاذة المساعدة سلوى شاكر ـ كلية التمريض ـ جامعة بغداد .

لعدة اتجاهات • كذلك تكون وحدة الفكر أكثر ملائمة لأبحاث القيم والاتجاهات قياساً بالوحدات الاخرى (٢٥ ص ٧٨) وقد استخدمت هذه الوحدات في كثير من الدراسات السابقة التي تناولت تحليل الكتب المدرسية مثل دراسة بحري وسلسل (١٩٩٢) ودراسة المفرجي (١٩٩٨) •

وتقسم الفكرة الى نوعين : الفكرة الصريحة التي تكتب بشكل مباشر والفكرية الضمنية التي تأتي بشكل غير مباشر وقد اعتمدت الباحثة الفكرة الصريحة أداة للتحليل لكون أغلب عبارات كتب الاحياء واضحة وصريحة لاتحتاج الى كثير من التفسير والتأويل مقارنة بكتب العلوم الانسانية •

أما وحدة السياق (المضمون)(Context - Unit) كما يراها (Stone) ، فهي الهيكل المحيط بوحدة التسجيل الذي يجب فحصه لغرض التوصل الى تشخيص وحدة التسجيل ، ووحدة السياق (المضمون) في هذا البحث هي الفقرة أو الموضوع الذي توجد فيه الفكرة •

وحدة التعداد

استخدمت الباحثة (التكرار) وحدة تعداد لتشخيص الفكر في كل مجال من مجالات التربية البيئية وحقولها الفرعية وحولت التكرارات الى نسب مئوية لغرض التحليل وتعد هذه الطريقة أكثر استخداماً في بحوث المحتوى وتحليله (٢٥ ص ١١٢) •

خطوات التحليل :

اتبعت الباحثة الخطوات الآتية في تحليل محتوى الكتب :

١ ـ قراءة الموضوع كاملاً لتحديد المضمون الذي يحوي فكراً •

٢ ـ قراءة كل فقرة يتم ـ من خلالها ـ تعرف الفكرة الاساسية وبهذا طبقت وحـدة المضمون •

٣ ـ تحديد الفقرات التي تحتوي فكراً •

٤ ـ تحديد نوع الفكرة من العبارات في ضوء التصنيف الذي وضعته الباحثة •

٥ ـ اعطاء تكرار واحد لكل فكرة ترد في العبارة وتفريغ نتائج التحليل في في جداول خاصة •

وقد اتبعت هذه الخطوات نفسها في دراسات سابقة مماثلة مثل دراسة المفرجي •

قواعد التحليل واسسه :

اتبعت الباحثة في عملية التحليل قواعد وأسساً تساعد على تحديد الفكر بشكل دقيق • وفيما يأتي هذه القواعد والأسس :

١ ـ اذا احتوت العبارة عطفاً فتحلل الى فكر مستقلة الواحدة عن الاخرى بعدد مرات العطف •

٢ ـ عند احتواء الفكرة الرئيسة فكرة فرعية ، تعامل كل فكرة فرعيةعلى أنها فكرة مستقلة في التحليل •

٣ ـ اذا كانت الفكرة غير واضحة لكونها مرتبطة بما قبلها أو بعدها يرجع الى قراءة الفكرة السابقة او اللاحقة حتى تشخص بشكل دقيق وواضح •

٤ ـ في حالة ظهور فكرة لاتتفق مع مجالات المعيار توضع في تصنيف منفصل •

ثبات التحليل :

لايجاد ثبات تحليل محتوى الكتب بين الباحثة ونفسها عبر الزمن وبينها وبين محللين آخرين كل على حدة ، تم استخدام معادلة هولستي لايجاد معامل الاتفاق في التحليل (٥ ص١٤٠) وقد أجريت هذه العملية مرتين : في المرة الاولى حسب معامل الاتفاق بالنسبة لتسمية الافكار وفي المرة الثانية حسب بالنسبة لتصنيف الافكار من حيث كونها معرفية أو وجدانية أو مهارية

وكان مجموع عدد الصفحات التي تم تحليلها لأجل ذلك (١٦٢) صفحة وهي تمثل نحو (١٢٪) من المجموع الكلي لعدد الصفحات في الكتب •

بلغ معامل الاتفاق بين الباحثة ونفسها وذلك بعد مرور ثلاثة أسابيع تقريباً (٩٣ر٠) و (٩١ر٠) على التوالي •

بلغ معامل الاتفاق بين الباحثة والمحلل الاول (٨٤ر٠) من المرة الاولى و (٨٣ر٠) في المرة الثانية •

بلغ معامل الاتفاق بين الباحثة والمحلل الاول (٨٢ر٠) في المرة الاولى و (٨١ر٠) في المرة الثانية •

وهذه المعاملات تشير الى أن ثبات التحليل كان بشكل عام جيداً ومقبولا ، إذ يذكر هولستي أن الثبات الجيد تتراوح معاملاته بين (٨ر٠-٩ر٠) ويعد ضعيفاً ان كان معامله أقل من ذلك (٢٥ص١٤٠) •

(٢)

(عرض النتائج وتفسيرها)

يبين الجدول رقم (١) ان مجموع فكر المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة في الكتابين عينة البحث تقدر بـ (١٠٨٠) فكرة . وان (٤٦٪) منها في الكتاب المنهجي المساعد و (٥٤٪) منها في الكتاب المنهجي المقرر • هذه الفكر ككل تتوزع من الأعلى نسبة فالادنى على مجالات فكر الحفاظ على الوجه التالي :ـ

الوقاية (٢٨٪) ، السيطرة (٢٢٪) ، السلامة (١٧٪) التقدير (٩٪) ، التقدير (٧٪) الصيانة (٧٪) ، حسن الاستثمار (٧٪) • وان توزيع هذه الفكر بوجه عام على العناصر الطبيعية من الأعلى نسبة فالادنى هو :

الهواء (٢٦٪) ، الماء (٥ر٢١٪) ، الارض (٢١٪) ، الحيوانات (١٢٪) ، النباتات (١١٪) ، المعادن (١٪) •

ويبين الجدول رقم (٣) توزيع الفئات ضمن مجالاتها بموجب نسبها المئوية ومنه يتبين ما يأتي :

مجال الوقاية :

أكد الكتاب المقرر مفهوم الوقاية بنسبة (٢٨٪) من المجموع الكلي لنسب فكره • واحتوى هذا المجال على ثلاثة فئات فرعية ، احتلت فئة (اتخاذ التدابير الصحية اللازمة لمنع تضرر البيئة) التريث الاول بينها ، اذ تقدر نسبتها الى مجموع نسب المجال (٥٠٪) ، وتلتها الفئة (تأمين صحة البيئة لتصلح للعيش) التي تقدر نسبتها بـ (٤٢٪) ، ثم الفئة الثالثة (ترسيخ الاحساس) القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئة) بنسبة ضئيلة (٨٪) •

* وعند النظر الى صورة هذا المجال في الكتاب المساعد يلاحظ أن ثلثي نسبته تتركز في الفئة (اتخاذ التدابير الصحية اللازمة لمنع تضرر البيئة) وهي أعلى من نسبتها في كتاب الصف الاول لأهميتها في تمريض صحة المجتمع ، إلا أن (فئة تأمين صحة البيئة) اتجهت نحو الانخفاض على الرغم من كون نسبتها ملحوظة أيضا • أما الفئة الثالثة (ترسيخ الاحساس القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئة) فعلى الرغم من تصاعد نسبتها في هذا الكتاب الا أنها ما زالت ضئيلة جدا أيضاً •

* أما من حيث توزيع نسب هذه الفئات على عناصر البيئة الطبيعية فيبدو أن أكثر من نصفها ٢٤٪ لعنصري الهواء فالماء ، وتكاد تتساوى نسب فكر وقاية الحيوانات التي تعتمد عليها حياة الانسان والارض التي يسكنها (١٦٪ و ١٥٪) على التوالي ،أما النباتات التي يغتذي عليها فنسبتها ضئيلة (٩٪) ، وأكثر ضآلة منها نسبة المعادن التي يستخدمها (٣٪) ، هذا وعلى الرغم من تقارب نسب التأكيد على العناصر الطبيعية في البيئة في هذا الكتاب مع مثيلاتها في الكتاب المقرر ، ألا أن مسيرتها متذبذبة فتارة تتجه نحو الانخفاض كما هو الحال بالنسبة

للماء والنباتات والمعادن حيث تدنت نسبتها مقارنة بما كانت عليه في الكتاب المقرر وتارة أخرى تتجه نحو الارتفاع كما هو الحال بالنسبة للهواء والحيوانات •

وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :

- تأكيد (اتخاذ التدابير الصحية اللازمة لمنع تضرر الهيئـة) و (تأمين صحة البيئة) •
- ضآلة التأكيد على (ترسيخ الاحساس القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئـة) •
- وجود تباين كبير بين نسب فئات فكر المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة الأعلى منها والادنى ، وكذلك بين نسب فكر المحتوى الموزع على عناصر البيئة الطبيعية •
- تركز مفاهيم الوقاية في العناصر الطبيعية : الهواء ، والماء ، والارض ، والحيوانات مع ضآلتها بالنسبة للنباتات والمعادن •

مجـال السيطـرة :

* أكد الكتاب المقرر مفهوم السيطرة بنسبة ملحوظة (٢١٪) من المجموع الكلي لنسب فكره • واحتوى هذا المجال على ست فئـات فرعية • واحتلت فئة (التوعية بأضرار الملوثات البيئية وتجنبها من خلال الاعلام البيئي)التريث الاول فيها (٢٥٪) ، وتلتها فئة (السيطرة على مجاري المياه القذرة) بنسبة (٢٢٪) واحتلت الفئة (التثقيف الصحي لمكافحة الامراض المعدية) التريث الثالث وبنسبة (٢١٪)، ، ثم الفئة رقم ٤ وهي (السيطرة على المصاب) وبنسبة ١٤٪ ثم السيطرة على عـامل الجرثوم (١١٪) ،أما الفئة التي كانت الادنى نسبة بين فئـات هـذا المجال فهي (التطهير والتعقيم) (٧٪)•
* وعند النظر الى صورة هذا المجال فيالكتاب المساعد يلاحظ وجـود اتجاهات مقاربةلنسب فئات هذا المجال مع مثيلاتها فيالكتاب المقرر ،مع

ازدياد ملحوظ في نسبة فئة التطهير والتعقيم •

* أما من حيث توزيع نسب هذه الفئات على عناصر انبيئة الطبيعية فيبدو أن التأكيد الأكبر كان للهواء (٢٥٪) ، فالماء (١٦٪) فالارض (١٩٪) ، فالحيوانات (٣١٪) فالنباتات (١٢٪) فالمعادن (٣٪) •

وعند النظر الى صورة هذا التوزيع في الكتاب المقرر يلاحظ ازدياد شدة تأكيد العناصر الطبيعية الثلاثة الاولى ، ثم تناقص شدة التأكيد على العناصر الطبيعية الثلاثة الاخيرة •

* وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :ــ

ــ شدة تأكيد « التوعية بأضرار الملوثات البيئية وتجنبها » ، و « السيطرة على مجاري المياه القذرة » ، و « التثقيف الصحي لمكافحة الامراض المعدية » •

ــ قلة تأكيد «السيطرة على المصاب » و « حامل الجرثوم » و «التطهير والتعقيم» •

ــ تركز مفاهيم السيطرة في العناصر الطبيعية : الماء ، والهواء ، والارض ، والنباتات مع ضآلتها بالنسبة للحيوانات والمعادن •

مجال السلامة :

* اكدالكتابالمقرر مفهوم السلامة بنسبة يمكن اعتبارها معقولة (١٧٪) واحتوى هذا المجال على أربع فئات فرعية الفئة الاولى « عدم تلويث البيئة » تموت بارتفاع نسبتها (٨٤٪) بالنسبة الى مجموع نسب هذا المجال •

ــ أما الفئة عدم تدمير البيئة رقم (٢) فنسبتها ضئيلة (١٢٪) • وأشد منها ضآلة «عدم الاخلال بتوازن البيئة » الفئة رقم (٣) ثم المحافظة على جمالية البيئة (١٪) •

* وتبدو اتجاهات فئات المجال في الكتاب المساعد مشابهة جداً لمثيلاتها في الكتاب الأول •

* ويبدو تأكيد عناصر البيئة الطبيعية : الماء فالهواء فالارض في الكتاب المقرر أكثر من تأكيد عناصر النباتات والحيوانات والمعادن ٠ وتظهر نتائج مقاربة بصددها في الكتاب المساعد ٠
* وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :ـ
  - شدة تأكيد عدم تلويث البيئة ٠
  - ضآلة تأكيد عدم تدمير البيئة ، وعدم الاخلال بتوازنها ٠
  - والضآلة الشديدة في تأكيد « المحافظة على جمالية البيئة »
  - تركز مفاهيم السلامة في العناصر الطبيعية : الماء ، والهواء ، والارض ، مع ضآلتها بالنسبة للنباتات والحيوانات والمعادن ٠

مجـال التقديـر :

* أكد الكتاب المقرر مفهوم التقدير بنسبة ضئيلة (٩٪) واشتمل هذا المجال على خمس فئات فرعية ٠ وتميزت فئة «تقدير دور المرضة في توفير الصحة البيئية » بارتفاع نسبتها (٥٣٪) بالنسبة الى مجموع فكر هذا المجال ككل ٠

وجاءت في الترتيب الثاني الفئة رقم (١) : «الايمان بأهمية الاتجاهات الصحية السليمة في التعامل مع البيئة » (٢٧٪) ٠

ولم تحظ َ فئة « تثمين جهود الدولة في المحافظة على صحة البيئة بنسبة يمكنوصفها بكونها مقبولة (١٤٪) ، ولم تظهر فئة (تقدير أهمية صحة البيئة العربية وأثرها في صحة بيئة العالم) بنسبة أفضل (٦٪)٠

* وتبدو اتجاهات فئات المجال في الكتاب المساعد مشابهة لمثيلاتها في الكتاب الأول ٠
* ويبدو تأكيد عناصر البيئة الطبيعية في الكتاب المقرر للهواء أولا ، فالأرض فالماء وبمجموع نسب تشكل ثلثي مجموع نسب هذا المجال ٠ ولم تظهر للنباتات والحيوانات والمعادن نسب يمكن اعتبارها مقبولة ٠ وتظهر نتائج مقاربة بصددها في الكتاب المساعد ٠

* **وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :ـ**

- شدة تأكيد « تقدير دور المرضة في توفير صحة البيئة » .
- **تأكيد «الايمان بأهمية الاتجاهات الصحية السليمة في التعامل مع البيئة » .**
- ضآلة تأكيد **«تثمين جهود الدولة في المحافظة على صحة البيئة » ، وكذلك «تقدير أهمية صحة البيئة العربية وأثرها على صحة بيئة** العالم » و « تقدير الجمال لمظاهر صحة البيئة » .
- **تركز مفاهيم التقدير في العناصر الطبيعية على :ـ الارض ، فالنباتات ، فالماء ، فالهواء ، فالنباتات ، فالحيوانات ، فالمعادن .**

مجال الصيانة :

* **أكد الكتاب المقرر على مفهوم الصيانة بنسبة ضئيلة جدا (٧٪)** واشتمل مجالها على ثلاث فئات فرعية ، واحتلت الفئة رقم (١) « ادامة صحة البيئة » التريث الاول بينها وبنسبة عالية (٧٥٪) من مجموع نسب المجال . أما الفئتان : «اصلاح البيئة بعد تلفها» و «وقف التدهور البيئي » فلم تحظيا بنسب ملحوظة في هذا المجال ويلاحظ وجود اتجاهات مشابهة لفئات المجال في الكتاب المساعد .

* **ويبدو تأكيد عناصر البيئة الطبيعية : الهواء فالماء بصورة أكبر من تأكيد العناصر الطبيعية الاخرى النباتات والحيوانات ، وانعدم تأكيد صيانة المعادن ، أما الكتاب المساعد فقد اهتم كثيراً بصيانة الارض** فالهواء فالماء . وتناقص اهتمامه كثيراً بالعناصر الاخرى : **النباتات والحيوانات . و انعدم اهتمامه بصيانة المعادن ايضا .**

* وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :ـ

- **شدة تأكيد ادامة صحة البيئة .**
- ضعف تأكيد (اصلاح البيئة بعد تلفها) و (وقف التدهور البيئي).

ـ الاهتمام بصيانة الارض فالهواء بشكل ملحوظ •

ـ تدني نسبة الاهتمام بصيانة النباتات والحيوانات • وانعدام نسبة الاهتمام بصيانة المعادن •

مجال التطوير :

* أكد الكتاب المقرر مفهوم التطوير بنسبة ضئيلة جدا (٧٪) واشتمل مجاله على أربع فئات فرعية • واحتلت الفئة رقم (١) «تحقيق الاصلاح البيئي» التريث الاول بينها وبنسبة تمثل نصف مجموع نسب هذا المجال • وحصلت الفئة (٢) ، «المساهمة في حل المشكلات الصحية البيئية » على ربع مجموع نسب المجال • وحصلت الفئة رقم (٤) « تحقيق تقدم صحة البيئة في ضوء البحث العلمي » على نسبة ملحوظة أيضا (١٩٪) • أما الفئة «التعاون وطنيا واقليميا وعالميا لتحسين صحة البيئة » فقد حصلت على نسبة ضئيلة جدا (٦٪) •

أما في الكتاب المساعد :

فقد ازداد تأكيد تحقيق الاصحاح البيئي مقارنة بالكتاب المقرر • أما الفئات الاخرى فلم يطرأ عليها تغير ملحوظ •

* ويبدو تأكيد تطوير عناصر البيئة الطبيعية : النباتات فالارض فالحيوانات فالهواء بوضوح أكبر على تأكيد تطوير ما يتعلق بالماء والمعادن • ولا يلاحظ وجود استقرار في نسب هذه العناصر فيالكتاب المساعد فمنها ما ازدادت نسبته كالماء ومنها ما انعدمت نسبته كالحيوانات •

* وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين : ـ

ـ شدة تأكيد تحقيق الاصحاح البيئي •

ـ تأكيد المساهمة في حل المشكلات الصحية البيئية •

ـ ضعف تأكيد التعاون العربي والدولي لتحسين صحة البيئة وتحقيق تقدم صحة البيئة في ضوء البحث العلمي •

ـ تركز تطوير عناصر الطبيعة في الارض والنباتات والهواء •

مجـال حسن الاستثمار :

* أكد الكتاب المساعد مفهوم حسن الاستثمار بنسبة ضئيلة جدا (٧٪)، واحتوى هذا المجال على ثلاث فئات • وحظيت الفئة الاولى « استثمار البيئة بما يعود على صحة المجتمع بالتقدم » بأعلى نسبة بينها (٦٠٪)، وحظيت الفئة الثانية «استثمار الطاقة في الصناعة بما لايضـر بصحـة البيئة» بنسبة ملحوظة (٣٦٪) • أما الفئة الثالثة «الاستخدام الامثـل لموارد البيئة «فحظيت بنسبة ضئيلة جدا (٤٪) •

* أما بالنسبة للكتاب المساعد ، فتبدو اتجاهات نسب الفئـات مشابهة، على الرغم من تذبذبها بين الزيادة والنقصان مقارنة بما كانت عليه في الكتاب المقرر •

* أما من حيث توزيع نسب هذه الفئات على عناصر البيئة الطبيعية فيبدو أن التأكيد كان على الماء فالحيوانات فالنباتات فالهواء فالارض •

وحصلت المعادن على نسبة ضئيلة جداً • وظهرت اتجاهات مشابهـة في النسب في الكتاب المساعد ، مع تذبذبها بين الزيادة والنقصان مقارنة بمـا كانت عليه في الكتاب المقرر •

* وعلى العموم يمكن وصف نسب فئات الفكر في الكتابين :ــ
- شدة تأكيد استثمار البيئة بما يعود على صحة المجتمع بالتقدم •
- تأكيد استثمار الطاقة في الصناعة بما لايضر بصحة البيئة •
- الضآلة الشديدة لنسبة الاستخدام الأمثل لموارد البيئة •
- وجود بعض التوازن بين نسب عناصر البيئة الطبيعيـة باستثنـاء المعادن التي حصلت على نسبة متدنية جدا (٢٪) •

ان ما سبق عرضه من نتائج يمكن أن يفسر أن الاهداف التربوية العامة لمناهج كلية التمريض تتضمن هدفا واحدا له علاقة بالبيئة ينص على :ــ

(توفير بيئة صحية سليمة) ، من دون التطرق الى أهداف عريضة ذات مفاهيم تربوية معرفية ووجدانية ومهارية تتعلق بالموقف من البيئة وعناصرها الطبيعية والتعامل معها •

أما أهداف برامج صحة المجتمع فقد تطرقت الىبعض مفاهيم الحفاظ على صحة البيئة التي وردت في تصنيف البحث وهي :ـ

تحسين الصحة ،والارتقاء بالصحة ، وتوفير الاغذية الضرورية والحفاظ عليها من التلوث ، وتوفير السكن الصحي ، والعناية الشخصية بالصحة ، ومنع حدوث الامراض ، ومنع المخاطر الصحية ، وحماية الاشخاص من التعرض للمخاطر الصحية الناتجة عن عدم توفير بيئة صحية ، وحماية الفرد والمجتمع من مخاطر التصنيع ، والسيطرة على المخاطر الصحية •

وهذا يؤشر افتقار الكتب الى التخطيط المسبق لاطار شامل لمفاهيم الحفاظ على صحة البيئة في منظور تمريضي ، وبما يحقق شيئاً من التوازن النسبي بينها ويعكس موقفاً أدق وأكثر اتساعا تجاه بعض عناصر البيئة التي يتعامل الفرد معها في حياته اليومية •

ان تركيز عينة الكتب على فكر الوقاية والسيطرة والسلامة يمكن أن يكون لعلاقتها الوثيقة والمباشرة بطبيعة المادة التمريضية نفسها ، حيث تركز على دور ممرضة صحة المجتمع ،الا أن هذا لاينفي أهمية تعريف الممرضة في مرحلة الاعداد بفكر التقدير والتطوير والصيانة وحسن الاستثمار للبيئة وبعض عناصرها الطبيعية لتتمكن في المستقبل من توعية من تتعامل معهم في عملها بها ، وبما يساعد على تحقيق الاهداف المتوخاة من تمريض صحة المجتمع في توفير صحة البيئة •

الاستنتاجات :

أولاً : يركز ثلثا نسب فكر المحتوى التربوي للحفاظ على صحة البيئة في ثلاثة مجالات هي الوقاية ، السيطرة ، السلامة •

ويركز الثلث المتبقي في مجالات التقدير ، التطوير ، وحسن الاستثمار•

ثانياً : يركز أكثر من ثلثي نسب الحفاظ على العناصر الطبيعية في كل من الهواء والماء والارض ، ويركز الثلث المتبقي في عناصر الحيوانات فالنباتات فالمعادن •

ثالثاً : تؤكد عينة الكتب كثيرا :ـ (من ٥٣٪ الى ٨٠٪) (٥ فئات) •

- عدم تلويث البيئة •
- ادامة صحة البيئة •
- استثمار البيئة بما يعود على صحة المجتمع بالتقدم •
- اتخاذ التدابير الصحية اللازمة لمنع تضرر البيئة •
- تقدير دور الممرضة في توفير صحة البيئة •

* تؤكد عينة الكتب بنسب مقبولة : (من ٢٠٪ الى ٣٤٪) (٦ فئات)•

- تأمين صحة البيئة لتصلح للعيش •
- التوعية بأضرارالملوثات البيئية وتجنبها •
- السيطرة على مجاري المياه القذرة •
- الايمان بأهمية الاتجاهات الصحية السليمة في التعامل مع البيئة•
- استثمار الطاقة في الصناعة بما لايضر بصحة البيئة •
- المساهمة في حل المشكلات البيئية •

* تؤكد عينة الكتب بنسب ضئيلة : (من ١١٪ الى ١٩٪) (٨ فئات) :

- عدم تدمير البيئة •
- اصلاح البيئة بعد تلفها •

- السيطرة على المصاب •
- السيطرة على حامل الجرثوم •
- التطهير والتعقيم •
- التثقيف الصحي لمكافحة الامراض المعدية •
- تثمين جهود الدولة في المحافظة على صحة البيئة •
- تحقيق تقدم صحة البيئة في ضوء البحث العلمي التمريضي •

* تؤكد عينة بنسب ضئيلة جدا تكاد تكون معدومة : ـ (من ١٠ ٪ فما دون) (٨ فئــات) :

- المحافظة على جمالية البيئة •
- عدم الاخلال بتوازن البيئة •
- وقف التدهور البيئي •
- ترسيخ الاحساس القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئة •
- تقدير أهمية صحة البيئة العربية وأثرها على صحة بيئة العالم •
- تقدير المجال لمظاهر صحة البيئة •
- الاستخدام الأمثل لموارد البيئة •
- التعاون وطنياً واقليميا وعالميا لتحسين صحة البيئة •

ومما سبق عرضه يعني أن نحو نصف فكر الحفاظ قد حققت نسبــاً مقبولة وجيدة ونصفها المتبقي لم يحقق مثلها •

رابعاً : ان نسب فئات فكر الحفاظ في الكتابين لاتتصف بالاستقــرار فهي تقترب من بعضها في أحيان قليلة ثم تتباين في أحيان كثيرة • وكذلك يوجد عدم استقرار كبير بين نسب تأكيد عناصر البيئة الطبيعية ولاسيما النباتات والحيوانات والمعادن •

خامساً : ان تأكيد الجانب المعرفي في الفكر جاء كبيرا بدلالة نسب فئات مجالات الوقاية والسلامة والسيطرة ولاسيما ما يتعلق منها بالهواء والماء والارض.

أما تأكيد الجانب الوجداني في الفكر فقد جاء ضئيلا بدلالة نسب فئات مجال التقدير .

في حين جاء تأكيد الجانب التربوي كبيرا في مجالات الوقاية والسيطرة والسلامة ، وضئيلا جداً في مجالات الصيانة والتطوير وحسن الاستثمار .

(٤)
التوصيات والمقترحات

في ضوء النتائج التي أسفر عنها البحث تم الخروج بالتوصيات الآتية:

١ ـ اضافة بعد تربوي بيئي الى أحد الاهداف لكتاب تمريض صحة المجتمع : وهو (توفير بيئة صحية) كأن يصبح : توفير بيئة صحية والحفاظ عليها والاعتزاز بها والعمل على تطويرها .

٢ ـ تضمين كتاب تمريض صحة المجتمع عند تنقيحها نسباً أعلى من فكر :

- السلامة : * عدم الاخلال بتوازن البيئة .
  * المحافظة على جمالية البيئة .
- الصيانة : * اصلاح البيئة بعد تلفها .
- الوقاية : * ترسيخ الاحساس القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئة .
- التقدير : * تقدير جهود الدولة في المحافظة على صحة البيئة.
  * تقدير الجمال لمظاهر صحة البيئة .
- حسن الاستثمار : * الاستثمار الامثل لمواد البيئة .

ـ التطويـر : ✻ التعاون وطنياً واقليميا وعالميا لتحسين صحة البيئة •
صحـة البيئة •
✻ تحقيق تقدم صحـة البيئـة في ضـوء البحـث
العلمي التمريضي •

٣ ـ تضمين كتاب تمريض صحة المجتمع عند تنقيحهما نسباً أعلى مـن فكـر الحفاظ على بعض العناصر الطبيعية :النباتات ، والحيوانات ، والمعادن، لأهميتها لحياة الانسان مع مواصلة الاحتفاظ بالنسب الجيدة لفكـر الحفاظ على الما ءوالهواء والارض ، وبما يحقق نوعاً من الاستقـرار النسبي والتقارب بين هذه النسب في الكتب عبر صفوف المرحلة •

٤ ـ اضافة موضوع « تمريضصحة المجتمع في منظور تربو يبيئـي » أو «الحفاظ على البيئة في منظور تمريضي» الى موضوعات كتب تمـريض صحة المجتمع • التصنيف الذي ورد البحث •

٥ ـ عقد ندوة حول البحث العلمي في مجال التمريض •

المقترحـــات :

إعداد البحوث الآتية :

١ ـ بناء معيار للتربية البيئية في منظور تمريض صحة المجتمع •

٢ ـ المشكلات البيئية في كتب كلية التمريض •

٣ ـ اتجاهات طلبة كلية التمريض نحو البيئة •

٥ ـ دور الممرضة في التوعية البيئية

المصـــادر

١ ـ الحفار ، محمد سعيد ، الانسان ومشكلات البيئة ، جامعة قطر ، ١٩٨٩.

٢ ـ أبو شقرا ، غازي ، المشكـلات البيئيـة ، مجلة رسالة المعلم الاردنيـة . العدد (٢٢) السنة (٩) ، عمان ، ١٩٩٨ .

٣ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الانسان والبيئة ، مرجـع في العلوم البيئية للتعليم العالي والجامعي . القاهرة ، ١٩٧٨ .

٤ ـ اليونسكو ، البرنامج الدولي للتربية البيئية ، بامبيئة ، المؤتمر الدولـي الحكومي للتربية البيئية ، الفترة من ١٤ـ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٥م .

٥ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مرجع في التعليم البيئـي لمراحل التعليم العام ، القاهرة ١٩٧٦ .

٦ ـ بحري ، منى يونس ، بناء خبرة منهجية في التربيـة البيئيـة للمرحلـة الابتدائية ، مجلة التربوي . العدد (٣) بغداد ١٩٨٦ .

٧ ـ بحري ، منى يونس ، وعايف حبيب ؛ المنهج والكتاب المدرسي . جامعـة بغداد . كلية التربية ـ بغداد ، ١٩٨٥ .

٨ ـ Freeman and Heinrich, Commity Health. Nursing practice, W. B. Saumders Co. '98'.

٩ ـ كلية التمريض ، مناهج كلية التمريض . جامعة بغداد (رونيو) ١٩٩٣ .

١٠ـ اليونسكو . بامبيئة المؤتمر العالمي للبيئة حزيران ١٩٩٨ .

١١ ـ الدراجي ، سعاد . وجيهة علي اسماعيل ، منى عبدالوهاب ، المـدخل الى تمريض صحة المجتمع ، كلية التمريض . وزارة التعليم العالي. بغداد.

١٢ ـ الداغستاني . وديعة ، وجيهة علي مشتاق ، منى شابو : تمريض صحة المجتمع ، كلية التمريض ، وزارة التعليم العالي . بغداد .

Good, Carter, Dictionary of Education. H C. Graw Hill Book Co, Newyork, 1959.

١٤ ـ Holsti, G. E. content Analysis for the social sciences and Humanities, New york, Addison, Wesley, 1969.

١٥ ــ Good, Carter مرجع سابق (١٣) .

١٦ ــ جمعية حماية وتحسين البيئة العراقية . مجلة البيئة والتنمية . العدد (١ـ٢) بغداد ، ١٩٨٢ .

١٧ ــ اليونسكو . مرجع سابق (٤) .

٨١ ــ جادالله . فوزي . وآخرون . الصحة العامة والخدمات الصحية . المؤسسة العامة للتعليم والتدريب الصحي . وزارة الصحة . بغداد . ١٩٩٤ .

١٩ ــ الدراجي . سعاد ، مرجع سابق (١١) ص ٣٧ .

٢٠ ــ Freeman . مرجع سابق (٨) ص٢١ .

٢١ ــ وزارة التخطيط . البيئة والطفولة . المؤتمر الوطني للطفل في العراق ، ١١ـ١٣ مايس ١٩٩٣ .

٢٢ ــ بحري . منى . وسعاد سلسل . دراسة تحليلية لكتب علوم الحياة في المرحلة الاعدادية لبعض الاقطار العربية في ضوء أهداف التربية البيئية. بحث مقبول للنشر في مجلة كلية التمريض . الجامعة المستنصرية . بغداد ، ١٩٩٤ .

٢٣ ــ الدراجي . سعاد ، مرجع سابق (١١) ص ٢٥.

٢٤ ــ الدراجي . سعاد ، مرجع سابق (١١) ص ٣٧ .

٢٥ ــ Holsti مرجع سابق (١٤) ص ٦٦ .

(جـــدول رقـــــم / ١)

(توزيـــع تكرارات فكـــر المحتوى التربوي للحفاظ علـــى صحـــة البيئـــة تبعاً لمجالاتها موزعـــة علـــى عناصر البيئـــة الطبيعيـــة)

	الوقـايـة			السـلامـة			السيطـرة			الصيانـة			التقـديـر			التطـويـر			حسن الاستثمار			مجموع تكرار صف ١	مجموع تكرار صف ٤	مجموع تكرار كلي
	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م	تكرار صف ١	تكرار صف ٤	م			
المـاء	٣٥	٢٩	٦٤	٢٤	٣٠	٥٤	١٦	٢٧	٤٣	٥	٩	١٤	٩	١٦	٢٥	٤	٧	١١	٨	١٥	٢٣	١٠١	٢٤	٢٣٤
الهـواء	٤٣	٥٧	١٠٠	١٩	٢٣	٤٢	٢٥	٣٦	٦١	٧	١١	١٨	١٤	٢١	٣٥	٦	١١	١٧	٥	٧	١٢	١١٩	٦٦	٢٨٥
الأرض	٢٢	٢٥	٤٧	١٨	٢١	٣٩	١٩	٢٨	٤٧	٢٠	١٣	٣٣	١٢	١٦	٢٨	١٠	١٣	٢٣	٤	٥	٩	١٠٥	٢١	٢٢٦
النبـاتات	١٤	٩	٢٣	١٢	٧	١٩	١٢	١٥	٢٧	٥	٢	٧	٧	٩	١٦	١٣	٥	١٨	٦	٩	١٥	٦٩	٥٦	١٢٥
الحيوانـات	٢٤	٣٦	٦٠	١٥	١١	٢٦	٣٧	٢٤	٥٥	٤	–	٤	٢	٧	٩	٨	–	٨	٧	١١	١٨	٩١	٨٩	١٧٣
المعـادن	٥	٣	٨	٤	٣	٧	٣	٥	٨	–	–	–	٣	–	٣	٢	–	٢	٢	–	٢	١٩	١١	٣٠
مجموع التكرارات	١٤٣	١٥٩	٣٠٢	٩٢	٩٥	١٨٧	١٠٦	١٣٥	٢٤١	٢١	٣٥	٧٦	٤٧	٦٩	١١٦	٤٣	٣٦	٧٩	٣٢	٤٧	٧٩	٥٠٤	٥٧٦	١٠٨٠

(جـــدول رقـــــم / ٢)

(توزيـــع تكرارات فكــر المحتوى التربوي للحفاظ علـــى صحـــة البيئـــة تبعاً لمجالاتها موزعـــة علـــى عناصر البيئـــة الطبيعـــة)

	الوقايـــة			السلامـــة			السيطـــرة			الصيانـــة			التقديـــر			التطويـــر			حسن الاستثمـــار			المجمـــوع			ترتيب العنصر
	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	
	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	صف ١	صف ٤	م	
الماء	٢٤	١٨	٣١	٢٦	١٥	٢٨	١٥	٢٠	١٧	١٢	٢٥	١٨	١٩	٢٣	٢١	٩	١٩	١٣	٢٥	٣١	١٦	٢٠	٢٢	٢١.٥	٢
الهواء	٣٠	٣٥	٤٩	٢٠	٢٤	٢٢	٢٣	٢٦	٢٥	١٧	٣١	٢٣	٢٩	٣٠	١٩	١٣	٣٠	٢١	١٥	١٤	١٥	٢٣	٢٨	٢٦	١
الأرض	١٥	١٥	٢٣	١٩	٢٢	١٥	١٨	٢١	١٩	٨	٣٧	٤٣	٢٥	٢٣	٣٧	٢٣	٣٦	٢٩	١٢	١٠	١٢	٢٠	٢١	٢١	٣
النباتات	٩	٥	١١	١٣	٧	١٠	١١	١١	١١	١٢	٥	٩	١٤	١٣	١٣	٣٠	١٣	٢٢	١٨	١٩	١٨	١٣	٩	١١	٥
الحيوانات	١٦	٢٢	٢٩	١٦	١١	٨	٢٩	١٧	٢٢	١	—	٥	٤	١٠	٥	١٨	—	١٠	٢١	٢٣	٢٢	١٨	١٥	١٦	٤
المعادن	٣	١	٣	٤	٣	٣	٢	٣	٢	—	—	—	٦	—	٢	٤	—	٢	٦	—	٢	٣	٢	٠.١	٦
النسبة المئوية إلى المجموع الكلي	٢٨	٢٧	٢٨	١٨	١٦	١٧	٢١	٢٣	٢٢	٨	٦	٧	٩	٩	٩	٨	٦	٧	٠.٩	٨	٧	٤٦	٥٤	١٠٨٠	
ترتيب المجال	١			٣			٢			٥			٤			٥			٤						

جدول رقم ٣

توزيع الفئات في مجالاتها بموجب نسبها المئوية

ت	المجـــال وفئاتـــه	% منهجي مساعد	% منهجي مقرر	%	ترتيب الفئة حسب مجالها
اولا	السلامـــة				
١	عدم تلويث البيئة	٨٤	٧٦	٨٠	١
٢	عدم تدمير البيئة	١٢	١١	١١.٥	٢
٣	عدم الاخلال بتوازن البيئة	٣	١٠	٦.٥	٣
٤	المحافظة على جمالية البيئة	١	٣	٢	٤
ثانيا"	الصيانـــة				
١	ادامة صحة البيئة	٧٥	٨١	٧٨	١
٢	اصلاح البيئة بعد تلفها	١٨	١٤	١٦	٢
٣	وقف التدهور البيئي	٧	٥	٦	٣
ثالثا"	الوقايـــة				
١	اتخاذ التدابير الصحية اللازمة لمنع تضرر البيئة	٥٠	٦١	٥٩.٥	١
٢	ترسيخ الاحساس القومي لدرء المخاطر عن صحة البيئة	٨	١٢	١٠	٢
٣	تأمين صحة البيئة لتصلح للعيش	٤٢	٢٧	٣٤	٣
رابعا"	السيطـــرة				
١	التوعية باضرار الملوثات البيئية وتجنبها من خلال الاعلام البيئي	٢٠	٢٣	٢٤	١
٢	السيطرة على المصاب	١٤	١٠	١٢	٥
٣	السيطرة على حامل الجرثوم	١١	١٤	١٢.٥	٤
٤	التطهير والتعقيم	٧	١٨	١٢.٥	٤
٥	التثقيف الصحي لمكافحة الامراض المعدية	٢١	١٥	١٨	٣
٦	السيطرة على مجاري المياه القذرة	٢٢	٢٠	٢١	٢
خامسا"	التقديـــر				
١	الايمان بأهمية الاتجاهات الصحية السليمة في التعامل مع البيئة	٢٧	١٨	٢٢.٥	٢
٢	تقدير أهمية صحة البيئة العربية وأثرها على صحة بيئة العالم	٦	٦	٦	٤
٣	تقدير دور المعرضة في توفير الصحة البيئية	٥٣	٦٢	٥٧	١
٤	تقدير الجمال المظاهر صحة البيئة	——	٢	٢	٥
٥	تثمين جهود الدولة بما يعود على صحة المجتمع بالتقدم	١٤	١٢	١٣	٣
سادسا	حسن الاستثمـــار				
١	استثمار البيئة بما يعود على صحة المجتمع بالتقدم	٦٠	٧٣	٦٦	١
٢	استثمار الطاقة في الصناعة بما لا يضر بصحة البيئة	٣٦	٢١	٢٨	٢
٣	الاستخدام الامثل لموارد البيئة	٤	٧	٥,٥	٣
سابعا"	التطـــوير				
١	تحقيق الاصحاح البيئي	٥١	٥٦	٥٣	١
٢	المساهمة في حل المشكلات الصحية البيئية	٢٤	١٩	٢١.٥	٢
٣	التعاون وطنيا" وإقليميا" وعالميا" لتحسين صحة البيئة	٦	١١	٨.٥	٤

العولمـة الثقافيـــة
وآثارها السيـاسية على الدولة القطرية

الدكتور غـازي ربابعـة
الجامعة الاردنية ــ عمان

الملخص :

تهدف هذه الدراسة الى ابراز تأثيرات العولمـة ولاسيما العولمة الثقافية على مستقبل الدولة القطرية والهوية القومية والعقائد الدينية ومع أن العالمية الثقافية قديمة قدم الزمان الا أن العولمة الثقافية بفضل ثورة الاتصـالات من فضائيات وشبكة معلومـات ووسائل اتصال حديثة في حالـة استمرارها على نهجها الحالي قد تؤدي الى احلال ثقافة واحدة محـل التعـددية الثقافيـة القائمة اليوم وبمعنى آخر اذا استمرت العولمة الثقافية على الاسس والمبادىء الامريكية سيأتي اليوم الذي يجعل من الثقافة الامريكية ثقافة العالم السائدة ومن المحتمل أن تذوب الثقافات الضعيفة وتنتهي لصالـح الثقافة الأقـوى بفضل التقنية الحديثة ويسهل الحصول على المعلومات العالمية الهـامة مـن خلال الثورة المعلوماتية الحديثة ونشر الثقافات من أرجاء المعمورة ممـا قد يعني تدمير الهويات القومية والثقافة القومية للشعوب ويرون ثقافـة واحدة سائدة دون غيرها وربما خلق صداماً حضارياً كبيرا من الثقـافات الغربيـة السائدة وبعض الثقافاتالرافضة لتلك الهيمنة وتثار المخاوف مـن الغـاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب واختراق القوميات والقيـام بتعين بعض الدول والكيانات والأمة العربية والاسلامية مدعوة الى حماية كيانهـا وقيمها عن طريق تعزيز القيم الروحيـة والقومية في وقت يسير فيه العالم نحو الاعتماد المتبادل بين الأقوى والأضعف •

المقدمـة :

بات العالم الذي يعيش في بداية قرن جديد ، إذ أصبـح العالـم قرية صغيرة بفضل ثــورة الاتصــالات وأسهمت التقنيــات الفضائية وشبكـة المعلومات في ثورة المعلومات والامر لم يعد يتعلق فقــط بالاقتصاد العــابر للقارات وانما أيضا التثاقف العابر للحدود بمعنى انتقال ثقــافات حديثــة وتقليدية من مكان الى آخر بين أرجاء المعمورة ومن خــلال تطبيــق شروط الملائمة قد تمتزج ثقافات بغيرها وتقاليد وعادات بأخرى ولما كان مــوضوع الدولة القومية محل إحياء من هذه المعــادلة بتأثــيرات العولمــة بتجلياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية فقد جاءت هذه الدراسة لتسليــط الضوء على تأثير الثقافة الوافدة على ثقافات الامــم والشعوب وبضمنهــا العربية والإسلاميــة •

العولمة[1] تمثل اتجاها نحو تقييم العمل وانتشار التقانة (التكنولوجيا) الحديثة من مراكزها في العالم المتقدم اقتصاديا الى أقصــى أطراف الأرض ومن ثم زيادتها الإنتاج أضعافاً مضاعفة وهو في سبيل ذلك مستعــد للقول بأن هذا الاثر السلبي في الهوية الثقافية تافه أو بسيط بل قد نذهب الى القول بأن الهوية الثقافية سوف تفيد من العولمة بدلا من أن تضاربها •

العولمة التي يجري الحديث عنها الآن ، نظام أو كشف ذو أبعاد تتجاوز دائرتها اقتصاد العولمة الآن نظام عالمي أو يراد لها أن تكون كذلك يشمــل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال ••الخ• كما يشمل ايضا مجــال السياسة والفكر والعقيدة • والعولمة تعني الآن في المجال السياسي منظــوراً اليه من زاوية الجغرافيا (الجيوبوليتيك) العمل على تعميم نمط حضــاري

---

١ ــ الجابري محمد ، العولمة والهوية الثقافية ، الرباط ، المغرب ١٩٩٧ ص١٦.

يخص بلداً معيناً هو الولايات المتحدة الامريكية بالذات على بلدان العالم أجمع • وليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي بل أنها أيضاً وبالدرجة الاولى دعوة الى تبني نموذج معين • وبعبارة اخرى فالعولمة الى جانب انها تعكس مظهرا اساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا هي أيضا عقائدياً تعبر بصورة مباشرة عن ارادة الحتمية على العالم كله[٢] •

اهمية الدراسة :

أسهمت ثورة الاتصالاتوتقنية المعلومات في التقارب الكوني بين الأمم والشعوب، فقد أسهمت وسائل الاتصال الحديثة من شبكة معلومات وفضائيات وغيرها في اثارة المخاوف في كثير من البلدان على العقائد والثقافات الوطنية مما عزز الاهتمام لدى العلماء والمفكرين والباحثين بابراز التأثيرات المختلفة لظاهرة العولمة على الدولة القطرية في عالم تتسارع فيه الاحداث وتتداخل فيه الثقافات وهذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على التأثيرات المختلفة لظاهرة العولمة على الدول وثقافاتها وعقائدها الدينية وهويتها القومية •

اهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الى التركيز على ظاهرة العولمة بتجلياتها الثقافية والبحث في أثر الاتصالات وتقنية المعلومات على مستقبل الدولة القطرية وبيان الآثار الايجابية والسلبية لهذه الظاهرة ووضع تصور مقترح لوسائل التصدي والمواجهة للاثار الضارة لضاهرة العولمة والبحث في الاستخدام الأمثل لوسائل الاتصال بما يسهم في تقارب الامم والشعوب مما يعزز روح التفاهم وخلق الوعي في نظام عالمي متغير بدأ يقترب عبر لغة الحوار والغزو الفكري مستفيداً من ثورة الاتصالاتوتقارب الاسواق وتحطيم الحواجز الجمركية واتفاقية التجارة الحرة •

---

٢ ـ العولمة تعني في مفهومها اللغوي تعميم الشيء وتوسيع دائرته لتشمل العالم كله •

فرضية الدراسة :

تدور فرضية الدراسة حول فكرة رئيسة تقول ان العولمة الثقافية يمكن أو تلحق ضررا فادحا بالعقائد الدينية والثقافات الوطنية أو وسيلة من وسائل الاتصال الفعال في تعميق التقارب ولغة الحوار بين الشعوب بعيداً عن الحتمية والسيطرة .

حدود الدراسة :

تركز الدراسة على ظاهرة العولمة الثقافية ومدى تأثير ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات علىالطريقة القطرية وثقافتها وعقائدها وبيان الآلية المناسبة للتعامل مع هذه الظاهرة بتأثيراتها المختلفة .

اشكالية الدراسة :

تدور اشكالية الدراسة حول الاجابة عن عدد من التساؤلات ، من الذي يقف وراء ظاهرة العولمة الثقافية وما الاهداف المراد تحقيقها وما الآلية المناسبة للاستفادة من ايجابيات ظاهرة العولمة وتلافي سلبياتها .

منهجية الدراسة :

يعتمد المنهج المتبع في هذه الدراسة على أسلوب تحليل المعلومات التي تم الاطلاع عليها واستخدامها من مختلف البحوث والدراسات وأوراق العمل ولعل أهم المسوغات لذلك حداثة الموضوع وأهميته مما يستدعي المزيد من البحث والدراسة وقد توخت الدراسة مراجعة المصادر والدوريات وعدد من المقالات العلمية المنشورة في دوريات متخصصة فضلا عن الكتب المتوفرة في هذا المجال .

١ ـ مفهوم العولمة :

شاع استخدام مصطلح العولمة في البحوث والدراسات المعاصرة[٣] وتظهر العولمة في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات

٣ ـ د. علوان حسن ، العولمة والثقافة العربية ، بغداد ١٩٩٧ ص٢ .

التغيير في مجالات مختلفة ، والعولمة ليست مفهوماً مجرداً ، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفيـة في مجـالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصـال والاحداث والانشطة ، ويمكن القول أن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً الى تعـدد تعريفاتهـا التي تتأثر أساسـاً بانجـازات الباحثين العقائدية(٤) وتعـدد المداولات التي قدمها المختصون والباحثون لتعريف ظاهرة العولمة وذلك تبعـا لاختلاف ميولهم ووجهات نظرهم •

«العولمة» مصطلح ازداد استعمالـه شيوعاً في السنوات الاخيرة لكـن مفهومها ما زال يكتنفه الغموض فبينما ينظـر اليه الآخرون على انه مجـرد واجهة اخرى للهيمنة الامريكية ،وعندما يذكر لفظ العولمة Globalization ينصرف الذهن له جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله مـن مستـوى المحدود الى آفاق اللامحدود واللامحدود هنا يعني «العالم» كله فتكون في اطار الحركة والتعامل والتنـازل والتفاعل علـى اختلاف صوره السياسيـة والاقتصادية والثقافية •

غير أن تعريف العولمة لايقتصر على ذلك أي مجرد نقل الحركة والفصل الى النطاق العالمي وانما تعرف العولمة كما جاء في الأدبيات الامريكية التي تناولها بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته أو بعبارة أكثر دقة تعميم نمط من الانماط الفكرية والسياسية والاقتصادية الذي يختص به جماعة معينـة أو نطاق معين أو أمة معينة على الجميع او على العالم كله • ولأن الدعـوة الى العولمة قد ظهرت في الولايات المتحدة على وفق التعريف السابـق فقد

---

4. Antony G. McGrew and Paul G. Lewis Global politics: Globalization and the nation-state (cambridge [England] : polity press, of ford [England] cambridge MA. Black wheol publishers 1992) pp. 1-30.

٥ ـ د. علوان حسن ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .

افترض نظريا انها تعني الدعوة الى تبني النموذج الامريكي في الاقتصاد والسياسة وفي طريقة الحياة بشكل عام[٦]

العولمة ظاهرة كاملة لها أشكالها المتعددة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وعلى الرغم من أن العولمة ظاهرة قديمة وليست حديثة غير ان أهمية القطبية الأحادية الامريكية على العلاقات الدولية ، قد جعلت منها ظاهرة عالمية مرتبطة بالتصورات الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الامريكية ، ارتباط لا تنفك عنه ولذا فان الاشكال الواضحة للعولمة في الوقت الحاضر لاينفك عن الاهداف الامريكية على المستوى الاستراتيجي الكوني في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية[٧] .

واذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلابد من أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها العملية الاولى : تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس ، العملية الثانية : تتعلق بتذويب الحدود بين الدول والعملية الثالثة : هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات وكل هذه العمليات قد تؤدي نتائج سلبية الى بعض المجتمعات والى نتائج ايجابية الى بعضها الآخر ويمكن القول أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركات الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني[٨] .

فالعولمة في مجملها دعوة الى مزيد من الانفتاح والتحرر داخلنا أي تبني نظام السوق داخل الدولة وفي معاملاتها مع الدول الاخرى فهي مزيد من تحكم الفكر الرأسمالي الذي شهد انتصارات عدة على مستوى العالم جعل أحد الكتاب يزعم أن التاريخ انتهى لأن التاريخ كان دائما صراع

---

٦ ــ د. مصطفى هاله ،العولمة دور جديد للدولة ، مجلة السياسة الدولية ، السنة الرابعة والثلاثون ، أكتوبر ١٩٩٨ العدد (١٣٤) ص ٤٢ .

٧ ــ د. علوان حسن ، مصدر سابق ذكره ، ص٤ .

٨ ــ ياسين السيد ، المستقبل العربي ، العدد بيروت ١٩٩٧ ص ١٢ .

قومية أو مذهبية . والآن دانت السيادة للنظام الرأسمالي الديموقراطي الغربي مدلول ذلك هو أن حركة العولمة ستتسارع وانها حتمية وستعتمر العالم في النهاية(٩) .

وفي ضوء التغيرات جميعها ، يبرز أكثر جوانب العولمة اثارة للجدل وأبعدها مدى وهو أثرها في الدولة القومية التي تبلورت مع تطور الدولة الرأسمالية والتي ازدهرت في ظلها ظاهرة الدولة الديموقراطية .

وربما كانت العولمة من أكثر التطورات التي مهدت لهذا التغير في طبيعته ودور الدولة هي ما أسفرت عنه العولمة من تزايد لدور الشركات متعددة الجنسية في الاقتصاد ومن انتشار لمظاهر سياسية وثقافية تتجاوز بكثير حدود وسلطة الدولة القومية .

وقد أخذت الشركات متعددة الجنسية تؤثر في اتخاذ القرارات الاقتصادية الكبرى وتحديد أولويات الاستثمار فضلا عن تأثيرات العولمة الثقافية على هوية الدولة القطرية(١٠) .

٢ ـ العولمة الثقافية :

تعد فكرة عولمة الثقافة احدى الأوجه الرئيسة لظاهرة العولمة بمعناها الكلي ، وتسعى الى صياغة مكون ثقافي عالمي وتقديمه نموذجاً ثقافياً وتعميم فهمه ومعاييره على العالم أجمع . ويبدو أن الولايات المتحدة كقطب معين في السياسة الدولية الذي خلف انهيار الاتحاد السوفياتي في ظل نظام دولي جديد يخضع للهيمنة الامريكية . فالعولمة الثقافية ما هي إلا هيئة للثقافة والقيم الامريكية تعبر عن وضع القطبية الأحادية الامريكية السائد في العلاقات الدولية في الوقت الحاضر ، فقد ترتب على ثورة

---

٩ ـ عبدالرحمن أحمد ، العولمة ، المفهوم ، الظاهر والمسببات مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلة النشر العلمي ، جامعة الكويت ، المجلد ٢٦ عدد ٩ الكويت ١٩٩٨ ص٧٢ .

١٠ ـ مصطفى هالة ، مصدر سابق ذكره ، ص ٤٢ـ٤٥ .

المعلومات وتقنيات الاعلام والمعرفة والتقانة وبالتالي الهيئة الاعلامية الامريكية محاولة فرض القيم الامريكية والنموذج الامريكي على جميع الشعوب بوصفه نموذجا يمثل الكونية بأكملها[11] .

أما على المستوى الثقافي فان الاتصال المباشر عبر القارات خاصة من خلال محطات التلفزيون الفضائية يجد أبرز ملامح العولمة التي يلمسها الشخص الاعتيادي في أي مكان في العالم ومن المفترض أن هذا التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال يمكن أن يؤدي الى زيادة التواصل الثقافي بين الشعوب الامر الذي يساعد على ايجاد آمال وأهداف مشتركة للانسانية تتجاوز المصالح الوطنية تتناقض في الوقت نفسه[12] لكن التجربة على الرغم من قصرها أثارت الكثير من الشكوك والمخاوف لدى الحكومات والشعوب في آن واحد فالحكومات بحكم المخاوف السياسية التي يمكن أن تنتج عن بث برامج معادية لأنظمة الحكم . أو تبث أفكاراً وعقائد تهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي في هذه الدول فضلا عن الحكومات هناك قوى سياسية واجتماعية مؤثرة في العديد من المجتمعات عبرت عن خشيتها وتعزل نفسها تماما عن الوسط المحيط وتدعو الى نوع جديد من الهجرة وتقاليدها وعاداتها . والواقع أن هذه المخاوف تسهم جزئيا في تفسير كثير من بعض الحركات الاصولية التي تنسحب الى الداخل وتحوم حول ذاتها وتعزل نفسها تئماما عن الوسط المحيط وتدعو الى نوع جديد من الهجرة والرفض الكامل للمجتمع .

٣ ـ العولمة الثقافية وصراع الحضارات :

ظهرت نظرية صراع الحضارات في ظل ظاهرة العولمة في الولايات المتحدة الامريكية فقد طرح صموئيل هنغتون نظريته حول الصراع بين

---

١١ ـ د. يوسف باسيل ، حقوق الانسان من العالمية الانسانية والعولمة السياسة ، مجلة الوقت الثقافي العدد ١٠ السنة الثانية ص ٢٦ .

١٢ـ هالة مصطفى ، مصدر سابق ذكره ص ٤٦ .

الحضارات في تفسير العلاقات الدولية وفي هذه النظرية نرى آن الحضارات بمعنى الانتماءات الثقافية ستقوم بتشكيل علاقات التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة وان صراع الحضارات سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي[١٣] ويرى أن المصدر الرئيس للصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون أساسا عقدئديا أو اقتصاديا ، فالانقسامات الكبرى بين الشعوب والمصدر الاساسي للصراع ستكون ثقافية ومع أن الدولة القومية ستستمر في إداء دور أساسي في الشؤون العالمية فان الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الدول والمجتمعات التي تنتمي الى حضارات مختلفة وستهيمن الصراعات الحضارية على السياسة العالمية وستكون ساحتها الاساسية خطوط التماس بين هذه الحضارات . وان العالم سيصاغ استنادا الى حركة تفاعلات الحضارات السائدة في عالم اليوم ومن أهمها الحضارة الغربية والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الاسلامية اللتان قد تعاونتا معاً ضد الحضارة الغربية ،وهذه النظرية لاتخرج عن كونها روية أمريكية تعتمد على انتاج واعادة انتاج مستمر لطموحات الهيمنة والسيطرة المتأصلة في الثقافة الامريكية[١٤] .

وقد تصدى بعض المفكرين والمثقفين لهذه النظرية العنصرية التي لا تخفي معالم القطبيةالامريكية في الهيمنة ، في ذات الوقت عمد بعضهم الآخر اثارة قضية الحوار بين الثقافات في مقابل التصادم أو الصراع بين الحضارات وهكذا منطق الحوار انطلاقات حقيقية . ان الثقافات لا يمكن أن تكون جزراً منعزلة عن بعضها فهي دائما على اتصال مع غيرها وتتفاعل

---

١٣ ـ عضب نجبان ، قراءة في كتاب صموئيل هنتغتون ، صدام الحضارات واعادة تشكيل النظام الدولي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٢٦ ١٢ـ ١٩٩٧ ص ١٣٩ .

١٤ ـ د. علوان حسن في مصدر سابق ص ٧.

فيما تؤثر في بعضها وتتأثر ببعضها[15] ويدعو منطق الحوار الى فرضية تقول أن الثقافات لايمكن أن تكون جزراً منعزلة عن بعضها دائما وانما على اتصال وتفاعل فيما تؤثر في بعضها وتتأثر •

٤ ـ الدولة القطرية في نطاق نظام العولمة :

تسود العالم مناقشات حول موقع الدولة القطرية في نطاق نظام العولمة وكيفية محافظة المجتمعات المحلية على هويتها الوطنية وعقائدها الدينية وخصائصها الثقافية تسعى القوى الفاعلة في النظام العالمي الجديد الى فرض أنماطها السياسية والاقتصادية والثقافية والقانونية من أجل رسم وجه جذاب للرأسمالية لتبشر بوحدة الجنس البشري والواقع يشير الى أن الدول ستخوض معارك كبرى عقائدية وسياسية واقتصادية وثقافية في مواجهة التقويم الذي يعيد انتاج نظام الهيمنة القديمة تحت شعارات جديدة براقة مما يجعل الوجود الثقافي للأمم مهدداً بالتذويب لصالح الأقوى ويبدو أن الدولة وسلطاتها وسيادتها تتأثر على نحو كبير أمام موجات العولمة مما كرس الاهتمام المتزايد حول مستقبل الدولة في ظل هذه التحولات[16] ولما كانت العولمة في مفهوم الادبيات الامريكية تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته او بعبارة أكثر دقة تعميم نمط من الانماط الفكرية والسياسية والاقتصادية الذي تختص به جماعة معينة او نطاق معين أو أمة معينة على الجميع أو على العالم كله ولأن العولمة قد ظهرت في الولايات

---

١٥ ـ د. الادهمي محمد ، العولمة والهوية الثقافية ، مجلة آفاق عربية العدد ٣ ، أيار ، حزيران ١٩٩٧ ص ٣٢ .

16. David Held: Democracy. "The nations-states and thew Global system" In: David Held (ed). Political Theory (cambridge: polity press, 1991): Bg. Hobshawm. "The Future of the states. Development ans change. vol. 27. No2 (1996): Jan Art scholte." Global Capttalism and the states metenational Affairs. Vol. 73 No: 3. (July, 1991) .

المتحدة على وفق التعريف السابق فقد افترضنا نظريا أنها تعني الدعوة الى تبني النموذج الامريكي في الاقتصاد والسياسة وفي طريقة الحياة بشكل عام[17]

لقد برز مفهوم العولمة في البداية في مجال الاقتصاد كنتاج للثورة العلمية والتقنية التي مثلت نقلة جديدة لتطور الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية التي ميزت القرنين السابقين فالثورة الصناعية بشكلها التقليدي ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر في انجلترا ثم في أوروبا حيث أدى التطور في استخدام الطاقة (البخار والكهرباء) الى تغيير جذري في أسلوب وقوى علاقات الانتاج • أدت هذه التطورات المتلاحقة الى الخروج من عصر الاقطاع وبداية مرحلةالتطور والتوسع الاقتصادي التي استلزمت بدورها الحصول على الموارد الطبيعية وتنتج الاسواق العالمية وارتبطت بمرحلة الحروب الاوروبية وظاهرة الاستعمار لتوفير احتياجات الرأسمالية الصاعدة واذا كانت هذه الظواهر قد ارتبطت تاريخيا بمراحل التطور المختلفة للرأسمالية العالمية ، فان استمرار التطور التقني وثورة المعلومات والاتصالات التي صاحبته والتي شكلت منتجا جديداً في نمط الانتاج وطبيعته حملت بذورها تعبيراً في شكل التفاعلات والتعاملات الدولية وبالأحرى تغييرا في شكل الرأسمالية العالمية فلم تعد الحروب وسيلة حسم الخلافات بين الدول الرأسمالية بل ظهرت الحاجة الى توحيد الدول الصناعية من خلال سوق عالمية واحدة وتوفير امكانيات الارتفاع بأداء الدول الصناعية بما يقتضيه ذلك من اعادة بناء شكل الرأسمالية العالمية •

وكل ذلك يعني تجاوز حدود الدولة القومية وشكلت هذه السمات بذور التحول من نمط الرأسمالية القومية الى الرأسمالية العابرة للقوميات ، ان أهم ما يميز العولمة هو أن الفاعلية الاقتصادية لم تعد

---

١٧ ـ مصطفى هالة ، مصدر سبق ذكره ص ٤٣ •

قاصرة على مالكي رؤوس الاموال من تجار وصناعيين ومديرين كان نشاطهم في السابق محكوماً بحدود الدولة القومية التي تتحول اليها وانما أصبحت الفاعلية الاقتصادية مرتبطة بالمجموعات المالية والصناعية الحرة مع مساعدة دولها عبر الشركات والمؤسسات متعددة الجنسيات أو بعبارة أخرى لم تعد الدولة القومية هي الناعل أو المحدد الرئيس للفاعلية الاقتصادية على المستوى العالمي ، انما أصبح للقطاع الخاص الدور الاول في مجال الانتاج والتسويق والمنافسة العالمية كما اصبحت المؤسسات عابرة القوميات تلعب دوراً محورياً في هذا المجال •

ولكن العولمة ليست نطاقاً اقتصاديا فحسب وانما تمتد الى مجالات الحياة المختلفة سواء كان في السياسة أو الاعلام أو الثقافة بوجه عام • ويستخدم مصطلح العولمة تعبيراً عن المراحل فيمجال التبادل التجاري وفي مجال الانتاج ونقل السلع والخدمات والتقنيات الحديثة وغيرها تهدف خلق سوق عالمي واحدة تقوم على مبدأ التحرر الاقتصادي وحرية التجارة ورفع القيود والحواجز الجمركية الذي يربط بذور دور الفاعلية أو الاطراف غير الحكومية في مجال التفاعل والتعاون الدولي وهذه الاطراف قد تكون أفراداً أو جماعات أو شركات أو مؤسسات أو اتحادات وبالمثل فان مفهوم العولمة ينسحب أيضاً على مجالات السياسة والفكر والثقافة بشكل عام خاصة مع التقدم المذهل في وسائل الاتصال الحديثة •

٥ ـ العولمة العامة والعقائد الدينية :

يبدي المتدينون القلق مما يهدد دينهم ومعتقداتهم من جراء العولمة، إن ما يحدث للمسلمين اليوم بسبب العولمة له شبه بما كان يواجه المسلمين أيام الحروب الصليبية ، إذ قد يصور بعضهم الامر على أننا بصدد معركة بين أمم مسيحية وأمم مسلمة أو بين دين ودين آخر ، والحقيقة أن الأديان كلها تتعرض للخطر نفسه وللاعتداء نفسه ، ولو بدرجات متفاوتة من جراء التقنيات • إن ما تفعله التقنية الحديثة مثلا باحتفال المسلمين

بشهر رمضان من تحويله من مناسبة دينية الى مناسبة استهلاكية فعلته هذه التقنية من قبل ، وما زالت تفعله أكثر فأكثر باحتفال المسيحيين بأعياد الميلاد .

إن الدين مكون أساسي من مكونات هوية الأمة والقلق عليه واجب وضروري من جانب أي شخص يعتبر بهوية أمته ويرفض لها المهانة فالغزو الثقافي الذي يتم في ظل التقنية الحديثة يعتبر حقاً غزو ثقافة لثقافة ولكن ذه أيضاً سمة تعني الثقافة أصلا[١٨] .

٦ ـ التقنية الحديثة والهوية الثقافية :

أصبحت قضية مخاطر التقنية ومزاياها احدى القضايا التي تعني بها المجتمعات المتقدمة حاليا ومنها ما رصدته المجلات الامريكية التي تعني بشؤون المستقبل ، وقد أبرز وجود فريقين إزاء آثار تقنية المعلومات أحدها يرى أنها أثرت بشكل سلبي على عدة زوايا منها :

- أن التزايد المعرفي والمعلوماتي لم تصاحبه مساواة اجتماعية ومعرفية سواء داخل الدولة الواحدة أو بين الدول فهناك المنتفعون بقوة المعلومات وهناك الأميون في هذا المجال المعرضون للتهميش بسبب عدم توافر البناء التحتي اللازم لإلحاقهم لهذه الثورة ومع انتشار ما يسمى بالواقع الافتراضي (Virtual Reality) أي واقع هو من صنع الخيال ولا أساس لوجوده في الواقع الحقيقي ، فبوسع المنتفعين بهذه الثورة أن يتلاعبوا مع الصور وبالتالي مع الحقائق وأن يصطنعوا صوراً للواقع لا وجود لها مما يمكنهم من التلاعب بمقدرات عالم المهمشين الأميين الملقوطين من عالم ثورة المعلومات وهذا أمر

---

١٨ ـ امين جلال، العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٣٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٨ ص ٦٦-٦٧ .

من شأنه الإساءة أخلاقياً وأدبيا وحضاريا الى المحرومين من هذه الثورة والى المهمشين العاجزين عن مواكبتها على حد سواء[١٩] .

إن ما تفعله التقنية الحديثة بهوية الانسان داخل الدولة الواحدة تفعل مثله بثقافات مختلف الأمم في العالم كله فكما خلبت التقنية الحديثة لب المستهلك الفرد حتى استسلم لها خيلت لنا أن الأمم ضحت الواحدة بعد الاخرى ، بجزء بعد آخر من استقلالها الثقافي وكما استخدمت التقنية الحديثة من جانب طبقة لقهر الطبقات الاخرى ، داخل الأمة الواحدة استخدمت من جانب الأمم المتقدمة تقينة لقهر سائر الأمم .

وكما انتشرت النهضة في الانتاج والاستهلاك داخل الدولة الواحدة انتشرت في سائر أمم العالم حتى أصبح من الصعب على المرء ما اذا كان يسير في شوارع روما أو مدريد تسير به السيارة الخاصة في وسط القاهرة أو وسط نيودلهي أو جكارتا أو مدينة المكسيك يأكل طعامه من مأكولات لندن أم ماكدولاند لوس أنجلوس أم ماكدولاند بانكوك .

ولا أصبح أمام مشاهد التلفزيون المصري أو الهندي أو الكندي أو البرازيلي مفر مثلي لم يصد هناك مفر أمام المشاهد الانجليزي أو الامريكي من أن يشاهد مسلسل (دالاس) التلفزيوني ولأصبح تعذريته أن يمتنع عن رؤية فيلم (تايتانك) أو عن متابعة نشرات أخبار الـ (CNN) هذا الاثر من آثار التقدم التقني في طمس الهوية الثقافية للأمم لا يختلف في طبيعته عن أثره في الاعتداء على هوية الانسان الفرد داخل الأمة الواحدة وما يترتب على الهوية الثقافية للأمم يحدث تحت شعار (التنمية الاقتصادية) وكأن مقياس قوة الأمم بمتوسط دخل الفرد من السلع والخدمات[٢٠] .

---

١٩ ـ د. بخيت السيد ، تقيمة ثورة المعلومات ، مجلة العربي ، العدد ٤٦٨ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٩٧ ، ص ١٤٤ .

٢٠ ـ امين جلال ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥ .

إن ثورة التقنية لم تحقق شيئا مذكوراً لدعم الديموقراطية فعلى الرغم من الوعود بدعم عملائها المشاركة الجماهيرية من خلال الوسائل الالكترونية التي تحقق الفورية والتفاعلية والحوارية ؛ وما يقال من الاجتماعات الالكترونية للمدينة والقرية من خلال شبكات الاتصال لم يحدث شيء ذو بال حتى الآن ، وتشير الاستطلاعات التي أجريت في بعض المجتمعات التي يطلق عليها مجتمعات المعلومات ان (٣٣٪) من المراهقين لم يكن بمقدورهم تحديد أسماء ممثلهم في المجالس التشريعية حتى قيل أنه كلماازداد المجتمع تعقيداً ، ابتعد الناس أكثر عن السياسة وفضلوا عنها الترفيه الألكتروني •

ان ثورة المعلومات ألحقت تدميراً فادحاً بموارد البيئة الطبيعية ، ليس أقله ما تحدثه صناعة الحواسيب من ملوثات ، كما انه على النقيض من القول بأن الألكترونيات سوف تقلل من الورقة فان الطلب على الورقة يزداد •

إن ثورة المعلومات قلصت كم الوظائف المتاحة ، فمنذ عام ١٩٧٨ فقد (٤٣) مليون فرد وظائفهم في أمريكا وقد خلقت ثورة المعلومات ما يسمى بالاقتصاد الصناعي فثورة المعلومات تمثل تهديدا للأمن القومي للمجتمعات فبمثل ما تستطيع شهد حروبا معلوماتية وحملات دعائية فإننا في الوقت نفسه عرضة لمثل هذه النوعية من الحروب والارهاب المعلوماتي تفعل السمسرات المصرفية والمعلومات المفتوحة والعولمة التلفزيونية ، فقد أصبح العالم قرية صغيرة ، تكاد معلوماتها تكون على المشاع ما لم تتوافر امكانات فاعلة لحصانتها من الاحتراق[٢١] •

إن ثورة المعلومات قد أتت بآثار سيئة على النظام والقانون ، فجرائم الحاسوب احدثت خسائر فادحة بأصحاب الاعمال والحكومات ، كما زادت ظاهرة التجسس التجاري والاقتصادي بين الشركات والدول ، ومع زيادة

---

٢١ ـ المصدر نفسه ص ١٤٥ .

المنافسة العالمية ستزداد دوافع التجاري بعد بدء تنفيذ الاتفاقيــة العــامة للتعرفة والتجارة (الجات) واكتمال آليات تطبقاتها عام ٢٠٠٢ •

إن الحصول على معلومات كثيرة يضر العقول البشريــة ويصبح من الصعوبة التبنؤ بالمستقبل فالمعلومات المتاحة للنشر تتضاعف كل (١٢) سنة وأن المعلومات العامة تتضاعف كل سنتين ونصف السنة ، كما ان التنمية المعلوماتية المتوافرة هي أقرب للترفيه منها الى المعلومات المفيدة ، فقد أدى التطور في الحاسوب ووسائل الاتصال الى جعل الناس يعرفــون الاخبــار الجديدة بسرعة شديدة ولا سيما أخبار الأزمات الخطــيرة والموضــوعات ذات الحساسية ، ويؤدي ذلك الى سرعة حل هذه الازمات في حين يحتاج المسؤولون الحكوميون الى وقت كاف لدراسة هذه المشكلات •

إن ثورة المعلومات قد زادت وضعية قضية حقوق النشر، فقد أتاحت الاقمار الصناعيــة ونظام الكابل إمكان التقاط برامج التلفزيون من محطــات أخرى تبعد آلاف الاميال وتسجيل هذه البرامج وبيعها من دون موافقة ، كذلك انتشرت آلات التصوير التي تصنع آلاف النسخ من الكتــب دون الحصول على موافقة المؤلف أو الناشر على حقوق النشر وينطبق ذلك على برامج الراديو والتلفزيون وأفلام السينما مما يهــدد نظام حــق النشــر وحماية المؤلفــين[٢٢] •

إن لتقنية المعلومات وجهاً خطيراً في عالم التجسس فقد أصبح بالامكان اختراق برامج وفك شفرات للاستحواذ على معلومات سرية • كما أثبتــت الأقمار الصناعية فاعليتها في التجسس الفضائي لجميع المعلومات العسكرية والتقنية حتى أصبحت أقمار التجسس منافسة لطائرات التجسس العسكرية في دقــة التصوير ووضوح الصور وعلى الرغم من سيئات ثورة المعلــومات وسلبياتها فان انجازاتها في مجالات عديدة في التعليم ، الطب ، الاتصالات، الفضاء ، الاعلام والترفيه ذات قيمة كبيرة ومزايا ايجابية عديدة أدت الــى

---

٢٢ ـ المصدر نفسه ص ١٤٦ .

اختزال المسافات وساعدت في تحرير الانسان من قيود جمة وأنها مفيدة للبيئة فالأقمار الصناعية وخرائطها مثلا تساعد في التفتيش عن الثروات المعدنية وتحديد حالة الطقس واتجاهاته مما يعيد جدولة عمليات الطيران والسياحة في مجال الزراعة ، وفي تخطيط المدن فضلا عن طرق البيع الالكتروني للسلع والخدمات[٢٣] .

٧ ـ اضرار العولمة على الدولة القطرية :

إن دولاً كثيرة أخذت تعاني من العولمة على صعيد هبوط أفرادها أو إفلاس شركاتها واقفال مصانعها وانتشار البطالة بين عمالها وتدني مستوى الثقافة فيها (دول أمريكا اللاتينية) وعلى عكس ما كان يؤمل من أن عولمة التبادل التجاري سوف تضيق فجوة اللامساواة ، فانها أدت الى توسيع تلك الفجوة سواء بين الدول المتخلفة أو داخل الدول ذاتها[٢٤].

لقد اكتسحت المعلوماتية المدعمة بالاتصالية المتطورة والسريعة الوسائل التقنية المتقدمة ، الفضاء الإنساني بلا هوادة وقضت على الفواصل بين الأمم محاولة توحيد الفكر وإلغاء الاختلافية بين الأوطان ، مهددة بذلك خصوصية كل أمة . فالمعلومات أمت كالسلع الجاهزة للاستهلاك وهنا هو مكمن الخطر ، لأن المستهلك أضمن لايدقق ولا يسأل عن مصدر السلعة فهو يخضع لحاجته السريعة في أخذ المعلومة من أي مصدر كان[٢٥] .

إن ما تمارسه وسائل التقنية الحديثة من آثار سلبية على حياة المجتمعات المعاصرة يخلع بالضرورة أبعاده الثقافية وخلفياته الحضارية على تلك الأمم والمجتمعات عبر عمليات التمثيل والهضم والامتصاص الثقافي ، بل قد يؤدي الى سحب هويتها ويحطم كيانها حين يقلع جذورها ويلغي

---

٢٣ ـ المصدر نفسه ص ١٤٧ .

٢٤ ـ ادهم ، سامي ، العولمة والحقيقة كائنات للنصر الاعظم ، كتابات معاهدة، مجلة الابداع والعلوم الانسانية ، العدد الثاني والثلاثون ، المجلد الثامن، كانون الاول ١٩٩٧ـ كانون الثاني ١٩٩٨ ، بيروت ، ص ٣٩ .

٢٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٤١.

وجودها ، ويحيلها الى وضع لاتستطيع معه التحرر الحقيقي مـــن أغـلال التبعية للدول الغالبة[٢٦] •

إن أبرز المظاهر التي تتسم بها ظاهرة العولمة هي التطور المذهل لقطاع الإعلام الآلي والاتصال والتقنية وشبكة المعلومات ، فالعالم اليوم مربوط بشبكة الكترونية تنقل الاخبار والبيانات بسرعة الضوء الى كل مكان فـي العالم وتنتقل عبر شاشات السينما والتلفزيون وشبكة المعلومات • وحولـت ثورة المعلومات هذه تقنية الاتصال العالم الى قرية صغيرة ، غير أن تحـويل العالم الى قرية صغيرة يؤدي حسب ما يراه بعضهم الى تهديد ثقافة الشعوب والأمم وتحويلها الى مجموعة من الناس متلقية مستهلكة ، لا خصوصيـة لها ولا شأن ببناء الحضارة الانسانية والمساهمة في صنع التاريخ ، لأنهـا كلها ستكون خـارج التاريخ لحســاب أولئك الذين يقودون هذه القريـة ويمتلكون مقدراتها • وهكذا فان ثورة المعلومات والاتصال سلاح فعـال يستفيد منه الذين يمتلكونه أو يحسنون استخدامه[٢٧] •

إن الاعلام سيكون له دور مفم في عملية التوحيد الثقافي ولن يكون دوره اعلانيا أو اخباريا فحسب بل ذا طابع استعراضي يطغى على البـرامج والبحث عن الإثارة بكل ثمن، وهي ظاهرة ستـؤدي الى فقدان المـواطن للرؤية الواضحة الصائبة للاحداث ،فثقافة العولمة سوف تكون سـطحية مبسطة مثيرة تقوم على استغلال مشاعر المشاهد البدائية كالعدوانية وحب المشاهد الجنسية الفاضحة والنرجسية والكبت وكل أنواع الشـذوذ وكل ذلك ليسهل تصديرها والترويج لها ضمن السلـع الاستهـلاكية المادية • فالصحافة الاعلامية الثقافية تحاول خلق فضاءات نفسية تستغل فيها العقـد

٢٦ ــ الجميعي ، عوض بن معيوض ، اشكالية الثقافة العربية بـين العـولمة والخصوصية ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع حول الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦.

٢٧ ــ العودات حسين، المنظمة والمستقبل الاعلامي الثقـافي العربـي ، المجلـة العربية للثقافة عدد ٣٠ ، ١٩٩٦ ، ص ٤٩ •

النفسية والكبت الجنسي والحرمان الاجتماعي والفقر عند بعض المجتمعات المتخلفة ، حيث تروج للرقص الخليع والأفلام الإباحية وللكلام البذيء والأغنية الساقطة الهابطة ، وتحاول اقناع الشباب بأن هذه الاشياء هي من مقومات الحياة المعاصرة[٢٨] .

إن الأمر الخطير في العولمة هو استهداف الثقافة العربية من خلال تطبيع واختراق ثقافي منسق ومدروس بغية غرس الروح الاستسلامية المدنية في الانسان العربي وتغذيته بالصيغ والمصطلحات السياسية والثقافية الغريبة الجاهزة ومسخ صورة الانسان العربي وتعويض أسس ومقومات ما يمكن أن نسميه بـ «الاستقلال الثقافي» تمهيدا للنيل من الهوية الوطنية والقومية وأصولها الفكرية والسياسية[٢٩] .

إن الهدف الرئيسي للعولمة هو السيطرة الكاملة الشاملة على أنشطة الفرد لأسيما على فكره واختلافه ، وذلك لتحرير الساعة المعلبة وتحقيق الأرباح الخيالية . ولايقصد من العولمة الثقافية والتعددية والاختلافية فرض ثقافة ولغة بعينها ليسهل توحيد الناس وتمرير السلع الاستهلاكية في السوق الاقتصادي والتجاري ، وسيطرة الأحادية بلغة واحدة وثقافة واحدة ورؤية أحادية تؤدي الى استبعادهم وسيطرة مجموعة من البشر على مجموعة أخرى لاتملك سوى القليل من الثروة والعلم ، كما تؤدي الى فرض حقائق نسبية تتعلق بالثقافة الاستهلاكية السريعة[٣٠] .

إن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والارادة الوطنية والثقافة الوطنية ، فالعولمة تعني مزيداً من تبعية الأطراف للمركز ، تجميعا لقوى المركز وتفتيتا لقوى

٢٨ ـ أدهم ، سامي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠ .
٢٩ ـ الالوس شوقي ، عبدالواحد ناظم ، الثقافة بين الحين الى الماضي وتلمس آفاق المستقبل ، الواقع والتحديات ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع حول الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والقومية) ،ص ١ .
٣٠ ـ أدهم ، سامي ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

الأطراف بما في ذلك الدولة الوطنية • لقد انتشرت البحوث عن الاقليات العرقية والطائفية من أجل ابراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة ووحدة الوطن والتاريخ والمصير • وكل ذلك بداية للهدف الاعظم وهو فتح الدولة الوطنية لحدودها الاقتصادية والسياسية ، والسير في نهج التحول من القطاع العام الذيتبنته بعد تحررها الوطني الى القطاع الخاص الذي يساهم فيه رأس المال الاجنبي ويزاحم رأس المال الوطني[٣١] •

أن الوقوع في العولمة الثقافية الأحادية يجعل العالم يقع تحت نفوذ التبسيط لإرضاء أذواق الناس العاديين ، فتلغي أو تستبعد التجارب الإبداعية المعقدة ، ويستغني عن الفنون الراقية ، ويقع العالم فريسة السطحية الاستهلاكية السريعة • وكذلك تمثل العولمة خطراً شديدا على أصالة الشعوب وعلى الثقافة العالمية • فهي تريد عن طريق الاستقطاب أن تدمر الموسيقى والفنون المختلفة ، كما تود فرض نموذج مقنن على الشعوب والأمم ، فهي تريد الدخول الى خصوصيات الشعوب لتفتيتها من أجل أن تقيم مكانها ثقافة سطحية تافهة في اللغةوالموسيقى والاغاني والفكر[٣٢] •

لقد أثارت العولمة عند المثقفين وأهل الاختصاص في الدول العربية الخوف من أن تجد ميكانيكية العولمة ذات الطابع الكوني الى عواقب وخيمة لاينحصر تأثيرها في بلد بعينه ، بل يمتد خطرها الى الكل • ويصل تأثيرها الى سلب مقدرات الدول النامية ، وفرض التبعية الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وتفتيت هويتها الذاتية وخصوصيتها الثقافية[٣٣] •

---

٣١ ـ حنفي حسن ، موقع التراث العربي ووظيفته في ظل العلاقة بين العولمة والخصوصية ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع حول (الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية) ص ٤٣ـ٤٥ .

٣٢ ـ أدهم ، سامي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣ـ٤٥ .

٣٣ ـ الجميعي ، عوض بن معيوضن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢ـ٣ .

لابد من البحث في التأثر الثقافي والعقد الاعلامي الذي يواجه الفرد من جراء هذا السيل المتدفق للاعلام العالمي عبر التلفزة والصحافة المكتوبة وشاشات شبكة المعلومات وبالاضافة الى عولمة الاقتصاد وعالمية الثقافة والحضارة الوحيدة وجد ما يسميه بعضهم « مجتمع الاعلام العالمي » وقد تطور هذا الاعلام بسرعة من أنشطة أجهزة التلفزة والهاتف ، وشبكة المعلومات والحاسوب ؛ وقد دمجت هذه الانشطة بمرجعية واحدة بعد ما تقدمت التقنية الرقمية التي سعت الى تحرير الاتصالات العالمية وفتح الحدود بشكل واسع أمام التدفق الاعلامي والثقافي العالمي ، ان الاخطار الاعلامية ومحاولة تزييف الحقائق بواسطة التوهيم داخل الحاسوب ، سوف تؤول اليه حالة الثقافات المتعددة والمختلفة في جميع بلدان العالم وتأثير ذلك على مفهوم الحقيقة الذي يعتبر حجر الزاوية في حياة الانسان العملية والنظرية .

لايمكن النظر الى العولمة من وجهة نظر اقتصادية بحتة لأن المروجين لهذا المشروع يحملون من خلال الانتشار المتسارع للسوق في تسويق ثقافتهم القائمة على العولمة وليس على الثقافة الاصلية داخل العولمة الثقافية، سيكون للاعلام دور رئيسي في هذا التوحيد ولن يكون دوراً اعلاميا أو اخباريا فحسب بل ذا طابع استعراضي حقيقي على البرامج والبحث عن الاثارة بكل ثمن وهي ظاهرة ستؤدي الى فقدان المواطن للرؤية الواضحة الصائبة للأحداث ، فثقافة العولمة سوف تكون سطحية مبسطة مباشرة تقوم على استغلال مشاعر المشاهد البذيئة كالعدوانية وحب المشاهد الجنسية الفاضحة والترفيه والكبت وكل أنواع الشذوذ وكل ذلك يسهل تصديرها والترويج لها من السلع الاستهلاكية المادية[٣٤] .

---

٣٤ ـ أدهم ، سامي ، مصدر سبق ذكره ،ص ٤٠ .

الاستنتاجات والتوصيات

في ضوء دراسة ظاهرة العولمة الثقافية وآثارها السياسية على الدولة القطرية انتهت الدراسة الى أن ثورة الاتصالات من فضائيات وشبكة المعلومات قد بدأت نؤثر بشكل واضح في ثقافات الامم والشعوب وبضمنها الأمة العربية والاسلامية وبدأت تثور المخاوف في كثير من البلدان على العقائد والثقافات الوطنية التي يمكن ان تلحق ضرراً بالغا بالعقائد الدينية.

ولما كان تحدي العولمة قائما ولا مفر من التعامل معه ولما كان الانفتاح على الثقافات الغربية يشكل خطرا على مستقبل الدولة القطرية والثقافات الوطنية فان الانغلاق وقطع الجسور مع العالم لايشكل حلا وفي ضوء ذلك يرى الباحث التوصيات الآتية :

١ ــ الاهتمام بتوعية الشعوب التي تتعرض لمظاهر العولمة عن طريق ابراز آثارها السلبية ومخاطرها لوسائل الاعلام والتنشئة السياسية والاجتماعية .

٢ ــ تعزيز القيم الروحية من خلال مناهج التعليم والمؤسسات التربوية والاعلامية .

٣ ــ مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني وصولا الى الغاء معاهدة السلام مع اسرائيل .

٤ ــ تحرير الدول النامية من المديونية التي تشكل أدوات ضغطاً على الدول المدينة .

٥ ــ تشجيع التجارة البينية من الدول العربية التي هي في نحو ٨ ٪ في الوقت الحاضر .

٦ ــ انشاء سوق عربية حرة تساعد على توثيق العلاقات بين الدول العربية في المجالات الاقتصادية بعيدا عن الهيمنة الاجنبية .

٧ ــ انشاء هيئات توجيه وطني في الاقطار العربية والاسلامية مهمتها مواجهة العولمة .

٨ ــ اقامة التكتلات الاقليمية من خلال اقامة سوق شرق أوسطية اسلامية بدلا من سوق شرق أوسطية تسيطر عليه اسرائيل والدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة .

النحـــو في معاهدنا التعليميـــة

طرائق تدريســـه ومـــادته

الدكتور كاصد ياسر الزيدي
كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد

الملخـص

انتهت التجربة التعليمية الطويلة لصاحب البحث ، الى القـــول بوجوب استعمال العربية الفصيحة عند التدريس ، ابتداء من المرحلة الابتدائيـــة • وإن (مادة النحو) التي انعقد عليها البحث ، ينبغي أن يراعى فيهـــا أمـــور : أحدها : العدول عن استظهار القواعد من غير فهم ، والثاني : إبعاد الطلبـــة ـ ولاسيما المبتدئون ـ عن تحكيم القواعد المنطقية في فهم النحو • والثالث: وجوب النأي عن التقعيد على ما لا شاهد له • والرابع : ضرورة البناء على (نحو القرآن الكريم) وقراءاته المشهورة بما فيه الكفاية • والخامس : وجوب النأي عن الأعاريب المبنية على تأويلات بعيدة ، لاضرورة لها إلا قواعـــد عامة وضعها النحاة ابتداء ،وعدم المجازفة بالقول بزيادة عدد من الادوات وتناوبها في القرآن بلا ضرورة ، ووجوب إعادة معاني النحو اليه عند دراسته •

تمهيـــــــد :

كانت تجربتي الطويلة في التعليم العام بفرعيه : الابتدائي والثانوي ، وفي التعليم الجامعي ، قد أمدّتني بفيض من الملاحظات ، ووجهـــات النظر المتعلقة بتدريس علوم العربية ، من لغة ونحو وصرف وبلاغة ، إذ مارستهـــا جميعا ، وألتّمت في (النحو) و (فقه اللغة) خاصة ، فاجتمعت لـــي بذلك

بتجربتي التعليم والتأليف في المراحل الثلاث • وقد انطوت تجربتي في التأليف النحوي على كتابين : الاول لطلبة السنة السادسة الابتدائية سنة ١٩٥٧ ، وهو (في الإعراب الابتدائي) ، والآخر لطلبة السنة الاولى المتوسطة سنة ١٩٦٥ ، بتكليف من وزارة التربية ، ومعي زميلان ، وأما المرحلة الجامعية ، فلي فيها كتابان : أحدهما منهجي معروف في جامعات قطرنا ، وجامعات عربية ، وهو (فقه اللغة العربية) للسنة الرابعة في أقسام اللغة العربية • والكتاب الآخر شامل جامع طبع قبل نحو سنة في انكلترا واسمه (منهج أبي عبيد في تفسير غريب القرآن) ، وقد ضم كلا الكتابين مادة نحوية ، في جملة ما ضمّا •

وحين كنت في جامعة الموصل ، كتبت مقالات في جريدة (الحدباء) ، بعنوان : (مشكلات جامعية) ، تناول أحدها (المستوى العلمي للطلبة)[١]، وآخر كان بعنوان : (الحفاظ على سلامة العربية وفاء للغة الضاد ، واخلاص لهذه الامة)[٢] ، وكان الثالث بعنوان : (الضاد •• لغة أم وجود)[٣] • والرابع بعنوان : (قرارات المجمع •• أترف هي أم ضرورة)[٤] ؟ ،ثم كان الخامس : (معنى استمساكنا بالقرآن الكريم)[٥] وغير ذلك • وكانت هذه المقالات تتوخى التنبيه على التفريط في الالتزام بالعربية الفصيحة ، ولاسيما في نطاق التدريس الجامعي ، ومسميات معاهده بعد تعريب طائفة منها مثل (معهد التكنولوجيا) الذي صار (معهد التقنية) بعد هذا التنبيه ، وذلك

---

(١) (الحدباء) ، العدد ٦٢١ في ١٩٩٤/٤/١٩ •
(٢) (الحدباء) ، العدد ٥٩٦ في ١٩٩٣/١٠/١٩ •
(٣) (الحدباء) ، ٢١ تشرين الاول ١٩٩٥ •
(٤) (الحدباء) ، العدد ٦١٣ ، في١٩٩٤/٢/١٥•
(٥) (الحدباء) ، ١٩٩٤ •

في جامعة الموصل، في حين بقيت (الجامعة التكنولوجية) ببغداد محتفظة بتسميتها من غير أن تأخذ بالتعريب فيها ،وهو (التقنية) ، ولعلها تفعل ذلك قريباً بإذن الله •

وها أنا ذا أستجيب للدعوة الكريمة من لدن أمانة المجمع العلمي ، بالمشاركة في هذه الندوة ، ببحث يتناول أحد علوم العربية وطرائق تدريسها ومناهجها بايجاز ؛ للوصول الى مقترحات عملية ، تكون منطلقا لتدريس لغة الضاد ، كما جاء في تلك الدعوة •

وقد اخترت مادة (النحو) لهذا البحث ؛ إذ هي أكثر مواد العربية لدى الدارسين ، قديما وحديثا ، وأكثر ما يشتكى منه في مراحل التعليم المختلفة ــ ومنها الجامعية ــ في أيامنا هذه النحو، فهو ــ لذلك ــ حري بأن يفرد له بحث ؛ إذ يشكو الطلبة من صعوبته ، ويشكو الاساتذة من عدم استيعاب الطلاب لمادته ،الامر الذي يلجئهم الى الحفظ الرتيب من غير فهم •

وسيدور البحث ــ بعون الله ــ على الموضوعات الآتية ، وهي :لغة التعليم ، ومادة التعلم مضمّنة مسائل وموضوعات فرعية متعددة هي : استظهار القواعد من غير فهم كاف لها ، وتحكيم القواعد المنطقية ، واختلاق التقديرات والأعاريب المختلفة ، ثم تشعّب القواعد النحوية وتضاعفها ، وقبول الشواهد الشعرية ، مع قلتها وندرتها ، بل مجهوليتها وشذوذها ، وعدم الأخذ بشواهد الحديث الشريف الثابت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بدعاوى متعددة ، إلا ما ندر • وعدم البناء في التعقيد النحوي على نحو القرآن بما فيه الكفاية ، والقول بزيادة عدد غير قليل من الادوات الحرفية والاسمية ، ومنها القرآنية ، مع امكان حملها على الأصالة ، فضلا عن فصل النحو عن معانيه ، وعدم كفاية التطبيقات النحوية • فهذه الموضوعات أهم ما يلفت نظر الباحث في مشكلات النحو •

لغـة التعليـم :

وهي الإطار الذي توضع فيه الصورة • فالمادة اللغوية تصاغ بأساليب، وتقدم الى الطلبة بتعابير • وقد تبين لي من تجربتي التعليمية أن هذه اللغـة التعليمية تدور في مدارسنا الابتدائية على الكلام بالعاميـة غالبـا ، وفي المتوسطة والاعدادية والجامعة على الوسطى ــ وهي التي تجمع بين العامي والفصيح ، والتي يتكلم بها المتعلمـون عادة(٦) • أو تكون تلـك اللغـة التعليمية فصيحـة • غـير أن هـاتين المـرحلتين : الاعـدادية والجامعيـة لم تَعْدُ ما يستعمل العامية في تعليم العربية ، سواء أكان ذلك عـن عمد أم تهاون أم عجز •

وقد زاملت تدريسيا في الجامعة مختصاً باللغة العربيـة وآدابهـا ، لا يكاد يُحكم جملة فصيحة • بل وجدته اذا تطلبت الحال الكلام بالفصيحة في محاضرة أو ندوة أو مجلس علم ، أو تكريم شخص ، يتلكأ ، ويبدىء ويعيد ، خالطاً العامي بالفصيح ، ثم لايلبث أن يلوذ بالعامية !•

وقد نبّهت مدرسا شاباً يدرّس مادة إسلامية ، على ضرورة الكلام بالفصيحة لا العامية ، بعد أن وجدته يتكلم بالاخيرة ، فتكلفهـا وقتاً ما ، ثم مالبث أن عاد ثانية الى العامية • ويبدو أننا اليوم نحتاج الى اختبـار عملي في التعبير، يقوم على اختبار قدرة التدريسي ــ ولاسيمـا الذي في الجامعة ــ على التعبير بالفصيح ، وأن يكون ذلك تمهيداً للترقية العلمية• وقد يبدو ذلك أول وهلة أمراً صعب التنفيذ مستغربا ، إلا أن الواقـع الذي وصفت ، يجعله شيئاً ضروريا ، اذ لا يخفى ما فيه من بعث لحيـاة العـربية الفصيحة ، في ذات كل من لاقدرة لهعلى أدائها •

---

(٦) ينظر في هذا : طه الراوي : نظرات في اللغة والنحو ص٦٢ . وكتابنـا : فقه اللغة العربية ص ٣٧٤ــ٣٧٥ .

وأذكر أني حين كنت معلماً في الابتدائية سنة ١٩٥٤ ، كان طالب نابه يعاني من (تأتأة)[٧] عند الكلام في الدرس ،أو مع شخص يهابه أو يخشاه.. فجعلته عريفاً للحفل الأدبي الذي كان يقام إذ ذاك عصر كل يـوم اثنـين ، فيسهم فيه الطلبة وغير واحد من المعلمين ، بكلمة أو قصيدة أو توجيـه أو نحو ذلك.. ولم يثنني عن هذا العزم اعتراض مدير المدرسة على ذاك ؛ إذ كان يرى أن ذلك أشبه بالعبث الذي لا طائل وراءه ، إلا تعريض الطالب الجاد (عبدالعظيم) ، وهذا اسمه ، لسخرية زملائه ، عند عجـزه عن الكلام بيسر ، في تقديم تلك النشاطات المدرسية !

وكانت النتيجة ـ بحمد الله ـ كما حدستُ وتوقعت ، إذ زال عنه ذلك العيب النطقي ، ويبدو أن إحساسه بهذه الثقة العالية به ، هو السبب في ذلك .

وقد علمت عند انتقال الطالب الى مرحلة المتوسطة ، أنه تفوّق في الخطابة ، فنال جائزة ، ضمن مباراة أجريت فيها في ثانوية الناصرية . وقد التقيته قبيل سفره الى انكلترا لإكمال دراسته العليا في الهندسة ، وكنت إذ ذاك مدرساً في بغداد ـ فوجدته قد شُفي تماماً من نطقه من تلك (التأتأة) .

تسويغ اللحن بدعوى الحداثة:

وهناك من يسوّغ اللحن ـ وهو الغلط في الكلام الفصيح ـ بدعوى (الحداثة) ، فيبيح الغلط الشائع ويعده صحيحاً ، وربما احتج لذلك بعدد من الشعراء والكتاب والأدباء المعاصرين لنا ، في دعواه هذه ، إذ يتخذهم حجة وذريعة لتسويغ غلطة ، ولاسيما حين يكون الامر متعلقاً باستعمال ألفاظ عامية بدل الفصيحة . فإذا قيل لذلك المدرس : ان هذا لايجوز ولايسوغ في العربية ، احتج لذلك بما يتداوله عدد من الشعراء

(٧) (التأتأة) : ترديد التاء عند النطق ، وهو عيب نطقي ، قد يكون سببه نفسياً .

من عامي الألفاظ في أشعارهم ، كاستعمال شاعر معروف لكلمة (هَلاهِل)، بدلا من الكلمة الفصيحة المستعارة مما استعملته العرب ، وهي (زَغاريد) ، إذ (الزغْردَة) معروفة في كلامهم ، وهي في أصل استعمالهم لها ، تعني أنها « هدير بلابل يردده في جوفه(٨) » ، فاستعاره المعاصرون لهذا الصوت الذي ينطلق به اللسان تكريرا ، عند الفرح ، واستعمل الشاعر المعاصر العاميَّ المتداول ، وهو ما لايسوغ •

وقد يحتج هذا المُبيح للعامي بقول بعض الشعراء اللبنانيين : (يا هَلا)!، للتعبير عن الترحيب بالقادم ، من غير أن يكون له علم بأن ذلك مستنكر لدى شعراء كبار معاصرين ، غير أولئك الذين يراهم صاحبنا مبيحين • ويكفي أن الشاعرة الكبيرة والناقدة المُجيدة نازك الملائكة ، قد استنكرت مثل هذا التعبير ، وألقت باللوم على النقاد اللبنانيين ؛ لأنهم لم ينكروا على الشاعر الذي استعمل (يا هلا) ، هذا التعبير(٩) ؛ إذ الفصيح المروي عن العرب : هو (يا مَرحبا) بألف غير منونة عند الوقف ، فأهمله هذا الشاعر اللبناني ، عامداً الى لفظ عامي يماثله في الدلالة ، ويغايره في الماهية ، وأصول استعمال المفردة في ما هو فصيح من الكلام : شعراً كان أو نثراً •

وقد صار سُنّة لدى المعلمين والمدرسين ، وأساتذة الجامعات المختصين بالعربية ، استعمال ألفاظ شبّوا على استعمالها مع غلطهم فيها، كاستعمال (بينما) وسط الكلام لا في بدايته ، واستعمال (التكْنولوجيّة) بدل (التقْنية) ، التيهي معرّبات (المجمع العلمي العراقي)(١٠) ،

---

(٨) القاموس المحيط ٢٩٨/١ ، (زغرد) .

(٩) ينظر نقدها له في كتابها القيم ـ كما وصفه الناقد المصري الدكتور عبدالقادر القط ـ : (قضايا الشعر المعاصر) .

(١٠) تنظر : نشرة المجمع الصادرة سنة ١٩٨٧ :«مصطلحات والفاظ حضارية». وينظر مقالنا : (قرارات المجمع .. اترف هي ام ضرورة) ، مجلة (الحدباء) ، الموصل .

واستعمال (الفشَل) ـ وهن الجبن في فصيح الكلام ـ بدل (الخَيْبة)، الى ألفاظ أُخر •

مادة التعليم :

حين يتأمل الباحث في مادة (النحو) في مراحل التعليم الأربع الابتدائية ، والمتوسطة ، والاعدادية ، والجامعية ، يتبيّن له أمور منها ما يعم هذه المراحل الاربع كلها، ومنها ما يتعلق بأكثرها ، ومنها ما يتناول مرحلة منها ، وذلك :

١ ـ استظهار قواعد النحو من غير تفهم كاف لها :

وهذا ما يلحظ في التعليم الابتدائي خاصة ؛ إذ يتعلم الطلبة عادة قواعد العربية في السنتين الاخيرتين ، ويتلقونها من معلميهم من غير إدراك لكثير من معانيها وحقائقها بكفاية وتفهم تام • فاذا أعرب المعلم مثلا (يكتب زيدٌ الدرسَ) علّل رفع الفعل المضارع (يكتب) في الجملة بعبارة يقولها التلاميذ ولايفقهونها غالباً ، وهي : «تجرده من الناصب والجازم» مع أن فكرة «التجرد» ذات مدلول عقلي منطقي مبني على مبدأ المخالفة ، وهي لاتناسب عقول وفهوم الصغار في الابتدائية ، ولذلك يعمد هؤلاء الى حفظها كما هي ، من غير أن يسأل أحدهم مدرس النحو عن دلالتها • فذلك ما لايجرؤ أكثر الطلاب عليه ، خوفا من اتهام المعلم لهم بالغباء وقلة الفهم للعبارات النحوية • ولو كان الاعراب : «لأنه لم يدخل عليه ناصب ولا جازم» ، لكان الامر أهون على الصغير مما أثقله به الإعراب التقليدي الصعب الموروث •

وما يزال الطلبة في مراحل التعليم كلها ـ ومنهم طلبة الجامعة ـ لايستطيعون أن يدركوا معاني كثير من المصطلحات والعبارات النحوية ، مثل : (المفعول المطلق) و (الصفة المشبهة) ،(المطلق) من أي شيء ؟ و (المشبهة) بأي شيء ؟ وهكذا الحال في مصطلحات نحوية أخرى •

٢ ـ تحكيم القواعد المنطقية :

يوجب المنهج العلمي السليم عند وضع القواعد استقراء دقيقاً وشاملا للمادة العلمية[١١] ، وذلك لإحراز جانب الصدق في القواعد ، وانطباقها على الواقع اللغوي •

غير أن النحاة القدامى تأثروا بالمنطق الأرسطي ومقولاته ، فانتقل هذا التأثير «الذي يخلط بين الدراسات اللغوية ، والدراسات المنطقية والميتافيزيقية ، الى اللغة العربية ودراساتها ، وبالأخص أصل اللغة والدراسات النحوية[١٢]» • ويبدو هذا التأثير في النحو العربي من جانبين اثنين (أولهما جانب المقولات وتطبيقها في التفكير النحوي العام ، وثانيهما الأقيسة والتعليلات في المسائل النحوية)[١٣] •

وقد ترتب على ذلك تعدد العلل على درجات ، فكانت (العلل الأوائل) و (العلل الثواني) ، بل و (العلل الثوالث) •

وكان من نتيجة التأثر بالمنطق الأرسطي ، أن عمدوا الى (المنطق الدراسي) ، وهو المنطق الذي يعكس التضية ؛ إذ يوجد القاعدة أولاً ، ثم يكيّف النصوص على أساسها • مع أن البحث العلمي ــ ولاسيما في اللغة ــ على عكس ذلك تماما ؛ اذ يستعمل (الاسلوب الاستقرائي) الوصفي، ويبني عليه بعد ذلك القاعدة[١٤] ، بلا تكلف •

وقد أدى اتخاذهذا المنهج الذي عمد اليه النحويون ، الى صعوبة النحو على الدارسين ، ولاسيما في عصرنا الحديث ، وفي أيامنا هذه بخاصة • مع ان الهدف من النحو كان « وقاية الألسنة من الخطأ في صياغة الجملة • وكانت أبوابه تتوخى ما فيه الكفاية ؛ لتقويم الألسنة[١٥]» •

---

(١١) مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ص ٢٥ •

(١٢ ، ١٣) د. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٢٥ •

(١٤) مناهج البحث في اللغة ص ٣٣ •

(١٥) د. حسن ظاظا : كلام العرب ص١٦١ •

وقد عقّد ذلك النحو ، فاشتهر بذلك نحاة قدامى ، مثل علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) حتى قال عنه ابو علي النحوي المعروف بالفارسي : «إن كان النحو ما يقوله الرماني،فليس معنا شيءمنه،وان كان النحو ما نقوله، فليس معه منه شيء[١٦]» ،وذلك أنه كان يمزج كلامه بالمنطق[١٧] .

فاذا كان المنطق لايجيز أن يأمر المرء نفسه ، لأن الآمر في المنطق يكون في الخارج، فلا يصح عند هؤلاء الواقفين عند حدوده ، أن يكون الآمر والمأمور واحداً ، بل يقتضي المنطق ثنائيتهما . مع أن الاستقراء اللغوي يجيز ذلك ، فيسوّغ أن يكون المرء آمراً لنفسه ، والدليل على ذلك من النصوص اللغوية ما ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أنه قال لأصحابه : (قُومُوا فَلأُصَلِّ معكم[١٨]) . فهذا أفصح كلام بشري ، وأفصح كلام على الاطلاق بعد كلام الله ، يرد في العربية . ونظيره في الجواز « نهي الغائب » ، مع عدم نصّهم على ذلك ، وشاهده القرآن كذلك إذ قال تعالى: (فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات)[*] .

٣ ـ تشعب القواعد النحوية وتضاعفها :

وكان من نتيجة ذلك تشعّب القواعد النحوية وتضاعفها ، حتى تصوروا عبارات لم يُنطق بها ، وأجازوا استعمالها في الكلام . فقد نقل سيبويه عن النحاة أنهم جوّزوا أن يقال : (أعطا هُوْكَ وأعطا هُوْني) ، وقد أنكر ذلك عليهم ، لأنه وجده لا شاهد له من كلام العرب ، فقال :« فإنما هو شيء قاسوه ، لم تَكَلَّمَ به العرب ، فوضعوا الكلام في غير موضعه » ، ثم بيّن أنه لو كان له نظير من كلامهم لكان بناؤه على هذا الاساس ممكنا وجائزاً ، فقال : «وقياس هذا ــ لو تَكَلَّمْ به ــ كان هيّناً[١٩] » . وهذا

(*) فاطر : ٨ .
(١٦) ابن النديم : الفهرست ص٦٣ .
(١٧) الانباري : نزهة الالباء ص ٣١٩ .
(١٨) الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ص ٢٥٢ .
(١٩) سيبويه : الكتاب ١ / ٣٨٣ ، وينظر ، كتابنا : فقه اللغة العربية ص ٢٧٩ .

ما قال به في عصرنا هذا كبار اللغويين : كقول ج. فندريس[٢٠] : « يطلق القياس على العملية التي يخلق بها الذهن صيغة ، أو كلمة ، أو تركيباً لأنموذج معروف » .

وكان ابن مضاء قد أنكر قديما على النحاة هذا الصنيع ، الذي أنكره من قبله سيبويه ، في الكلام الذي أوردناه له آنفاً . إذ أورد في (باب التنازع) من أمثلتهم المخترعة ، التي لاشاهد ولا نظير لها من كلام العرب : (أعلمْتُ وأعلمَا فيهما اياهما الزيدين المُهَرَّيْنِ منطلقينِ[٢١] » . وهو كلام ألصق بالرطانة منه بأسلوب العربية الفصيح ، ولذلك استغربه اللغويون المعاصرون ، على نحو ما نجد في كلام للدكتور تمام حسان ، وكلام نقله عن بعض أساتذته فيه سخرية من اللغة[٢٢] .

ومن دلائل تشعّب القواعد وتضاعفها ، أنهم حين وضعوا قواعد (الصفة المشبهة) أوصلوها الى اثني عشر وجها ، لكل وجه ثلاثة أحكام تتعلق بعمل الصفة المشبهة : رفعاً ، ونصباً ، وجراً . وبذلك غدت صورها ستا وثلاثين صورة[٢٣] ، ليس لأكثرها نصيب من الواقع اللغوي ، الذي عليه مدار وضع القواعد ــ كما هو معلوم ــ فيما ينبغي . «مع أن طبيعة البحث في اللغة : نحوها وبلاغتها وسائر علومها ، ليست إلا بحثاً استنباطيا استقرائياً ، يقوم على الملاحظة واستخلاص النتائج ، لا على افتراض وتصور ما لم يقع أصلا[٢٤]» .

ويعضد الشعور بهذا التزيّد ، أننا لو رجعنا الى القرآن الكريم ، وهو أفصح كلام عرفته العرب ، وأبلغه لوجدنا قواعد الصفة المشبهة ، وأمثلتها الدالة عليها ، أقل من ذلك بكثير ، اذ هي جارية فيه على اللغة

---

(٢٠) اللغة ص ٢٠٥ .

(٢١) ابن مضاء : الرد على النحاة ص ١١٣ .

(٢٢) د. تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٨٤ .

(٢٣) شرح ابن عقيل ٢/٢٢٢ .

(٢٤) نحو التيسير ص ٥١ .

الفصيحة ، التي لها واقع في كلام العرب[٢٥] ، لا على ما هو قائم على الظن والتخمين ، اذ قام على تلك اللغة (المشتركة) أو الموحّدة ، كما هو معلوم .

٤ ـ عدم البناء على نحو القرآن بما فيه الكفاية:

ومن هنا ، فان الدعوة الى اعتماد نحو القرآن للتقعيد النحوي ، ليست إلا دعوة الحق الذي لا حق سواه في هذا المضمار . وهو أن نعود الى القرآن الكريم بقراءته ، ونخصّ منها المشهورة ـ عند وضع القواعد ـ لئلا تتعدد وتتشعب ـ لو أدخلنا الآحاد والشواذ معها ـ ؛ إذ في المشهورة منها ـ وهي العشر ـ كفاية . ولا عبرة بمن غلّط قارئاً مشهورا كحمزة ، أو ابن عامر ، أو غيرهما من القراء السبعة المشهورين الذين أجمع عليهم أهل أمصارهم ، وعُرفوا بالأمانة والوثاقة والاتقان ، كقراءة حمزة ابن حبيب الزيات (١٥٦هـ) بجرّ (الأرحام) من قوله تعالى : (واتّقوا اللهَ الذي تساءلون به والأرحام [٢٦]) ؛ إذ وصفوها بالشذوذ والخروج عن قواعد العربية ؛ على أساس أنه لايجوز جر الاسم الظاهر المعطوف على ضمير مجرور ، إلا بعد اعادة حرف الجر[٢٧] . الامر الذي حمل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) على الانتقاص من حمزة بوصفه إياه بشدة الاضطراب ، وكثرة الخلط ، وكذلك وصفُه إياه بنبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بافراطه في المدّ والهمز وغيرهما[٢٨] . مع أن حمزة من القراء السبعة

(٢٥) د.احمد عبدالستار الجواري : نحو التيسير ص ٦٤ .

(٢٦) النساء : ١ .

(٢٧) وعده أبو علي الفارسي بانه «ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال » تنظر : الحجة في القراءات السبع جـ٢ ، والطبرسي : مجمع البيان ٤/٧ ، فقد نقل ذلك عنه .

(٢٨) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٦٠ .

المشهورين . وقد أخذ عن الثقات من أهل العلم ، ووثقه أصحاب الطبقات الذين كتبوا في القراءات مثل ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)[٢٩] ، وغيره .

وكان المنهج العدل يقتضي العكس تماما ، وهو بناء القواعد النحوية ابتداء على نصوص القرآن الكريم ، وجعله حكماً . على حين جعلوا قواعدهم أساسا في تأويل النصوص القرآنية ، بما يلائم تلك القواعد التي وضعوها ابتداء ، وذلك :

(أ) فمن ذلك تأويلهم النصوص القرآنية ، بتقدير فعل محذوف بعد الشرطيان الثلاث (إنْ) و (إذا) و (لو) و (متى) ، وجعلهم الفعل المذكور في الجملة مفسرا لذلك الفعل المحذوف الذي قدّروه. فاعتاصوا بذلك الاعراب والنحو على الشادي من الدارسين الذي لايفقه من قواعد النحو إلا القليل[٣٠] ، بل اعتاصوه كذلك على الدارس المتقدم ، ومنهم طلبة العربية في الجامعات .

ونحن اذا نظرنا في مناهج تعليم النحو وكتبه وأعاريبه ، بدءاً من المرحلة الثانوية وصعودا الى المرحلة الجامعية ، وجدنا هذا الاعراب هو السائد بين الطلبة والمدرسين ، ونحن نحاول جاهدين إقناع طلبتنا بصحته ، من غير أن نكون ــ غالباً ــ مقتنعين به في أنفسنا .

نعم لقد جعلوا الاسم المرفوع بعد هذه الادوات ، فاعلاً لذلك الفعل ، وجعلوا ما بعده من فعل مفسّر له ، وأوّلوا الآيات الكريمة مثل هذا التأويل ، كما في قوله تعالى : (وإنْ أحد من المشركين استجارك)[٣١] ، وقوله : (إذا السماء انفطرت)[٣٢] . وهذا التأويل

(٢٩) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ٢٦٣/١ .
(٣٠) الجواري : نحوالتيسير ص ٥٩.
(٣١) التوبة : ٦.
(٣٢) الانفطار : ١.

هو منهج البصريين ، وخالفهم فيه الكوفيون ، ومعهم من البصريين الأخفش الاوسط ، اذ أعربوا الاسم الظاهر بعد الأداة مبتدأ[٣٣] .

وحجة البصريين في هذا أن الاسم الظاهر يرتفع بتقدير فعل ، لأنه لايجوز أن يفصل بين الجازم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولايجوز أن يكون عاملا فيه ، وذلك لسبب منطقي عندهم بنوا عليه قاعدتهم ، وهو « أنه لايجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه، فلو لم يقدّر ما يرفعه ، لبقي الاسم مرفوعا بلا رافع ، وذلك لايجوز. فدل على أن الاسم يرتفع بتقدير فعل ، وأن الفعل المظهَر الذي بعد الاسم يدل على ذلك المقدّر[٣٤]» .

وهكذا تأول البصريون تقدير فعل محذوف بعد هذه الأدوات ، ولم يأبهوا لما ذهب اليه الكوفيون في تجويزهم تقديم الفاعل على فعله بعد (إنْ) خاصة ، لانها أم الباب في الشرط[٣٥] ، ولا الى ما ذهب اليهم بصري كبير وهو الأخفش الاوسط من جعل الاسم المرفوع مبتدأ مع كل أداة من هذه الادوات[٣٦] . مع أن هذا الرأي مبني على ظاهر الكلام ، بلا اعتساف تأويل ، فكان أقرب الى الصواب ، ولاسيما أنه صدر عن نحوي كبير وهو الأخفش ، ومعه الكوفيون جميعا .

ونحن الآن نردد في معاهدنا الدراسية كلها ، ذلك الاعراب الذي ذهب اليه البصريون ، فنقدّر الفعل المحذوف بعد أدوات الشرط الثلاثة ، ونجعله مفسَّراً بالفعل المذكور . ولا نبالي اذا فهمه طلبة المتوسطة والاعدادية أو لا ؟ وكل همنا أن يحفظه الطلبة ، ويستعدوا به للامتحان العام أو الخاص .

---

(٣٣) الانباري : الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ٢/٣٢٢.
(٣٤) الانصاف ٢/٣٢٤ .
(٣٥) الانصاف ٢/٣٢٣ ، وهو قول الطوسي في تفسيره(البنيان) .
(٣٦) الانصاف : المكان نفسه .

وكان من سيطرة فكرة اختصاص الشرطيات الثلاث ـ المذكورات آنفاً ـ بالفعل ، تقديرهم فعلا بعد (لو) في مثل قول العرب : (لو ذاتُ سِوار لطمتني) ، وهو مثال الزمخشري في كتابه (المفصّل في العربية [٣٧]) ، اذ جعل التقدير : « لو لطمتني ذات سوار لطمتني»، وانجرّ هذا التقدير الى آي القرآن المجيد ، فطبقوا عليه فكرة الاختصاص التي أشرنا اليها ، حتى قال ابن هشام[٣٨] : « إنّ (لو) خاصة بالفعل ، وقد يليها اسم مرفوع لمحذوف ، يفسره ما بعده ». يريد بالمحذوف : الفعل المقدّر الداخلة عليه (لو) عندهم ، وهو الذي يفسره الفعل المذكور بعده بحسب أعاريبهم وأن التقدير عندهم : (ولو ثبت أنهم آمنوا) ،وذكر ابن هشام أن هذا الوجه «رُجّح أن فيه إبقاء (لو) على الاختصاص بالفعل[٣٩]» ، وأنه اختيار المبرد والزجاج والكوفيين .

وهذا التأويل بتقدير فعل بعد (لو) انساق اليه الزمخشري أيضا ، وهو النحوي والبلاغي البارع ، متابعاً أصحابه البصريين ، فقدّر الفعل (ثبت) بعد (لو) في قوله عزّ وجل : (ولو أنهم صبروا) ، على غرار ما قدره في المثل الذي نقلناه عنه آنفاً ، وجعل المصدر المؤول من أنّ واسمها وخبرها فاعلا لذلك الفعل[٤٠] . وكل هذا تكلف منه لهذا التقدير .

(ب) ومما لم يراعوه من نحو القرآن ،وما زلنا نردده في معاهدنا العلمية، القول بزيادة عدد من الأدوات ، مع أن في الامكان حملها على الأصالة، ولاسيما أن المعنى معها هو القوي ، وهو الوجه . وهذا ظاهر في

---

(٣٧) ينظر : المفصل في العربية للزمخشري ، عند الكلام على الشرطيات التي يحذف الفعل معها .

(٣٨) مغني اللبيب ١/٢٦٩ ، والآية من سورة يس .

(٣٩) مغني اللبيب ١/٢٧٠ .

(٤٠) الزمخشري : الكشاف ٣/١٤٨ .

كثير من الحروف ، ولاسيما حروف الجر ، مثـل (مِن) و (مـا) و (الواو) و (أو) وغيرها . وهو ما حاول النحاة الكوفيون تجنبـه اصطلاحاً فسمّوه (صلة) ، على حين سمّاه البصريون : زائـداً ، أو حشواً ، أو مُقحماً ، وهي تعبيرات موحشة لا تليق بالبيان الأعلى.

وكان أبو عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) من أقدم من فتح البـاب في القول بالزيادة ، مع إفراط واضح في ماهيتها ، إذ حمل عددا كبيرا من الحروف والاسماء والافعال على ذلك[41] . وهذا المنهج ينبغـي لنا اعادة النظر فيه ؛ اذ ليس في الكلام الفصيح الصحيح الذي يقره العقلاء والبلغاء ما هو زائد عليه ، إلا ما اقتضته الضرورة ، كالتـي تطرأ على الشعر ، والتي لاتنال كتاب الله المجيد بحال ، فهو فوق كونه نثراً ، هو محكم من لدن حكيم خبير .

فما عدّه النحاة زائدا (مِن) في قوله تعالى : (قل هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء[42])؟. فقـد حملهـا أبو عبيـدة على الزيادة[43] ، على حين جعلها للتبعيض سائغ ، وعدوا (من) في قوله تعالى : (فما منكم من أحد عنه حجزين[44]) ، زائدة كذلك . على حين حملُها على العموم[45] هو الوجه ، فهي في هذا نظير (مِنْ) في قولنا : ما جاء من رجلٍ . وعلى هذا الأخفش[46] . فهذا أقـوى في المعنى من القول بزيادتها . فيكون المراد بالآية الاولى : لا أحـد

---

(٤١) ينظر بحثنا : من اوهام ابي عبيدة في مجاز القرآن ص٦ وما بعدهـا ، مقبول للنشر في مجلة (آداب الرافدين) .

(٤٢) الـروم : ٤٠ .

(٤٣) مجاز القرآن ٢/١٢٣ .

٤٤ الحـاقة : ٤٨ .

(٤٥) الانباري :البيان في اعراب غريب القرآن ٢/١٨٢ . وابو البقـاء : املاء ما من به الرحمن ٢/١٤٨.

(٤٦) معانـي القرآن ٢/٥٠٧ .

يفعل من ذلك ولو شيئاً قليلا منه أو بعضا منه[٤٧] • ونظائر ذلك كثيرة •

وأما جعلهم الباء زائدة[٤٨] في قوله عزّ وجل[٤٩] : (تنبُتُ بالدُّهْن وصبغٍ للآكلين) ، وصفاً للشجرة المباركة الزيتونة ، فهو مما يُردّ عليهم أيضا ؛ إذ حملها على الأصالة وجه قريب ، وهو أنها تنبت حاملة للدُّهن ، مليئة به ، وذلك لما تحمله ثمارها منه(*) ، فتكون الباء — على قراءة من فتح التاء — للتعدية ، وتكون متعلقة بالفعل (تنبت) ، وليست زائدة •

ولا ريب أن عدم القول بزيادتها أولى ، ولا سيما أن المعنى مستقيم معه على كلتا القراءتين المشهورتين : (تَنبُتُ) و (تُنبِتُ) ؛ إذ التي بالضم لها هنا عين دلالة التي بالفتح[٥٠] • بل إن الكوفيين قالوا بزيادة الواو[٥١] في قوله تعالى : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم[٥٢])، وعدّوا ما بعدها جواب اذا الشرطية ، بعد إسقاط الواو بهذا التقدير ، وهو ما ذهب اليه أبو عبيدة[٥٣] • وهذا خطأ لدى جمهور البصريين ؛ لأنها تفيد معنىً وهو العطف هنا • والجواب محذوف في رأي المبرّد ، وتقديره عنده: سَعِدوا[٥٤] • وهو وجه وصفه أبو البركات الانباري[٥٥] بأنه « أوجه » من القول بزيادة الواو ، ولا شك أن حمل اللفظ في القرآن المجيد على الاصالة ، أقوى من حمله على الزيادة •

---

(٤٧) معاني القرآن وإعرابه للفراء ١/٤٩٧ .
(٤٨) ينظر في هذا الانباري : البيان ٢/١٨٢ ، وابو البقاء ٢/١٤٨ .
(٤٩) المؤمنون : ٢٠ . (*) املاء ما من به الرحمن ٢/١٤٨ .
(٥٠) الزمخشري : الكشاف ٢ / ٣٥٩ — ٣٦٠ ، وابو البقاء ٢ / ١٤٨ .
(٥١) النحاس : إعراب القرآن ٢/٨٣٠ . (٥٢) الزمر : ٧٣ .
(٥٣) مجاز القرآن ٢/١٩٢ . (٥٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٣٠–٨٣١ .
(٥٥) البيان في غريب اعراب القرآن ٢ / ٣٢٧ .

وبالمثل عدّ كثير من النحاة (ما) زائدة في مثل قوله تعالى (مما خطيئتهم أغرقوا)[٥٦] ، فذهب البصريون الى أنها زائدة للتوكيد[٥٧] وسمّاها الكوفيون (صلة) ، ولم يجعلوها زائدة ، فقال الفراء[٥٨] : « إن العرب تجعل (ما) صلة فيما ينوى به مذهب الجزاء» ، وقدّر الكلام من غير حذف لها ، فقال : « كأنك قلت : من خطيئتهم ما أغرقوا ... فتؤخرها ، دليلاً على مذهب الجزاء » . فجيء هنا إذن بها لتوكيد المعنى . ومع تعمّد النحاس الرد على الكوفيين كثيراً ، ولاسيّما الفراء ، إلا أنه لم يكتم في تعليقه على ما ذهب اليه الفراء هنا ، استحسانه له بقوله: « ومذهبه في هذا حسن »[٥٩] ، أو قل: ان منهجه في مثل هذا الاسلوب حسن ، لأنه لايجازف بالقول بالزيادة، كما هو منهج البصريين بعامة .

والحق أن السياق يدلنا عند التأمل فيه ، أن (ما) حين تدخل الاسم في مثل هذه السياقات تفخّم مدخولها عن طريق الجرس[٦٠] ، كما فخّمت الرحمة النبوية الواردة في قوله تعالى (فبما رحمة من الله لِنتَ لهم)[٦١] .

ومن العجيب ـ برغم هذا كله ـ أن نحوياً حاذقا كبيرا كالمبرّد يسوّي معنوياً بين وجود (ما) هذه ، وعدمه . فيذكر أن « (ما) تزاد على ضربين » ، ويجعل (ما) في الآية مما تكون فيه « دخولها في الكلام كإلغائها»[٦٢] .

---

(٥٦) نوح : ٢٥ .

(٥٧) النحاس : إعراب القرآن ٢/١٥٣ .

(٥٨) معاني القرآن ٣/١٩٠ ـ ١٩١ .

(٥٩) النحاس : إعراب القرآن ٢/٥١٨ .

(٦٠) ينظر في هذا بحثنا : الجرس والايقاع في تعبير القرآن ، مجلة آداب الرافدين ـ جامعة الموصل ، العدد ٩ لسنة ١٩٧٨ ، ص٣٤ .

(٦١) آل عمران : ١٥٩ . (٦٢) المبرد : الكامل ٢/٣٤٢ .

بل وصل الحد بأبي عبيدة الى القول بزيادة الظروف الزمانية مثل (إذْ) و (اذا) ، الامر الذي حمل الطبري والطوسي وغيرهما على الرد عليه ، حين عدها زائدة في آية البقرة[٦٣] (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ، منطلقاً من قاعدة أصيلة هي: « غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له[٦٤]» • وهذا الذي قاله الإمام الطبري رسم لمنهج في « نحو القرآن » ، ينبغي الالتزام به • فأين نحن ــ المعاصرين ــ يا ترى منه ؟ اننا ما زلنا ندرّس في معاهدنامقولات عدد من النحاة القدامى في زيادة الادوات، ولو كانت في كتاب الله المجيد !

(ج) ومما ينبغي أن يصار اليه من نحو القرآن في مدارسنا اليوم تعديل القواعد العامة في بعض الادوات، والخروج بها من الإعمام الى الواقع اللغوي النحوي في النص القرآني وهو المبنيعلى الاستعمال، فالنحو التقليدي المدرسي يجعل (مَنْ) مطلقا للعاقل ، و (ما) مطلقا لغير العاقل • مع أن التعبير القرآني يدل بعدة نصوص ، على جواز استعمال (ما) للعاقل • وقد نص الفراء على ذلك ، وأورد عدة شواهد من القرآن الكريم عليه ، كقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء)[٦٥] ، وقوله : (وما خلق الذكر والأنثى)[٦٦] ، وقوله : (ووالدٍ وما وَلَد)[٦٧] ، وقال بعد ذلك : «كل هذا جائز في العربية»[٦٨]• • وهذا لاشك من سعة العربية •

ومما لم يلتفت اليه في نحونا المدرسي المعاصر تجوّز التعبير القرآني في صرف اسم منع من الصرف لعلتي العلمية والتأنيث ، وهي احدى العلل المعروفة في النحو لمنعه من الصرف ، فقد قال تعالى : (عيناً

---

(٦٣) هي الآية : ٣٤ .
(٦٤) الطبري : جامع البيان ٢/٤٠٠ .
(٦٥) النساء : ٣
(٦٦) الليل : ٣ .
(٦٧) البلد : ٣ .
(٦٨) الفراء : معاني القرآن ٣/٢٦٣ .

فيها تسمى سلسبيلاً)[69] ؛ اذ أن (سَلسبيل) علم بلا خـلاف ، وبدليل ما تقدمها من السياق ، وهو قوله تعالى : (تُسمّى) ، ومع ذلك لم تصرف ، وهي مؤنثة ، بدليل تأنيث هذا الفعل قبلها ، وهـو ما صرح به الفراء وأبو حيان ، فذكر الفراء[70] أن ذلك ليس بخطـأ، ولو كان خطأ من القُراء ما ورد فيأشعار العرب • وقال أبو حيان[71] ان صرفها ضعّفه أهل العلم ومنهم الزمخشري ، وعدّ ما نسب الـى الإمام علي عليه السلام ، من أنها من (سَلْ سبيلاً) مما لا يُقبل من الراوي ، بل هو من بِدَع الرواة ، وقال غيره ، إنه افتــراء على الإمــام)[72] •

(د) ومن الأساليب التي لانجد لها صدىً في كتبنا التعليمية في النحو ، وهي من نحو القرآن ، جواز الموازنة بصيغة (أَفْعل) التفضيل بـين شيئين متضادين من جنس واحد ، وهو ما كان علماء الكلام يمنعونه، فلا يستجيزون مثلاً أن يقال عند الموازنة بين أحمقين وعاقل : « هذا أحمقُ الرجلين » ، ولا أن يقال : «أعقلُ الرجلين» • ويقـولون : لا نقول التعبير الاول إلا لأحمقين ، تفضّل أحدهمـا على الآخر ، ولا نقول التعبير الثاني إلا لعاقلين تفاضل بينهما •

على حين أن أسلوب القـرآن ، يـدل على جـواز ذلك الذي لـم يستجيزوه ؛ ذلك أنه سبحانه قال في الموازنة بين حال أهـل الجنـة وحال أهل النار : (أصحابُ الجنـة يومئذ خير مستقـراً وأحسن مَقيــلاً)[73] • وهذا يعني أن اسم التفضيل يصح استعماله للموازنة

---

(٦٩) الإنســان : ١٨ . (٧٠) الفراء : معاني القرآن .

(٧١) البحـر المحيط ٣٩٨/٨ .

(٧٢) ينظر : العلم في القرآن الكريم / دراسة لغوية ومعجم حسين عيـدان مطر ـ جامعة القادسية ماجستير / تموز ٢٠٠٠ ص ١٩٧ .

(٧٣) الفرقـان : ٢٤ .

بين متضادين في الحالة ، أو متناقضين[٧٤] • فهذا مما لم نعن به في نحونا المدرسي ، ولا أوليناه أهمية ؛ لأننا شايعنا فيه النحاة فيما قرروه وبنوه على قواعدهم المنطقية •

٥ ــ عدم كفاية التطبيقات النحوية ، بل ندرتها غالبا ،
وعدم حفظ اكثر الشواهد :

فالمعوّل في أكثر الاقسام التي تدرّس النحو في الجامعات ، على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وهو الشرح الشهير الذي درسته أجيال من دارسي النحو منذ ظهوره • وعليه المعوّل اليوم في أكثر معاهدنا التعليمية العالية ، إذ فاق دراسة كتب ابن هشام، التي دون مستوى (مغني اللبيب) ، مثل (قطر الندى) و (شذور الذهب) ، مع ما لهما من سمعة وقيمة علمية لمتوسطي العلم في النحو •

فالطالب الجامعي يدرس الشرح ثم يعمد الى فهمه وحفظ معناه ؛ ويحفظ جانبا من أمثلته ، وقد يلقي نظرة عجلى على حاشية المحقق الشيخ محيي‌الدين عبدالحميد رحمه الله ، وقد يضيق بتفصيلاتها ، ودقة عباراتها، فلا يلبث أن يعود سريعاً الى المتن • وكنا في أيام دراستنا في دار المعلمين العالية، التي سميت عند قبولنا فيها سنة ١٩٥٨ : كلية التربية ، بعد ثورة ١٤ تموز ، نحفظ الشواهد ، ولاسيما الشعرية ، ونمتحن بها ، ولا سيما في نهاية العام الدراسي ، على أساس أنها تثبت القواعد ، فهي اذن جزء من المادة العلمية • بل منا من كان يحفظ أبياتا من الألفية نفسها ، ولاسيما من كان شاعراً منا ، متفوقا في دراسته • وما زلت أحفظ منها أبياتا في المبتدأ والخبر وحروف الجر وغيرها •

---

(٧٤) وقد اوضح الفراء ذلك ، ونبه علي ماهر بالضد منه من كلام المتكلمين. ينظر : معاني القرآن ٢/٢٦٧ •

إلا أن الطلبة في أيامنا هذه يهملون اكثر ذلك ،فلا يعنون بالشواهد بكفاية ، وذلك حين وجدوا أساتذتهم قد أباحوا لهم ذلك ، وتركوا الامر لمن يطيق الحفظ •

وهذا في الواقع تقصير ، يقع ضرره على الطالب ، اذ لابد من حفظ الشواهد النحوية ؛ لأنها الدعائم التي نبنى عليها القواعد النحوية ، فعليها تدور القواعد المطردة ، وغير المطردة • فكيف تتركها لمروءة الطالب ومزاجه ؟! ، وهو الذي لو خيّر بترك النحو كله ، لما وجد معدلا عن تركه• وكم من مرة سألت بها طلبتي في جامعتي الموصل وبغداد عن أية مادة أصعب ؟ فأجابوا بأنه النحو ، ولم أسمع عن الرسوب في مادة كالذي سمعته فيها •

٦ ـ الفصام بين النحو ومعانيه في كتبنا النحوية :

ونقصد بذلك عدم الربط بين القواعد النحوية ، وبين المعاني المتصلة بها ، والمؤدية الى صورها • وهو الفصام الذي أسميه : (الفِصام النَكد)، إذ هو في رأيي ، من أكثر مشكلات النحو إضرارا بالنحو ، وأحد أسباب جشوبته وصعوبته التي يعاني منها الطالب المبتدىء والمنتهي في العصور كلها ، ولاسيما عصرنا هذا ، إذ جرّد النحو تماما من كل ما يتصل به ويتعلق من (علم المعاني) ، و (علم البيان) وما يتعلق به من التوسع في التعبير • وكان سيبويهقد ذكر جانبا من هذه الملاحظ المتعلقة بالنحو ، كدلالة (التشخيص) الاستعماري ، في إسناد (السباحة) و (السجود) الى عناصر الطبيعة الصامتة ، كإسنادها في قوله تعالى :(وكلٌ في فلك يَسْبحون)[٧٥] وقوله : (رأيتهم لي ساجدين)[٧٦] •

ثم جاء من بعده بقرون عبدالقاهر الجرجاني ، فنبّه على كثير من معاني النحو ، كالتقديم والتأخير ، كتقديم (الرأس) على (الشيب) في قوله تعالى: (واشتعل الرأسُ شَيْباً) ، ليكون فاعلا ويكون الشيب ، الذي هو فاعل

---

(٧٥) الانبياء : ٣٣ . (٧٦) يوسف : ٤ .

في الاصل ، تمييزاً ، وما في ذلك من الدلالة على لمعان الرأس بالشيب . وشيوع الشيب فيه ، وأخذه نواحيه .. وهذا ما لايكون ، اذا قيل : اشتعل شيبُ الرأس ، اذ لايوجب اللفظ عندئذ – كما لاحظ عبدالقاهر رحمه الله بحق – أكثر من ظهوره في الرأس على الجملة(٧٧) .

ونظيره ما في قوله تعالى : (وفجّرنا الأرضَ عيوناً)(٧٨) ، إذ دل تقديم المضاف اليه (الارض) على المفعول (عيونَ) ليكون الثاني تمييزاً ، دلّ على شمول ذلك التفجير بحيث يملأ الارض بالعيون التي ينطلق منها الماء بقوة شديدة(٧٩) .

وكم يكون مفيدا لو بيّنا الغاية المعنوية من تقديم (إيّا) مثلا في آية الفاتحة(٨٠) (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) ، وما ينبني عليه من إفادة التخصيص في هذا التقديم لضمير الفصل ، الذي يعرب مفعولا به مقدماً ، ليدل على تفرده سبحانه بالعبادة والاستعانة(٨١) .

ولقد عُنيت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بهذا الجانب من جوانب التعبير القرآني ، فلم تحمل التقديم والتأخير في نصوص القرآن على ما يطلق عليه القدامى اسم (رعاية الفاصلة) ، أي : مراعاة الجرس والإيقاع بين الفواصل ، بل عللته بتعليلات معنوية ، كما في تقديم (الآخرة) على (الاولى) في قوله تعالى (وإنّ لنا للآخرة والأُولى)(٨٢) ، إذ بيّنت أن التقديم بني على ما للآخرة من التفضيل على الدنيا ، ولذلك قالت الدكتورة عائشة : « وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى ، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والنذير ، إذ الآخرة

---

(٧٧) عبدالقاهر : دلائل الإعجاز ٣٣ . (٧٨) القمر : ١٢ .
(٧٩) ينظر أيضا : دلائل الإعجاز ١٣٣–١٣٤ .
(٨٠) وهي الآية : ٥ من الفاتحة . (٨١) ينظر في هذا الكشاف للزمخشري ١/٥١ .
(٨٢) الليل : ١٣ .

خير وأبقى ، وعذابها أكبر وأشدّ وأخزى وأبقى ، وأن الآخرة هي دار القرار »[٨٣] •

والتفتت الدكتورة كذلك الى هذا الملحظ التعبيري في سياق آخر قدمت فيه (الآخرة) وهو «سياق الوعيد لفرعون ، إذ أدبر وتولى » ، وذلك قوله تعالى : « فأخذه اللهُ نَكالَ الآخرةِ والأُولى »[٨٤] •

ولسنا هنا في مقام الاستقصاء لما قيل في هذا الموضوع وما ينبغي أن يقال ، بل نكتفي منه بأمثلة توضحه • ونأمل أن يجد من مؤلفي النحو عندنا ، ومن مدرسيه في الكتب المؤلفة قديما ، ما هو حريّ به من العناية، إذ ربط النحو بمعانيه وسيلة من وسائل تقريبه الى الاذهان ، بل تحبيبه لدارسيه في كل آن •

٧ ـ الابدال بين الادوات

وهو مذهب بصري ، كما أفاد ابن هشام[٨٥] ، يقوم على حمل عدد من الأدوات ، ولاسيما حروف الجر ، على حلول بعضها محل بعض ، كحملهم (في) على معنى (على) في قوله تعالى : (ولأُصلبنّكم في جذوع النخل)[٨٦] ، وهو اختيار ابن قتيبة[٨٧] ، مع أن (في) هنا باقية على ما هي عليه من الدلالة الاصلية ، وهي الظرفية فبقاؤها على الاصل ، هو الوجه، لإفادتها معنى لاتفيده (على) ، وهو تشبيه المصلوب في تمكنه من الجذع الذي يصلب عليه ، بالحال في الشيء، فقال الزمخشري[٨٨] : « شبه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه ، فلذلك قيل : في جذوع النخل » •

---

(٨٣) الدكتورة عائشة عبدالرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم ٢ / ١١٤ •

(٨٤) النازعات : ٢٥ • (٨٥) مغني اللبيب ١١١/١ •

(٨٦) طه : ٧١ •

(٨٧) تأويل شكل القرن ٥٦٧ ، وهو احد وجهين اجازهما الفراء في معاني القرآن ١٨٦/٢ •

(٨٨) الكشاف ٥٤٦/٢ ، وينظر : النحو العربي نقد وبناء : د. ابراهيم السامرائي ص ١٥٩ •

وبالمثل حمل ابن قتيبة (عن) على معنى (الباء) في قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى)(٨٩) ، وهو ما ذهب اليه أبو عبيدة في المجاز(٩٠) . فاذا رجعنا الى المتأخرين والمعاصرين ، ألفينا الشيخ مصطفى الغلاييني يذكر للحرف (عن) ستة معان ، من غير أن يذكر من معانيها الباء(٩١) . وهذا يشعرنا أنها عنده باقية على أصلها في آية النجم . وهذا الكتاب درسناه قبل خمسين عاماً في دار المعلمين الابتدائية في الاعظمية(٩٢) ، فاستفدنا منه كثيراً .

ومع أن إبقاء الأداة على دلالتها في القرآن الكريم ، منهج ينبغي أن يصار اليه ، وألا يتكلف معرب النصوص القرآنية حمل حرف على معنى حرف آخر ، إلا بعد العجز عن ابقائه على ظاهره ، فان بعض من يعنى بنحو القرآن صنف كتاباً في خلاف هذا المنهج سماه : (تناوب حروف الجر في القرآن الكريم)(٩٣).

فيمكننا القول بعد ما قدمناه في هذا البحث : ان تجربتنا الطويلة في التعليم بمراحله الثلاث ، انتهت بنا الى القول إن أهم ما ينبغي مراعاته عند التدريس هو استعمال العربية الفصيحة ابتداء من المرحلة الابتدائية ، وأن ذلك ممكن وقد جربتـه وأديته بنفسي طوال عشر سنوات من سني خدمتي التعليمية البالغة الآن (٤٨) عاماً ، وأن النكوص الى العامية ، بل اللغة الوسطى ليس مجديا في تحبيب العربية الى الطلبة ، ولا موفياً بنشر العربية الفصيحة ، ولاسيما في المرحلة الجامعية . وأما تسويغ اللحن بدعوى الحداثة ، فأعده — مع من يعدّه — من أضر الدعاوى على لغة الضاد . وأما ما يتعلق بـ (مادة التعليم) في تدريس (النحو) ، وهي المادة التي انعقد عليها هذا البحث ، فينبغي أن يراعى فيها أمور : أحدها أن يُعدل

---

(٨٩) النجم : ٣ .
(٩٠) ينظر ٥٦/٢ من المجاز ، واليه ذهب الأخفش ، ينظر كتابه : معاني القرآن ٤٠٢/٢ .
(٩١) جامع الدروس العربية ١٧٤/٣–١٧٥ .
(٩٢) وهي بناية جامعة صدام للعلوم الإسلامية الآن .
(٩٣) وهو الدكتور محمد حسن عواد .

بالطلبة عن «استظهار قواعد النحو من غير تفهم كاف لها» ، والآخر : إبعاد الطلبة ، ولاسيما المبتدئون منهم عن تحكيم القواعد المنطقيـة في فهـم القواعد النحوية ، والثالث : محاولة النأي بالطلبـة عـن الخـوض في التفصيلات التي ترتبت على تشعّب عدد من القواعد النحوية وتضاعفها ؛ ومنها تلك التي لم يرد لها شاهد في كلام العرب ، وانما هو شيء قاسوه، كتجويزهم أن يقال (أعطاهُوك وأعطاهُوني) ، وهو مما أنكره سيبويـه على النحاة ، مبيناً أنه لم تتكلم به العرب ، بل هو محض قياس . ونظـيره ايصالهم أمثلة الصفة المشبهة وصورها الى ستة وثلاثين ، جُلهـا لا واقع له من اللغـة .

ومما ينبغي الالتفات اليه عند دراسة النحو اليوم ضرورة البنـاء على (نحو القرآن الكريم) بما فيه الكفاية ، واعتماد النص القرآني قبل أي نص آخر عند وضع القواعد ، مع الاعتماد في ذلك على القراءات القرآنيـة ، ولا سيما المشهورة ؛ إذ هي مما أجمع عليها أهل الامصار ، فلا عبرة بمـن يخطّىء قارئاً من المشهورين في قراءته ، كتخطئة حمزة في جر (الارحامِ) مثلا في (آية النساء: ١) ، ووصفها بالشذوذ والخروج عن قواعد العربية، إذ ينبغي أن يكون النظر على العكس تماما ، وهو تحكيم القراءات المشهورة في القواعد والصياغة على وفقها ، لا فرض القواعد المبنية على الكـلام ـ عليها والحكم عليها بالخطأ إذا خرجت عنها ،ورمي الشواهد المروية التي هي على غرارها ، بالشـذوذ .

هذا فضلا عن ضرورة البعد عن الأعاريب التي بنيـت على تأويلات بعيدة ، لا سند لها ، الا ما تصوروه من قواعد وضعوها ابتداء ، ثم بنوا عليها تقديرات لا تعضدها ظواهر النصوص القرآنية ، ولا المنهج الـوصفي للنحو . كتقديرهم فعلا بعد أدوات الشرط : (إنْ) و (إذا) و (لو) و (متى). وجعل الفعل المذكور مفسّرا بما بعده وهو المذكور ـ وهذا منهج بصري، لم يكن عليه بصري كبير وهو الأخفش ـ وعلة ذلك عند البصريين عموما

اختصاص هذه الادوات بالدخول على الافعال لا الاسماء ، إذ قرروا أنها لا يليها إلا فعل . فهذا مما لم يراعِ فيه النحويون (نحو القرآن) .

هذا فضلا عما يردده مدرسونا وطلبتنا ، ومنهم الطلبة الذين يدرسون النحو في معاهد الجامعة ، من القول بزيادة عدد من الادوات في كثير من آي القرآن ، مع ان في الامكان حملها على ظواهرها ، مع استقامة المعنى وصحته . وكان أبو عبيدة قد فتح باب هذه المقولات حين حمل عددا كبيرا من الحروف ، بل الأسماء التي هي ظروف ، على الزيادة في القرآن ، مثل (مِن) و (الباء) ، بل (إذْ) و (إذا) ، فتابعه كثير من النحاة والمفسرين ، وحمل الكوفيون حروفاً على الزيادة مثل (الواو) في بعض النصوص ، وعبّروا عن ذلك بالصلة ، في مقابل مصطلح البصريين، وهو الزيادة ، والإقحام ، والحشو ، الامر الذي حمل مفسراً كبيرا ونحويا كوفيا حاذقاً على الرد عليهم في تفسيره وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، حين قال في قاعدة صارت نبراسا لغير واحد من المفسرين من بعده ، كالطوسي والطبرسي : «غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له . » .

ومما ينبغي أن يصار اليه في نحونا المدرسي اليوم . تعديل عدد من القواعد النحوية السائدة كإطلاق معنى (ما) لغير العاقل ، مع أنها تأتي بدليل النصوص القرآنية ــ دالة على العاقل ؛ شأنها فيه شأن (مَنْ) . هذا فضلا عن تجويز النص القرآني ــ في موضع ــ صرف ممنوع من الصرف لعلتي العلمية والتأنيث ، وهي كلمة (سلسبيل) ، وهو ما أقره كبار النحاة ، ولم يروه خروجاً عن قواعد اللغة ، انطلاقا من سلامة النص الكريم المعجز من كل ما يصيب الكلام البشري . وعلى هذا الفراء ، وأبو حيان وغيرهما ، اذ جعلا ذلك أساسا وقاعدة في هذه الكلمة .

هذا فضلا عن استعمال التعبير القرآني للموازنة بين مختلفين بصيغة (أَفْعَلَ) ، لا متناظرين فقط ، كقوله تعالى (اصحاب) الجنة يومئذ خَيْرٌ"

مستقراً وأحسنُ مقيلاً) إذ فاضل بهذه الصيغة (خيرٌ) و (أحسن) بين أهل الجنة وأهل النار ، مفضلا أهل الجنة .

ومما يلحظ على أساليب التدريس عندنا ، عدم كفاية التطبيقات النحوية ؛ إذ يغلب استظهار القواعد على التطبيق عليها ، مع ما لهذا التطبيق من ثبات القواعد في الذهن ، وكفاية الاستيعاب والفهم لها . وهذا أظهر في المرحلة الجامعية اذ يرى التدريسيون عادة أن هذا ضرب من الرجوع الى الوراء ، حيث المرحلة المتوسطة والاعدادية ، فيمضون في التدريس من غير أن يعنوا بتطبيق إ لانادرا ، وهو أمر ينبغي أن ينبه عليه عند وضع المفردات في سنيّ الدراسة النحوية .

هذا فضلاعن اهمال حفظ كثيرمن الشواهد التي تثبّت القواعد ، أولها النصوص القرآنية ، وشواهد الشعر العربي القديم والآثار النبوية ، الامر الذي جعل كثيرا من الطلبة يعزفون عن بذل جهد في استظهارها ، مع ما لها من فهم القواعد وترسيخها في الذهن .

وأما المشكلة الكبيرة التي أضرت بالنحو ودارسيه ، فهي مسألة فصل النحو عن معانيه ،تلك المعاني التي هي روح النحو، والتي كان فصامها عنه منذ عدة قرون سببا في صعوبته وجشوبته ، ومع محاولة الامام النحوي البلاغي عبدالقاهر الجرجاني ، اعادة هذه الروح لذلك البدن ، في كتابه (دلائل الإعجاز) ، فان ذلك لم يُتخذ منهجا لدى الاجيال عند دراسة النحو ، بل صار جزءاً مما يعنى به علم البلاغة ، وصار الحديث عن جهوده فيه مجرد تاريخ ، لا منهجا وأسلوبا عند دراسة النحو ، إذ لا يكاد الدارسون والمُعْربون ينبهون على ما لضروب علم المعاني من صلة بوجوه النحو ، كالتقديم والتأخير ،والذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، فضلا عن وجوه علم البيان ، كالتشخيص والتجسيم الاستعاريين ، وما الى ذلك . وهو ما عُنيت به الدكتورة عائشة عبدالرحمن في دراساتها ؛ اذ لم تحمل التقديم والتأخير على ما يطلق عليه في اصطلاح القدامى (رعاية الفاصلة)،

بل حملته على ما يوجبه المعنى ، كتقديم (الآخرة) على (الأولى) وهـي الدنيا ،أو العكس ، مستعينة في هذا الفهم الواعي الدقيق بقـرائن السياق اللفظي والحـالي •

ولعل من مشكلات النحو التي يقع فيها الدارسون عنـدنا اليوم ، وتَضِر" بلغة الضاد فهماً وتطبيقا ، الذهاب الى القـول بـوقوع الابدال بين الادوات ، ومنها التي في آي القرآن ،مع ان في الإمكان ابقاءهـا على معانيها الاصلية ، كجملهم (في) على معنى (علـى) في (آيـة طـه ٧١) ، وحملهم (عن) على معنى (الباء) في آية النجم ٣) ، وغير ذلك من الادوات ؛ الامر الذي جعل التأليف في هذا الجانب سائغاً في أيامنا هذه ، على نحـو ما يُتداول اليوم من كتاب (تناوب حروف الجر في القرآن الكريم) •

وبعد ، فهذه إلمامة موجزة ببعض ما يلحظ من خَبر التعليم مدة طويلة من مشكلات النحو ، فدر"سه وألف فيه ، وأشرف فيه على رسائل عـالية في مرحلة البكالوريوس ، ورسائل عليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وإلا فان ما ينبغي اصلاحه من أمر النحو ، يتسع لأكثر من هذا الحديث • وهو ما فقهناه دارسين من أفواه أساتذتنا المتازين ، وخبـرناه معلمـين ومدرسين وأساتذة جامعيين • ونأمل أن نعد"ل في أساليبنـا وطـرائقنا النحوية ، وفي فهمنا لمهمة النحو في حياتنا ، بما ينشىء أجيالا محبـة لـه غير عازفة عن دراسته ، ولا متذمرة منه ، أو عاجزة عـن فهمـه والافادة المرجوة منـه •

والله سبحانه الموفق للرشاد والسداد ؛ وصلى الله على محمـد وآله وصحبـــه •

ـ المصادر والمراجع ـ

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ إتحاف فضلاء البشر في قراءات الاربعة عشر ، أحمد البناء الدمياطي ، مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي ـ مصر ١٣٥٩هـ .
٣ ـ إعراب القرآن : ابو جعفر النحاس ، تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٧م .
٤ ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، أبو البقاء العكبري، دار مكتبة الهلال ـ بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .
٥ ـ الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، كمال‌الدين الانباري ، تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد ، ط٣ ـ القاهرة ١٩٥٥ .
٦ ـ البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ .
٧ ـ البيان في إعراب غريب القرآن ، كمال‌الدين الانباري ، تحقيق طه عبدالحميد ـ القاهرة ١٩٦٩م .
٨ ـ تأويل مشكل القرآن ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق سيد احمد صقر ، ط٢ ـ القاهرة ١٩٧٣ .
٩ ـ التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبدالرحمن ، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٨م .
١٠ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، بتحقيق احمد محمد شاكر واخيه ، دار المعارف ـ مصر .
١١ ـ الحجة في القراءات السبع ، لأبي علي أحمد بن عبدالغفار النحوي ، بتحقيق علي النجدي ناصف ورفيقيه ـ القاهرة (د.ت) .
١٢ ـ دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، تعليق عبدالمنعم خفاجي ـ القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
١٣ ـ الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي ، نشر د. شوقي ضيف ـ القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٦ .
١٤ ـ فقه اللغة العربية : د. كاصد ياسر الزيدي ، دار الكتب ـ جامعة الموصل ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٥ ـ اللغة بين المعيارية والوصفية : د. تمام حسان ، الدار البيضاء ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
١٦ ـ الفهرست ، لابن‌النديم ، بيروت ، دار المعرفة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١٧ ـ القاموس المحيط ، مجدالدين الفيروزآبادي ، دار العلم للملايين ـ بيروت (د. ت) .
١٨ ـ الكتاب : سيبويه ، تحقيق محمد عبدالسلام هارون ، دار القلم ـ القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

١٩ ـ الكشاف : جارالله الزمخشري ، مطبعة الحلبي ، القاهـرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ .
٢٠ ـ كلام العرب : د. حسن ظاظا ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٦
٢١ ـ مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سـزكين ، ط ٢ ، دار الفكر ـ القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
٢٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الطبرسي ، مكتبـة الحيـاة ـ بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
٢٣ ـ معانـي القـرآن ، لـلاخفش ، تحقيـق فائز فارس ط١ ، الكويـت ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م .
٢٤ ـ معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق النجار وآخريـن ، ط١ ، مطبعـة دار الكتب ـ مصر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
٢٥ ـ معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، تحقيق د. عبدالجليل عبده شلبـي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع ـ القاهرة ١٩٧٣ .
٢٦ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبو محمد عبدالله بن هشام الانصاري ، تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد ـ القاهرة .
٢٧ ـ المفصل في علم العربية : جارالله محمود الزمخشري .
٢٨ ـ مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ المغـرب ١٤٠٠هـ ـ١٩٧٩م .
٢٩ ـ نحو التيسير ، دراسة ونقد منهجي ، د. أحمد عبدالستار الجـواري ، مطبعـة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٣٠ ـ النحو العربي ، نقد وبنـاء ، د. ابراهيم السامرائي ـ بيروت ١٩٦٨ .
٣١ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء ، أبو البركات الانباري ، تحقيـق أبي الفضل ابراهيـم ، دارالنهضة ـ القاهرة (د.ت) .
٣٢ ـ نظرات في اللغة والنحو : طه الراوي ، المكتبة الاهلية ـ بيروت ١٩٧٢م.

ـ البحوث والرسائل الجامعية ـ

١ ـ مجلة (الحدباء) ، الموصل ، الأعداد : ٩٢١ في ١٩٩٤ ، و٥٩٦ في ١٩٩٣، و ٦١٣ في ١٩٩٤ ، وعدد تشرين الاول ١٩٩٥ بحـوث للدكتور كاصـد الزيـدي .
٢ ـ الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د. كاصد الزيـدي ، مجلـة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد ٩ لسنة ١٩٧٨ .
٣ ـ من أوهام أبي عبيدة في مجاز القرآن ، د. كاصد الزيدي ، مقبول للنشـر في مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل .
٤ ـ العلم في القرآن الكريم / دراسة لغوية ومعجم ، حسين عيـدان مطـر ، رسالة ماجستير ـجامعة القادسية ، تموز ٢٠٠٠م .

ملف الاسرة والتنشئة الاجتماعية

١ ـ البعـد التربـوي
الدكتـور مسـارع الـراوي

٢ ـ البعـد الاجتماعـي
الدكتـورة ناهـدة عبدالكريـم

٣ ـ البعـد النفسـي
الدكتـور طـه النعمـة

٤ ـ البعـد الانثروبولوجي
الدكتـور خالـد الجابـري

ملخـــص ملـــف

الأســرة والتنشئــة الاجتماعية

يمثل هــذا الملف حصيلة أعمال حلقة نقاشية عقدتها دائــرة العلــوم الانسانية في المجمع العلمي يوم الأحد الموافق ٢٩/١٠/٢٠٠٠م ويتضمــن الملف أربعة أوراق عمل لمهام الاســرة ودورها في التنشئة الاجتماعية نعرضها كما قدمها أصحابهــا لتنشر فــي مجلة المجمع العلمي من دون التســاؤلات والمناقشات التي دارت في الحلقة •

وفيما يأتي ملخص لأوراق العمل التي تناولت الابعاد الاربعة :

١ ـ البعد الاجتماعي : أظهر هذا الجانب تأكيد دور الاســرة في التنشئــة الاجتماعية ولاسيما في مرحلة النمو الأولى ـ الطفولة •• كمــا بيَّن تأثير البيئات الاجتماعية في تحديد خصــائص الأسرة وأكــد تأثــير السنوات العشر العجاف على بنية الاسرة العراقية وخصا ئصهاـ المميزة منهــا :

- كبر الأسرة العراقية من حيث الحجم غــير أنهــا ليست ممتــدة بالضــرورة •
- انخفاض القدرة الاقتصادية للاسرة العراقية •
- ارتفاع عدد الاناث قياساً للذكور •
- تراجع الخدمات الصحية والتعليمية التي تقدمهــا الدولــة مجــانا أو شبــه المجــان •

وعلى الرغم مما أصاب الأسرة العراقية مــن بعض مظاهــر التفكــك وتردي في الاحوال الصحية مما أثر على التنشئة الاجتماعية إلا أن الاســرة العربية صمدت أمام هذه التحديات فهي لاتــزال أصيلة وصلبة ولاتزال تعــد النواة الاساسية في بناء المجتمع العراقي •

٢ ـ البعد التربوي : أظهر هذا الجانب أن الاسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وهي الاساس في أي نظام اجتماعي يريد مواصلة الحياة الحرة الكريمة • والأسرة تعد العامل البيئي الاجتماعي الذي يتفاعل مع العامل الوراثي لتكوين شخصية الفرد وتربيته • فهي أهم عامل تربوي مباشر في التنشئة الاجتماعية •

ودور الأسرة وأهميتها يكمن في أنها تتولى الفرد منذ نشأته • فالأسرة هي المجال التربوي الذي يصوغ شخصية الفرد في اكتساب العادات الاجتماعية والقيم الخلقية وبواسطتها يتم نقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل الى جيل •

وقد جاءت الدعوة الى ضرورة الاعتناء بثقافة الأبوين ومكافحة أميتهم والاكثار من دور الحضانة ورياض الاطفال ومد الجسور بين الأسرة والمؤسسات التربوية لأنهما شركاء في تربية الاطفال وتنشئتهم اجتماعياً •

٣ ـ البعد النفسي : أظهر هذا البعد تأكيد دور الأسرة في السنوات الاولى في الاسهام في البناء النفسي لشخصية الفرد وتشكيل دماغه عضوياً وتقرير الكيفية التي سيعمل بموجبها الدماغ • كما أكد أهمية الأسرة في خلق الجو النفسي للطفل في تزويده بالشحنات العاطفية والدفء والحنان اللازم للتنشئة الاجتماعية والاستقرار النفسي المطمئن •

كما أشار هذا البعد الى دور الآباء الممثلين الأوائل للسلطة الاجتماعية في حياة الابناء وصياغة سلوكهم واتجاهاتهم •

الاسرة والتنشئة الاجتماعية
ـ البعد التربوي ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون »

صدق الله العظيم

الدكتور مسارع حسن الراوي
عضو المجمع العلمي
ورئيس دائرة العلوم الانسانية

الملخص

تعد الاسرة اللبنة الاساسية في بناء المجتمع والاسرة هي البيئة الاولى التي تتفاعل مع العوامل الوراثية لصقل شخصية الفرد وتكوينها • وعليه فان الاسرة تؤدي دورا فعالا في عملية التنشئة الاجتماعية والتربوية لانها تنقل الى الفرد المعرفة والتراث الاجتماعي • وهنا تبرز الحاجة الى التعاون ما بين الاسرة والمؤسسات التربوية لبناء شخصية الطفل عن طريق مجلس الاباء والمعلمين •

تمهيد :

أن تناول الجانب التربوي للاسرة ودورها في تكوين الشخصية والتنشئة الاجتماعية ليس بالامر الهين اليسير ، بل من الامور الصعبة العسيرة لانه يتناول تكوين الشخصية في أدق مراحل نموها واحرجها الا هي مرحلة الطفولة •

أن العناصر التي تتألف منها الدراسة ستكون على النحو الاتي :

- الاسرة ــ طبيعتها وصفاتها •
- الشخصية ــ مكوناتها وبنيتها وصفاتها •
- دور الاسرة في تكوين الشخصية والتنشئة الاجتماعية •
- الجانب التربوي للاسرة العربية ودورها في تكوين الشخصية •

اولا : الاسرة : طبيعتها واهميتها :

هي اللبنة الاولى في بناء المجتمع ، وهي الاساس في أي نظام اجتماعي يريد الاستمرار في مواصلة الحياة والمساهمة في بناء صرح الحضارة البشرية ولقد كافح الانسان كفاحا مريرا رحلة العمر من تاريخه الطويل من اجل التوصل الى هذه المؤسسة الحياتية • ولعل التعرف والتوصل الى هذه المؤسسة الاجتماعية لم يكن صدفة وامرا عرضيا بل كان استجابة واعية لاكبر تحد جابهه الانسان للحفاظ على بقاء الجنس البشري واستمرارية وجوده بايولوجيا واجتماعيا • فالاسرة عماد المجتمع وصرحه القويم ؛ فاذا ما صلحت الاسرة صلح المجتمع وتقدم حضاريا واذا ما صلح النظام الاجتماعي صلحت الاسرة وبالعكس كلما تفككت الاسرة وضعفت الروابط بين اعضائها كلما أصاب المجتمع الضعف والانحطاط وبالتالي السقوط والانهيار ، فالعلاقة بينهما علاقة عضوية بل علاقة جدلية متفاعلة احدهما يعزز الاخر ، والاسرة من حيث حجمها تعتمد على طبيعة المجتمع والنظام الاجتماعي المتحكم فيه • ويعلمنا التاريخ وهو خير معلم بان الاسرة في الحضارات القديمة في وادي الرافدين كالسومرية والبابلية والاكدية وفي وادي النيل كالفرعونية كانت نواة المجتمع واهم مقوماته وعناصر تكوينه وكانت الاسرة في هذه المجتمعات كبيرة تتألف من الزوج والزوجة والاولاد ، والبنين والبنات وكذلك فيها ابو الزوج وام الزوجة وربما يتجاوز ذلك ليشمل الاعمام والاخوال والعمات والخالات وغيرهم من الاقارب • وكان حجم الاسرة بهذه السعة استجابة لمتطلبات العيش

في الزراعة والتعمير مما يتطاب ايدي عاملة كثيرة ، فضلا عن ان كبر حجم الاسرة وكثرة اعضائها يكون موضع هيبة للاسرة في المجتمع مما يدعو الى الافتخار بالاتتساب اليها ويجنبها شرور الاعداء والاعتداء عليها ، لان شعار « البقاء للاقوى » كان جوهر الحياة الاجتماعية وموجهها الاساسي في الحضارات القديمة . والكثرة في مثل هذه المجتمعات هي عنصر من عناصر القوة مظهرا وربما جوهرا . « فالكثرة تغلب » شعار حياتي مهر حياة الاقدمين ولا يزال تأثيره في الحياة المعاصرة في كثير من المجتمعات البدائية في دول العالم الثالث على مستوى الاسرة والعشيرة والقبيلة . والطفل من اضعف المخلوقات عند الولادة فهو مخلوق اتكالي ولذلك اصبحت عناية الاسرة مهمة ورعايتها ضرورية لبقائه في الحياة بيولوجيا واجتماعيا . والمدة المطلوبة لنضج الطفل ليكون رجلا مستقلا قادرا على تحمل مسؤولية رعاية اسرة جديدة تعد من اطول المدد لتعدد المراحل التي يمر بها من طفولته الى مراهقته حتى رشده ونضجه عقليا وجسميا واجتماعيا .

ثانيا : الشخصية مكوناتها وبنيتها :

تكشف دراسات تيارات مدارس علم النفس ومناهجه عن تعدد التفسيرات والتعريفات المتباينة لمفهوم الشخصية البشرية ومكوناتها إلا ان هذه المدارس كما يعتقد بعض علماء النفس المحدثين في تفسيراتها للشخصية ينطلق من الاختلاف والتباين والافتراق لتنتهي الى الالتقاء والوحدة والتعاون ، ولعل خير تعريف علمي هو تعريف (اولبورت) الذي يجعل من الشخصية (هذا الانتظام الدينامي في الفرد للاجهزة النفسية ــ الفسيولوجية والذي يحدد توافقاته الاصيلة مع بيئته » .

وهذا التعريف الشامل المتكامل لمفهوم الشخصية يدعونا الى التطرق الى مفهوم بنية الشخصية وصياغتها كمحصلة معقدة لنتائج تفاعل شيئين اساسيين ، هما : العوامل الوراثية / وهذا يعني ان بنية الشخصية ليست عملية

حاصل جمع الوراثة والبيئة بل هي عملية حاصل ضرب الوراثة مع البيئة وتفاعلهما معا بطريقة دينامية . ومعنى هذا تجنب رد صياغة الشخصية وسماتها الى علة واحدة او سبب اوحد . فغالبية علماء النفس المحدثين اليوم تسلم بالتأثير المتبادل بين الطبع والتطبع ، والفطرة والاكتساب ، والنضج والتعلم ، والوراثة والبيئة ، إلا انه ينبغي التنبيه الى ان بعض سمات الشخصية يغلب عليها عامل الوراثة وبعضها يغلب عليها عامل البيئة ولكن كلا من عامل الوراثة وعامل البيئة مهم بحيث انه لو اصبح احدهما صفرا ، تكون النتيجة صفرا ، ويمكن تشبيه اي سمة من سمات الشخصية بالمساحة المربعة للاشكال المسطحة فتارة يكون الطول في بعضها يمثل الوراثة وتارة يكون العرض وبالعكس . ويحدد ذلك طبيعة السمة من حيث علاقتها بالوراثة او البيئة . ولقد كشفت الدراسات النفسية عن مميزات النمو في الشخصية ولعل من ابرزها الاتي[1] :

- النمو ظاهرة تتصف بالكلية ومصدر نمو الكائن الحي هو نفسه داخليا .
- النمو يسير من العام الى الخاص ومن الوحدات غير المميزة الى الوحدات المميزة ، بمعنى ان النمو يسير من المجمل الى المفصل .
- العلاقات بين مظاهر النمو في نواحي الشخصية المختلفة علاقات موجبة وليست سالبة .
- النمو عملية مستمرة متدرجة في مراحل تخضع لتتابع منظم كل مرحلة من مراحل هذا النمو تتأثر بما قبلها من مراحل وكذلك تؤثر فيما بعدها من مراحل .

وهذه المراحل تبدأ بمرحلة ما قبل الولادة مرورا بمرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة ومرحلة المراهقة الى مرحلة الرشد والشيخوخة .

---

(١) كمال محمود شريم « الطفل في التربية » مجلة الانسان الجديد تصدرها اللجنة العليا لمكافحة الامية وتعليم الكبار في الضفة الغربية وقطاع غزة/ البيرة ــ حزيران سنة ١٩٨١ ص ٢٠

ثالثا : دور الاسرة في تكوين الشخصية الاجتماعية :

تؤكد الاتجاهات الحديثة في العلوم السلوكية ، أن المؤثرات التي تعمل في تنشئة الفرد وتكوين شخصيته تشمل على عوامل بيئية ثقافية وعوامل بيولوجية تكوينية • إلا ان العوامل التي تميز شخصا عن آخر وامة عن اخرى هي في المقام الاول عوامل ثقافية تمثل جوهر المجتمع ومبررات وجوده بما يحتويه من قيم وخلق وعادات ونظم اجتماعية وعلاقات ينصهر فيها الكائن الانساني الناشىء ـ الطفل الوليد ، فينمو تدريجيا ويتطبع خطوة خطوة بالطباع التي يتصف بها الراشد[٢] • والمؤثرات الاجتماعية والثقافية في البيئة ـ وهي عوامل اساسية في تكوين الشخصية وتنشئة الفرد ـ متعددة ومتنوعة يصعب حصرها وتحديد تأثير كل منها • وهذه العوامل التربوية والمؤثرات الاجتماعية في البيئة يمكن ان تنطوي تحت إطار ثلاثة انماط من التربية هي : التربية النظامية (Formal Ed) والتربية غير النظامية (Non Formal Ed) والتربية اللا نظامية (Imformal Ed) •

وتتميز مؤسسات التربية النظامية بالتنظيم والانتظام الذي يتكامل في بنيته ومراحله المتتالية في شكل سلم تعليمي هرمي يمتد من المدرسة الابتدائية الى ان يصل قمة الهرم في الجامعات • اما مؤسسات التعليم غير النظامي فالمقصود بها كل انواع التربية خارج اطار المدرسة وسلمها الهرمي ولكنها تلتقي مع التربية النظامية في كونها تخضع لاجراءات تنظيمية وادارية وفنية معينة من برنامج ومنهج ومعلم وغيرها ••• ومن مؤسسات التربية غير النظامية مراكز الثقافة والتدريب والتأهيل والمدارس الشعبية والجامعات الشعبية •

في حين تشمل مؤسسات التربية اللانظامية المعارف والمهارات والتجارب والقيم التي تكتسب خارج إطار المؤسسات التعليمية بشقيها النظامي وغير

---

(٢) دكتور محمد عماد الدين اسماعيل وزملاؤه «كيف نربي اطفالنا» دار النهضة العربية سنة ١٩٦٧ ص ١٣ـ١٤ •

النظامي ، ومن اهم مؤسسات التربية اللانظامية : الاسرة ووسائل الاتصال الجماهيرية (الصحافة والراديو والتلفزيون) والمكتبات العامة ، ودور العبادة ، وقصور الثقافة ، والاندية ، والنقابات ، والتنظيمات الجماهيرية والمهنية : والجمعيات والمتاحف والاحزاب السياسية .

وعلى الرغم من تعدد هذه العوامل التربوية المؤثرة في صياغة شخصية الفرد وتنشئته الاجتماعية إلا ان علماء النفس ورجال التربية القدامى والمحدثين يؤكدون بل « يجمعون على ان السنوات الاولى من حياة الطفل هي من اهم السنين في تكوين شخصيته وتوجيهها الوجهة التي تبنى عليها دعامتها فيما يلي من اطوار نموه » . ويذهب بعضهم الى اعتبار السنوات الاولى من حياة الفرد بالذات هي اهم المراحل في هذه العملية ... ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى للاسرة وما يسودها من اتجاهات وقيم وما يقوم فيها من علاقات تشكل شخصية الطفل وتوجه نموه ... فالاسرة تكاد تكون الاداة الوحيدة التي تعمل على تشكيل الطفل ابان حياته الاولى ، بحسب الانماط الثقافية للمجتمع وهي الاداة الوحيدة تقريبا التي تنقل الى الطفل جميع المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسود المجتمع بعد ان تترجمها الى اساليب عملية لتنشئته النشأة الاجتماعية . فالاسرة تنتقي من التراث الثقافي بما يحتويه من ذخر هائل من العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات ما يوائم ظروفها الخاصة وتاريخها وتقاليدها ومكانتها الاجتماعية والثقافية وبهذا تعمل الاسرة في تنشئة الطفل وتكوين شخصيته في اتجاهين متداخلين : احدهما هو تطبيعه بالطباع التي تتمشى مع ثقافة المجتمع بصفة عامة وثانيهما : هو توجيه نموه في داخل هذا الاطار في الاتجاهات التي تتمشى مع ثقافة الاسرة ذاتها واتجاهات الطبقة او الوسط الاجتماعي الذي تنتمي اليه(٣).

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ١٦ .

من هذا العرض يتبين لنا بأن الاسرة هي البيئة الاولى التي تحتضن الطفل منذ ان يكون جنينا الى ان يولد وينمو ... ولذلك فان تأثيرها كما اثبتته الدراسات في علم الفس يضاهي وقد يفوق تأثير العوامل التربوية الاخرى في تطبيع الطفل بطابعها الخاص لان السنوات الاولى من حياته حاسمة في تشكيل الملامح الاساسية لشخصية الفرد وصيرورته على المدى القريب والبعيد، اذ تبر اهم المؤهلات والقدرات .

ويذهب فرويد ومدرسته في التحليل النفسي الى تأكيد الاثر الخطير الذي تتركه مرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل شخصية الفرد وفي تمهيد الطريق للاصابة بالامراض النفسية والعقلية فيما بعد ذلك(٤).

اما واطسن زعيم المدرسة السلوكية فيؤكد انه بالامكان تقويم شخصية الطفل او تحطيمها قبل ان يتجاوز سن الخامسة من عمره ويعزو تحديد سمات شخصية الفرد المستقبلية الى نهاية السنة الثانية من عمره(٥).

وأما إرك فروم **Erich Fromm** فيعطي كل الاهتمام والمسؤولية في تكوين الشخصية للوالدين مما ادى به الى التصريح بان سوء نمو الطفل يعزى الى سوء تربية والديه ويتناسب ذلك طرديا ، لان الخلق والسمات البارزة في الشخصية تحدد وتصاغ في السنوات الست الاولى ، وفروم لا يعني في تأكيده الطفولة المبكرة في ان اي تغيير في الشخصية وسماتها البارزة لا يمكن ان يحدث في المستقبل ولكن يعتقد انه اذا حدث هذا التغيير فبصعوبة شديدة وبسبب عوامل هامة وظروف جديدة(٦).

---

(٤) د. احمد عزت راجح «اصول علم النفس» الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة (١٩٦٦) ص ٧٩ .

(٥) **Brulacher, J.A History of the Problems of Education York Mc Graw Hill Book Company, 1966, P. 384.**

(٦) **Erich Fromm . « The Anatomy of Human. » Destruction Veness , New York, 1975, PP 412, 13.**

ويؤكد جون كونجر هو وزملاؤه في كتابهم المشهور « سيكولوجية الطفولة والشخصية » على اهمية السنتين الاوليين في حياة الطفل لانها فترة حرجة تتوقف عليها نشأة الاتجاهات الايجابية عند الطفل ونحو البيئة الاجتماعية ، كما يؤكدون اهمية الاحداث والخبرات المعنية لانها تؤدي دورا رئيسا فيما يستقبل من سلوك الطفل كخبرة التغذية التي تحدث خلال السنة الاولى وعمليات التطبع الاجتماعي خلال السنة الثانية والثالثة[٧].

كما اثبتت بعض الدراسات النفسية ان (٥٠٪) من المكتسبات الذهنية المتوفرة للمراهق في السابعة من عمره تحصل في السنوات الاربع الاولى وان (٣٠٪) منها تظهر فيما بين الرابعة والثامنة ، وإن (٢٠٪) المتبقية تكتمل فيما بين الثامنة والسابعة عشر . كما اكدت الابحاث ان تأثيرات البيئة تبدو اكثر وضوحا في المراحل المبكرة التي تزداد فيها سرعة النمو العقلي وانه عندما يدخل الطفل الى السنة الاولى من التعليم الابتدائي تكون نسبة عالية من ملامح مردوده المدرسي قد رسمت لان السمات الاجتماعية النفسية والتربوية للوسط الاسري هي مصدر نجاح الطفل او فشله في الدراسة بنسبة تقدر بـ ٨٤٪[٨] لان ثلث التحصيل المدرسي للاطفال في المدرسة كما يرى بلوم (Bloom)

---

(٧) جون كونجر وزملاؤه «سيكولوجية الطفولة والشخصية» دار النهضة العربية القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ١٦-١٧ ترجمة احمد عبدالعزيز والدكتور جابر عبدالحميد .

(٨) عبدالعزيز الشتاوي ومحمد عادل الاحمر « واقع التربية ما قبل المدرسة في الوطن العربي » من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ٣ و ١٤ .

راجع :

= **B. Bloom . Stablity an change in Human Characteristics, New York, Wiley 1964.**

J. Pourtois, Comment les meres ensigent a leurs enfants (6-6 ans) P.a.F. Pauis = 1979.

حصيلة لخبرات الطفل ما قبل المدرسة لايمانه بان فترة الطفولة الباكرة فترة تعلم مركز ومكثف •

وقد جاءت الدراسات والبحوث التي قدمت الى المؤتمر العالمي للخبراء في التطور النفسي للاطفال وآثاره في العملية التربوية في الينوي / الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٧٤ لتؤكد سرعة النمو في الذكاء والعاطفة واللغة في السنوات الاولى لحياة الطفل بشكل يحدد الى درجة كبيرة مستقبل شخصية الطفل واتجاهات نموه • وقد ذهب بعض المشاركين في هذا المؤتمر الى تحديد نسبة تتجاوز ٦٠٪ لتأثير مرحلة الطفولة المبكرة في سنواتها الست الاولى على صياغة الشخصية وتحديد معالمها الهامة لتشمل معامل ارتباط الذكاء والمواقف والاتجاهات العاطفية وغيرها • وحسب معطيات الفسيولوجيين السوفيت يحتاج تكوين المنعكس الشرطي ذي التعزيزات المعينة للاطفال في سن ٥ـ٦ الى ثلاثة تعزيزات وللاطفال من سن ٧ـ٨ الى ٦ تعزيزات وللاطفال من سن ١٠ـ١٢ الى ٩ تعزيزات ، وكلما كان الاطفال اصغر سنا كان تكوين الروابط العصبية المؤقتة التي تدخل في اساس العادة اكثر سرعة ، وكلما كبر الاولاد تباطأ تكوين المنعكسات الشرطية •• وهذا يؤكد طواعية الجهاز العصبي للطفل وتقبله لتكوين العادات الطيبة والقيم السامية والخلق الرفيع[٩] • مما يعزز صدق المقولة العربية المعروفة « التعلم في الصغر كالنقش على الحجر » ولاسيما في مجال تكوين العادات والقيم والاتجاهات •

رابعا : الجانب التربوي للاسرة العربية ـ ودورها في تكوين الشخصية :

ادركت المجتمعات البشرية : قديمها وحديثها خطورة سنوات الحياة الاولى للطفل واهميتها ولذلك كانت الدعوة صريحة وواضحة الى ضرورة توفير عناية خاصة بطفل هذه المرحلة وتربيته وإن اختلفت طرق هذه التربية

---

(٩) جوكوفسكايا « احاديث عن تربية الاطفال » ترجمة غالب طعمة فرمان دار التقدم ـ موسكو سنة ١٩٧٧ ص ٧٧ .

وتباينت اساليب الرعاية ووسائل العناية تبعا لفلسفة الحكم والنظريات التربوية والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع •

وقد اكدت الحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل اهمية الاسرة في تحمل مسؤولية تربية الاطفال منذ اعوامه المرنة الاولى تربية بدنية وعقلية وخلقية ، وقد ربط المصريون القدامى بين الابن وابيه لقولهم نهج الولد نهج والده والابن سر ابيه ، وابن الابن مولود لابيه ، وقولهم في دعاء الناس لرجل عندما يموت : ادعو لفلان الذي كون اسرته وربى اولاده وفعل الحسنى والخير على وجه الارض •

وقد كانت تربية قدامى المصريين للاطفال تتسم بالحزم والشدة وفرقوا بين الوالد الرحيم والوالد اللين(١٠) ، ومقابل مسؤوليات الاب نحو الابناء افترض المجتمع له حقوقا واسعة على ولده اولا الطاعة والاحترام فقد كتب احدهم سيرة حياته يقول : « كنت عكاز الشيخوخة في يد ابي ما بقي على وجه الارض ، وكنت اروح واغدو على وفق امره ، ولم اخالف ابدا ما قرره فمه ، ولم اتعود ان اتطلع اليه بنظرات كثيرة ، وكنت اطأطيء بوجهي حين يحدثني »(١١)•

والتربية اليونانية القديمة الاسبرطية والاثينية القت مسؤولية تربية الطفل على عاتق الوالدين حتى السابعة من عمره وعلى ان يتعود الطفل المشقة والخشونة والرياضة وتحمل الالام والاتصاف باخلاق الرجال من سنواته الاولى •• فافلاطون ادرك اهمية التدريب والممارسة في الطفولة المبكرة في تحديد ميول الفرد المهنية في المستقبل •

---

(١٠) الدكتور عبدالعزيز صالح » التربية والتعليم في مصر القديمة » الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة / ١٩٦٦ ص ٦ .

(١١) دكتور عبدالعزيز صالح « الاسرة في المجتمع المصري القديم » وزارة الثقافة والارشاد القومي سنة ١٩٦١ ص ٧٧-٧٨ .

أما التربية الرومانية فقد وضعت ايضا مسؤولية تربية الطفل في سنواته الاولى حتى يبلغ السابعة من عمره على البيت والام بالذات ولا يترك لدى ازبيات من الاماء ويرى المربون الرومان امثال (كوينتليان وشيشرون) امكانية تربية الاطفال تربية خلقية قبل سن السابعة ، وطالبوا بوجوب العناية بانتخاب المرضع من الصالحات الفصيحات ، حتى يقتبس الطفل من كمالها وبيانها •

ثم جاءت التربية المسيحية مؤكدة التربية الدينية منذ السنوات الاولى لمرحلة الطفولة المبكرة والقت مسؤوليتها على الوالدين حتى يبلغ الطفل سنه السادسة او السابعة •

وقد اكد كثير من رجال التربية المشهورين في القرن الثامن عشر في اوربا اهمية مرحلة الطفولة في نمو الشخصية فجون لوك (١٦٣٢–١٧٠٤) دعا الى تعويد الاطفال على تهذيب الذات ونكرانها وضبط النفس وهم بعد في المهد • اما جان جاك روسو (١٧١٢–١٧٧٨) فقد آمن بان الطفل مخلوق بدائي نبيل مزود بحاسة خلقية فطرية وان تربيته ينبغي ان تكون طبيعية مناسبة لطبيعته الطيبة لان الشرور تأتيه من البيئة الاجتماعية ولاسيما الاسرة ، ويستالوتزي (١٧٤٦ — ١٧٤٦) أكد ان التبية تبدأ من الولادة من خلال التجارب العملية لا من الارشادات النظرية ، وقد جسد فروبل (١٧٨٢–١٨٥٢) افكار التربية الحديثة ونظرياتها في رعايتها الطفولة تجسيدا عمليا بانشائه رياض الاطفال بحيث اعتبر المؤسس الاول والحقيقي لها •

اما العرب قبل الاسلام فقد ادركوا بدورهم اهمية مرحلة الطفولةالمبكرة، إذ هدتهم فطرتهم السليمة الى العناية بتربية اطفالهم وتعويدهم على الفضائل الاخلاقية منذ صغرهم •

ثم جاء الاسلام مؤكدا تربية الاطفال تربية دينية ودنيوية ومؤكدا حاجات

الطفولة وتلبيتها من قبل الوالدين حيث جاء في القرآن الكريم : « وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا »[١٢].

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينصح الاباء بقوله : « من كان له صبي فليستصب له » وينصح معلمي الصغار علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف . والغزالي يؤكد ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش ومائل الى كل ما يمال إليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم والوالي عليه . وقد شبه ابن المقفع الطفل : بالحبة المغروسة في التربة التي لا يمكنها التفتح والنماء إلا بالري .

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا العرض التاريخي الموجز : هل المجتمع العربي ادرك خطورة مرحلة الطفولة الاولى ؟ وما المسالك المتبعة لتربية الاطفال ورعايتهم في البلاد العربية ؟

لعل اهم معيار بل مقياس علمي لتقدم اي مجتمع هو مدى ادراك خطورة مرحلة الطفولة ومدى تجسيد هذا الادراك والوعي بضرورة توفير العناية الخاصة والكافية بطفل هذه المرحلة الحرجة من مراحل النمو . والمجتمع العربي ينتمي من حيث الخصائص المميزة له الى مجتمعات دول العالم الثالث ، ذلك العالم الذي يتسم بأنه عالم متخلف تحرر حديثا من الاستعمار والسيطرة الاجنبية وتناضل شعوبه من اجل التخلص من التبعية والاتكالية لتحقيق التنمية والاستقلال .

وحركة التقدم والتغيير الاجتماعي في اي مجتمع حركة كلية شاملة وليست مجزأة منفصلة لان المجتمع يسير ككل متكامل الاجزاء والمعالم تقدما او تخلفا ،

(١٢) نجم الدين علي مردان « رياض الاطفال في الجمهورية العراقية » مطبعة الزهراء بغداد ص ٦٧ــ٧٠ .

والمجتمع يمر بمرحلة انتقالية مرة من التغيير الاجتماعي والتحـول النوعي في طبيعة العلاقات الاجتماعية العامة المتمثلة بالقيم وقواعد السلوك التي تجسـد روح المجتمع وجوهر وجوده • وتحقيق هذا التغير النوعي في طبيعة المجتمع يتطلب وقتا طويلا مهما بلغت فترة الاختزال والاختصار وحرق الزمن ، ويتطلب ايضا نضالا مستمرا ، وجهودا رسمية وشعبية مضاعفة ومكثفة •

والموضوعية والانصاف يتطلبان منا الاشارة الى ان المجتمع العربي قـد شهد في السنوات الاخيرة كثيرا من التحولات النوعية والتغـيرات الجذرية في طريق التنمية والعمران البشري والمادي مما اثر على مظاهر التخلف الاجتماعي والحضاري التي ورثها من العهود السابقة ، كما اثرت هذه التحولات النوعية والتغيرات الجذرية في العلاقات الاجتماعية على طبيعة الاسرة ومهماتها التربوية والنفسية مما ادى الى زيادة ادراك خطورة السنوات الاولى من حياة الطفـل والاهتمام بالطفولة • وقد تجسد هذا الادراك والاهتمام بالتوسـع الكمـي في المؤسسات المعنية بالطفولـة وتحسين اوضاعهـا التربوية والنفسية لتؤدي واجباتها وتتحمل مسؤولياتها التاريخية •

والمؤسسات المهتمة بتربية الاطفال ورعايتهم فيما قبل المدرسة في الوطـن العربي هي دور الحضانة ورياض الاطفـال والاسـرة • ودور الحضـانة ـ الحكومية وغير الحكومية من حيث العدد ليست كثيرة الانتشار في البـلاد العربية وقد اقتصرت على المدن فقط ، اما رياض الاطفال فقد وصل عددهـا في السنوات الاخيرة من القرن العشرين في ١٥ قطرا عربيا الى (٣) آلاف روضة، اما عدد المسجلين فيها من اطفال الفئة العمرية ٣ـ٦ سنوات فلا تزال قليلـة لا تتجاوز ٦٪ وهي نسبة اقل من مستوى الطموح والرضا ولاسيما اذا مـا قورن بعدد المستوعبين في الدول المتقدمة التي تنظر الى مؤسسات ريـاض الاطفال بوصفها ضرورة حياتية ومظهر من مظاهر التقدم لان وجودها استجابة حضارية لمتطلبات روح العصر ومتطلباته • كما ان هذا الواقع يلقي على عاتق

الاسرة العربية اعباء كبيرة ومسؤوليات جساما في السنوات الست الاولى من حياة الطفل •

والسؤال المباشر الذي يطرح نفسه هو : هل الاسرة العربية مؤهلة لتولي هذه المسؤولية التاريخية بتوفير الجو التربوي والنفسي الملائم لتعزيز شخصية الطفل في التنشئة الاجتماعية واتخاذ القرار ؟

ان الجواب عن هذا السؤال بهذا الشكل من التعميم بالايجاب « نعم » او بالسلبية « لا » قد يكون مجافيا للحقيقة وبعيدا عن الواقع والموضوعية لان هناك في المجتمع العربي انماطا من الاسر وليس هناك اسرة واحدة ذات نمط معاشي واحد • فهناك الاسرة الحضرية التي تختلف عن الاسرة في القرى والارياف من حيث عدد افرادها ومسؤولياتها وتقاليدها وقيمها ، وهناك الاسرة الارستقراطية والبرجوازية ذات المستوى الاقتصادي العالي والدخل المرتفع التي تختلف عن الاسرة الفقيرة الكادحة ذات المستوى الاقتصادي المنخفض والدخل المحدود من حيث مستوى المعيشة ونظام القيم ، وهناك الاسرة ذات المستوى الثقافي الواسع والتعليمي العالي التي تختلف عن الاسرة ذات المستوى الثقافي المحدود والمستوى التعليمي الواطىء • ان كل هذه الاختلافات في نوعية الاسر وطبيعتها تتطلب دراسات علمية مسحية وبحوثا مقارنة ليس بمقدور دراستنا تناولها ، لذا ستكون معالجتنا للموضوع نظرية تحليلية لا تتعدى ابداء الرأي وعرض وجهة نظر متواضعة للنقاش والحوار •

انه من المناسب بل المطلوب في هذا المقام ان نشير الى اهم مظاهر الشخصية الاجتماعية وابرز مؤشراتها كما يراها بعض علماء النفس الاجتماعي وعلى النحو الاتي(١٣) :

---

(١٣) دراسة الدكتور العادل علام المقدمة الى لجنة متخصصة في وزارة التربية العراقية حول توجيه المناهج ووسائل التدريب لتعزيز شخصية الطالب في مسألة الثقة بالنفس واتخاذ القرار ص ٢٩ـ٣٢ سنة ١٩٨٢ .

أ ـ الشعور بتقبل الفرد لنفسه (رؤية الشخص لنفسه) .

ب ـ الشعور بتقبل الغير له والمشاركة في الحياة العامة (رؤية الاخرين له) .

ج ـ الشعور بالطمأنينة والاتزان الاجتماعي (نتيجة التوافق بين (أ) و(ب)

ان هذه المؤشرات لمظاهر التنشئة الاجتماعية لا تأتي من فراغ بل هي حصيلة تفاعل شعور الشخص بذاته وكفاية قدراته وشعور الاخرين بكفاية تلك القدرات مما يؤدي به الى الشعور بانه جدير بثقة الاخرين في الاطمئنان والركون اليه . والتوافق بين رؤية الشخص لنفسه ، ورؤية الاخرين له ، وكما هو على حقيقته مؤشرات للشخصية المتوازنة السوية فأن رأى الشخص لنفسه او شعر بذاته اكثر من حقيقته واكثر مما يراه الناس اصابه الشعور بالعظمة وما يصاحبه من غرور وتعال وان رأى الشخص نفسه او شعر بذاته اقل من حقيقته اصابه الشعور بالنقص والدونية وما يصاحبه من قلق وخجل . فالثقة بالنفس اذن فضيلة تقع وسطا بين طرفي نقيضين من الرذائل همـا : الشعور بالعظمة والشعور بالنقص ، بين الغرور والضعة .

وبعد هذا التوضيح لمؤشرات مفهوم التنشئة الاجتماعية وتعزيز الثقة بالنفس واتخاذ القرار ، يستحسن التعرف على الجو التربوي المطلوب من الاسرة العربية تهيئته لاعداد الشخصية الاجتماعية المتوازنة الواثقة من نفسها والقادرة على اتخاذ القرار واصدار الاحكام .

ان اهم اركان هذا الجو التربوي هو الاتي :

١ ـ الجو الديمقراطي :

ان اهم متطلبات الجو الديمقراطي هو توفر الحرية المراد توفرها في الاسرة العربية وهي ليست الحرية المطلقة التي تؤدي الى التسيب والتراخي وبالتالي الى الانحراف ، بل الحرية المسؤولة الموجهة التي تسمح للطفل والابناء بالتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم في الامور التي تهمهم في البيت ،

تلك الحرية التي يسود جوها الأخذ والعطاء والمناقشة والحوار الهادف والاحترام المتبادل والتعاطف والمشاركة الوجدانية والتعاون وإدراك الحقوق والواجبات وتقسيم الادوار في الاسرة وعمل البيت •

٢ ـ جو المساواة والعدالة في المعاملة بين الاطفال :

كل طفل يريد ان يشعر ان اسرته تعامله معاملة حسنة لا تختلف عن معاملتها اخوانه واخواته إن لم يكن افضل واحسن ولكن المطلوب ان يسود جو الاسرة المساواة في التعامل مع الاطفال كافة والعدالة في الرعاية التربوية من اجل تنشئة الاطفال تنشئة اجتماعية فيها تعزيز للثقة بالنفس وفيها دعم لشخصية الطفل في اتخاذ القرار والحكم على الاشياء ، فالتباين والاختلاف في اساليب التعامل في الثواب والعقاب والدلال والاهمال والتهديد والنقد والنبذ والقسوة والتغلب والتلهف مع الاطفال من حيث الاعمار ـ الطفل الاول والطفل الاصغر والطفل الاوحد ـ او من حيث الجنس ذكرا او انثى له اثر كبير في ترسيخ عامل الثقة بالنفس حاضرا او مستقبلا • وما علينا الا الاقتداء بالاعرابية التي سئلت يوما : اي طفل من اطفالك احب اليك ؟ قالت كلهم سواسية مثل عيني اليمنى واليسرى فصغيرهم حتى يكبر لحاجته الى عطف ورعاية اكثر ، ومريضهم حتى يشفى من مرضه لضعفه وسوء حالته ، وغائبهم حتى يعود من سفره • فالى الاقتداء بهذا المثل النموذجي في المعاملة العادلة والرعاية الكريمة مما يساعد على تنشئة الابناء على اتخاذ القرار لتعزيز الثقة بالنفس وترسيخ مفهوم العدالة والمساواة •

٣ ـ جو الانسجام والعلاقة الطيبة بين الزوجين :

الطفل بحكم طبيعته مخلوق ضعيف يحتاج الى الرعاية المستمرة والعناية المتواصلة من اسرته ولاسيما من الوالدين لتنشئته تنشئة اجتماعية جيدة • والوالدان بالنسبة للطفل عماد الاسرة من خلالهما تلبي رغباته وتسد حاجاته البيولوجية والنفسية من خلالهما • وكلما كان التوافق والانسجام بين الزوجين

قائما والمعاملة جيدة بينهما من تعاون ومودة ومحبة وتسامح وتضحية ، يشعر الطفل بالطمأنينة والاستقرار والاتزان العاطفي والاجتماعي مما يساعد على اتخاذ القرارات الحياتية المختلفة لتعزيز الثقة بالنفس وبالعكس كلما ساد جو الاسرة الخصام والعداوة والمشاجرة والحقد والانتقام والانانية بين والديه ، شعر الطفل بالخوف والقلق والتهديد مما يحبط فيه القدرة على اتخاذ القرار وبالتالي ففدان الثقة بالنفس والثقة بالاخرين • وجو الانسجام بين الزوجين هو الجو الذي يعرف كل منهما فيه حقوقه وواجباته ودوره في اطار مصلحة الاسرة والتعاون بين افرادها •

٤ ــ جو القبول بالامر الواقع وتفهمه :

سنة الحياة هي التباين والاختلاف في طبيعة الاشياء ، والفروق الفردية قائمة بين الناس بسبب الاختلاف في طبيعة الوراثة ونوعية البيئة الطبيعية والاجتماعية والاطفال في الاسرة الواحدة مختلفون من حيث القدرات العقلية والجسمية وعليه فمراعاة هذه الفروق الفردية العقلية والجسمية اصبح اساس كل تربية سليمة وتنشئة اجتماعية متزنة وهذا يستدعي قبول الاطفال على طبيعتهم والتعرف على حقيقة قدراتهم وتجنب مطالبتهم في النمو الجسمي والعقلي او الاجتماعي اكثر من قدراتهم المحدودة • اما مطالبة الاباء والامهات الاطفال ان يكونوا مثل فلان اومطالبتهم بالكمال فيكلفونهم باعمال تفوق قدراتهم ويتوقعون منهم النجاح المستمر ويتطلعون الى ان يكونوا دائما في القمة والذروة بالنسبة لاقرانهم واقاربهم ففيه خطر كبير وعواقب وخيمة لانه يؤدي بالطفل الى حالة من القلق والتهيج السريع والاضطراب العصبي مما يؤثر على نموه الجسمي والعقلي والعاطفي وبالتالي يفقده الثقة بنفسه والثقة بالاخرين ويصبح عاجزا عن اتخاذ القرارات الصحيحة في المواقف الحياتية المختلفة • فالجو التربوي المناسب في الاسرة هو الجو الذي يعترف بالواقع على حقيقته وينطلق منه للتوفيق بين نظرة الطفل لنفسه ولذاته ونظرة الاخرين له انسجاما مع قدراته على حقيقتها وتفهم تلك القدرات لتجنب الشعور بالعظمة

وما يصاحبه من تعالٍ وكبرياء وغرور والشعور بالنقص وما يصاحبه من ضعف واستهان وقاق والسؤال الذي يطرح للمناقشة لتحقق الدراسة هدفها : هو : هل هذه السمات من حرية ومساواة وعدالة وواقعية وانسجام متوفرة في الجو التربوي للاسرة العربية مما يساعد على التنشئة الاجتماعية للابناء ويشجعهم على اتخاذ القرار وتعزيز الثقة بالنفس ؟ ان الاجابة بموضوعية عن هذا السؤال يتطلب بحوثا علمية ودراسات ميدانية ولكن اذا كان المقام يتطلب ابداء الرأي فجوابنا على العموم يكون بالنفي « لا » ان هذا الجواب الذي ينفي توفر الشروط الاساسية المطلوبة للتنشئة الاجتماعية الصالحة في الاسرة العربية ينطلق من نظرتنا الى ان الاسرة العربية ما هي الا جزء وفرع من نظام كلي رئيسي هو النظام الاجتماعي العربي المتخلف وسياسة الحكم الفردي وفلسفته التسلطية ، فكيفما يكون النظام الاجتماعي العربي كنظام كلي تكون الاسرة العربية كنظام فرعي صلاحا ام فسادا .

وقبل ان نختم دراستنا يجدر بنا الاشارة الى اهم ظاهرة اجتماعية برزت في المجتمع العربي ألا وهي مشاركة المرأة المتعلمة الرجل في العمل والدراسة مما كان الاثر الكبير في رفع مستوى دخل الاسرة العربية الحضرية ورفع مستواها الثقافي وهذا جانب ايجابي ، إلا اننا يجب ان نعترف بان الاسرة الحضرية اصبحت لهذا السبب تمر بمرحلة انتقالية حرجة تتأرجح بين حالتين هما :

ـ حالة تمركز السلطة في الاب وانفراده في القيادة كما كانت عليه الاسرة التقليدية .

ـ حالة توزيع سلطة الاسرة وقيادتها بين الاب والام كما هو شأن الاسر في الدول المتقدمة .

ان الاسر العربية المتسمة بأنها حضرية ومتعلمة لاهي اسر تقليدية اصيلة ولا هي اسر معاصرة عقلانية ، بل اسر تائهة بين النمطين وربما لا نغالي اذا ما

قلنا بانها تكاد تميل الى الاخذ بسلبيات الاسرة التقليدية والاسرة المعاصرة اكثر من ايجابياتهما .

إن وضع الاسرة العربية في المناطق الحضرية في حالة غياب اشراف الام على تربية الاطفال لوجودها خارج البيت للعمل★ ، وغياب اشراف المؤسسات المعنية بتربية الاطفال من دور حضانة ورياض الاطفال لعدم كفايتها يؤدي الى خلق جو من التسيب والانفلات مما يساعد على الانحراف ، ولذلك اصبح التمسك بالقيم الاصيلة والاخلاق الحميدة للاسرة العربية وهي تمر بالمرحلة الانتقالية في تقسيم الادوار وادراك الحقوق والواجبات بالنسبة للرجل والمرأة من اهم مقومات الاسرة السعيدة .

فإنما الامم الاخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

اما المقترحات العملية لتحسين الاجواء التربوية الصالحة في الاسرة للتنشئة الاجتماعية في تعزيز الثقة بالنفس واتخاذ القرار فنراها على النحو الاتي:

١ ــ التوسع في فتح دور الحضانة ورياض الاطفال ومراكز الرعاية اليومية تحت إشراف مختصين في حقل تربية الطفولة المبكرة ليشمل جميع الاطفال الصغار وعلى كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية مع ايلاء اهمية خاصة لتحسين وضع المؤسسات القائمة المهتمة برعاية الطفولة وتربية الصغار .

٢ ــ الارتفاع بمستوى الاسرة العربية بتأكيد ضرورة الاعتناء بتوعية الامهات والاباء بأهمية الطفولة وكيفية التعامل معها والتوعية بضرورة توفر الجو التربوي المتسم بالحرية والعدالة والمساواة والواقعية والانسجام وتأثير كل ذلك على شخصية الاطفال وحياتهم المستقبلية ، مما يتطلب تثقيف الامهات وتدريبهن على اسس التربية الصحيحة للطفولة كتنظيم وجبات الطعام والفطام

★ ان قرار منح الام الموظفة في بعض البلاد العربية اجازة الامومة عند الولادة لستة اشهر خطوة ايجابية نحو معالجة المشكلة .

وكيفية تعلم العادات الحسنة الجسمية والعاطفية وتعلم الكلام واللغة .. وغيرها ، فضلا عن مراعاة مبدأ التعليم المستمر بتزويد الاسر المتعلمة بالكتيبات المبسطة والمبرمجة حول تربية الاطفال وكيفية رعايتهم واعطاء عناية خاصة في وسائل الاعلام لتربية الاطفال وكيفية التعامل معهم .

٣ ــ التعاون بين الاسرة والمؤسسات التربوية : الاسرة والمدرسة شركاء في تربية الاطفال ولذلك اصبح التعاون والتفاهم بينهما حول تربية الاطفال ضرورة ملحة وإلا كانت النتائج عكسية ، اما الوسائل التي يمكن ان يتم من خلالها التعاون فهي :

(أ) تشكيل مجالس الامهات والمعلمات لمناقشة مشكلات الاطفال اليومية والوسائل الحديثة لتربية الاطفال .

(ب) تخصيص اوقات معينة خلال السنة الدراسية لاستقبال اولياء امور الاطفال وزيارة الصفوف .

(ج) تزويد البيت بالتقارير الشهرية المنظمة عن سلوك الطفل ومشكلاته اليومية .

(د) مطالبة امور اولياء الاطفال كتابة التقارير الشهرية عن سلوك أطفالهم ومشكلاتهم اليومية .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . صدق الله العظيم

المراجع

١ ــ ابراهيم الدسوقي مرعي : الطفولة في الاسلام : تونس : دار ابو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ .

٢ ــ احمد فائق ومحمود عبدالقادر : مدخل الى علم النفس العام : القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .

٣ ــ الحافظ ، نوري : تكوين الشخصية ــ بغداد مطبعة المعارف ، ١٩٦١ .

٤ ــ الشناوي ، عبدالعزيز ومحمد عادل الاحمد : واقع التربية ما قبل المدرسة في الوطن العربي ــ تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨١

٥ ـ العقاد ، عباس محمود : الانسان في القرآن الكريم ـ القاهرة دار الهلال ، ١٩٦٠ .
٦ ـ الغزالي ، الامام ابو حامد : ايها الولد ـ بغداد : مطبعة المعارف .
٧ ـ خالد محمد خالد : الديمقراطية . . . ابدا ـ دمشق ، المطبعة القومية ، ٨.
٨ ـ خالد محمد خالد : انه الانسان ـ القاهرة : دار الكتاب العربي ١٩٥٨ .
٩ ـ صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق : سيكولوجية الشخصية : دراسة الشخصية وفهمها ـ القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ .
١٠ـ عبدالعزيز صالح : الاسرة في المجتمع المصري القديم ـ القاهرة : دار القلم ، ١٩٦١ .
١١ـ عبدالعزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة ـ القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .
١٢ ـ عبدالوهاب حموده:القرآن وعلم النفس ـ القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٢ .
١٣ـ فسكايا ، جوكو : احاديث عن تربية الاطفال ـ موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٧
١٤ـ كمال محمد شريم : الطفل في التربية في : الانسان الجديد : منبر العاملين في مكافحة الامية (اللجنة العليا لمكافحة الامية وتعليم الكبار في الضفة الغربية وقطاع غزة / البيرة) العدد السادس ، يونيه / حزيران ١٩٨١ .
١٥ـ كونجر ، جون وآخرون : سيكولوجية الطفولة ، والشخصية / ترجمة احمد عبدالعزيز سلامة وجابر عبدالحميد جابر ـ القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ .
١٦ـ محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : كيف نربي اطفالنا : التنشئة الاجتماعية للطفل في الاسرة العربية ـ القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٠
١٧ ـ محمد قطب : دراسات في النفس الانسانية ـ بيروت: دار الشروق ١٩٧٤
١٨ـ محمود بن الشريف : الاسلام والاسرة ـ القاهرة : الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .
١٩ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج : التخطيط التربوي والتغير الاجتماعي ـ الرياض ١٩٨٤ .
٢٠ـ نجم الدين علي مروان : رياض الاطفال في الجمهورية العراقية ـ بغداد : مطبعة الزهراء ، ١٩٨٢ .
٢١ـ الندوة العلمية حول توجيه المناهج ووسائل التدريس لتعزيز شخصية الطالب وثقته بنفسه واتخاذ القرار ، بغداد ٨ـ٩/١٢/١٩٨٢ . الوقائع الكاملة للندوة ـ بغداد : وزارة التربية مديرية التوثيق والدراسات ١٩٨٤
٢٢ـ اليونسكو : المركز الدولي للاطفال . الطفل ونموه من المولد الى سن السادسة ـ القاهرة : مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية ١٩٧٦ .

دور الاسرة العراقية في التنشئة : المعوقات والمخاطر
البعــــد الاجتمــاعي

الدكتورة ناهدة عبدالكريم حافظ
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الملخص :

استمر المجتمع الانساني بالاسرة والتنشئة واتصلت ثقافته ، وهي أداة نقل للثقافة وتكوين الشخصية عبر الاجيال ، تناول هذا البحث الدور الذي تؤديه الأسرة العراقية في التنشئة ، مع الاشارة الى خصوصية هذا الدور في ظل الظروف القائمة ، مع تشخيص للمعوقات لتسهيل امكانية تطوير هذا الدور مستقبلا ، ومن خلال اطار نظري للدراسة مع الخاتمة والتوصيات .

المقدمة :

الأسرة والتنشئة : بنية ووظيفة ، بهما استمر المجتمع الانساني ، واتصلت ثقافته . ففي الاسرة مودة ورحمة ،وعلاقات حميمية قائمة على المواجهة ، والتفاعل المباشر ، وهي أداة نقل الثقافة من جيل الى جيل ، ومن خلالها ، وبها يكتسب الكائن ملامحه الانسانية ، والانسان بمعناه العام الشامل ، يكتسب هويته ، ويتحدد انتماؤه وولاؤه .

والتنشئة التي يتم من خلالها ذلك كله هي تربية تلقائية ، غير رسمية ، تجري بأساليب عديدة كالنصح المباشر ، والتقليد والتقمص ، والخطأ والصواب ، وتتراكم آثارها مع امتداد عمر الانسان وتواصله .

والأسرة والتنشئة من الموضوعات المفضلة في حقول علمية عديدة لعل في المقدمة منها علم الاجتماع ، وهناك علم اجتماع الأسرة على رأس هـذه الاهتمامات ، والتربية وعلم النفس ، التربوي والأسري والانثربولوجيا ، ولاسيما التي تركز اهتمامها على الجماعات البسيطة •

ان موضوع هذه الورقة ، دور الاسرة العراقية يكتسب أهميتـه من أهمية الموضوع ، من جهة ، ومن الاوضاع والظروف الاستثنائيـة التي تواجه الاسرة العراقية من جرّاء الحصار الجائر ، المفروض على العراق ، وما رافقه من عدوان عسكري مستمر من جهة اخرى • بل ان البحث في موضوع كهذا يطرح على الباحث جملة من الاسئلة التي تتطلب اجابات وافية ومنها :

- ما الدور الذي تؤديه الاسرة العراقية في التنشئة ؟
- هل هناك خصوصية مميزة لهذا الدور في ظل الظروف القائمة ؟
- كيف يمكن تطوير فعالية ذلك الدور مستقبلا ؟
- هل هناك معوقات تحول دون تلك الفعالية ؟

ولاشك في أن الاجابة عن أسئلة كهذه تتطلب أن نلقـي نظـرة على المفاهيم وأن نستنطق المدركات من خلال اطار نظري ملائم •

اولا : المفاهيـم :

١ ـ الاسـرة : Family :

لعل ما من مفهوم تداولته الادبيات السلوكية ، مثل مفهـوم الاسـرة Family ، ومع أن المعنى يبدو بديهيا حين يعرض المفهوم على العقل ، فانه في الواقع مثل : السهل الممتنع فنحن بين أسرة وأسـرة نوويـة زوجيـة وأخرى ممتدة ،وبين أسرة من أبوين ، وأخرى من امرأة ، كان لهـا زوج أو لم يكن•• الخ ، وهكذا يبدو ان ما يعد للوهلة الاولى بديهيـاً شـديد التعقيـد ••

يقال : ان أسرة الرجل رهطه ، لأنه يتقوى بهم • ويقال (بأسـرة) أي كله (بمعنى ان الاسرة كل لايتجزأ) و (الاسار) أي القيـد ، يشـير الـى ان بين من يكونون اسرة وعلاقات وثيقة[١] • وفي لفظة (العائلة) اشـارة الى العيال فالرجل معيل اذا صار ذا عيال ، والعيلة ، والعالة : الفاقـة ومنه قولهتعالى (فإن خفتم عيلة)[٢]•

وفي اعتقادنا أن لفظ الاسرة ، الذي يشـير الى الملاقـات الوثيقـة والقوية ، أكثر من لفظ العائلة الذي يشير الى معنى ذي مضمون اقتصادي يتمثل في الاعالة ، أي أن تلك العلاقات الوثيقة (بينالزوجين) وبينهما وبـين الأبناء ، وبين الاسرة ككل وبين المجتمع) هي في الواقع تعبـير عن وظائف حيوية تؤديها الاسرة • ومن المهم أن نلاحظ ان الاسـرة العربيـة عمـوماً والعراقية خصوصا ، عريقة زمنيا وحضارياً وهي خلاصة لتصور الشريعـة الاسلامية السمحة حول نشأة الجماعة الانسانية (يا أيها الناس اتقوا ربكـم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثـيراً ونساءاً)[٣] •

يمكن تعريف الاسـرة :بكونها جماعـة أوليـة Primary Group أو وحدة اجتماعية ، تضم الزوجين ، وأبناءهما في اطار علاقات مباشـرة ، وتوزيع للحقوق والواجبات ، في اطار ثقافة معينـة • أو هـي الوحـدة الاجتماعية التي تهدف الى الحفاظ على النـوع الانسانـي ، وتقـوم على المقتضيات التي يرتضيها الفعل الجمعي والقواعد التي تقررهـا المجتمعـات المختلفة • ويعتبر نظام الاسرة نواة للمجتمع ، ولذلك كان أساسا لجميـع

---

١ ــ راجع حول بعض هذه المعاني ، الرازي ، «مختار الصحـاح» (الكويت : دار الرسالة ١٩٨٣) ، ص ١٦ •

٢ ــ نفس المصدر ، ص ٤٦٦ •

٣ ــ سورية النساء آية رقم (١) •

٤ ــ د. محمد علوان ، مفهوم اسلامي جد لعلم الاجتماع (جدة : دار الشروق، ١٩٨٣) ، ص ٢٤ •

النظم[٥] وهكذا اكد « پارسونز» ، ضرورة النظر الى الاسرة كبنـاء كلـي مترابط الاجـزاء ، يتطور خـلال البيئة الطبيعية مـع أجزاء أو وحـدات في علاقات (وظيفية) متبادلة تنتج من تفاعل الافراد الذين يكونون في حركة دائمة وتنظر اليهم في نفس الوقت كأشياء ثابتة أو غير متغيرة[٦] •

٢ ـ التنشئة الاجتماعية : Socialization

هي عملية تأثير متبادل بين الشخص والمحيطين به ، العملية التي تؤدي الى القبول او التكيف ، لأنماط السلوك الاجتماعي ، والتـي يمكـن أن توصف من زاويتين الاولى موضوعية تتضمن تأثير المجتمع في الفرد والثانية ذاتية ، وتتضمن استجابة الفردللمجتمع • أي أنالزاوية الاولى تشـير الـى العملية التي ينقل بموجبها المجتمع ثقافته culture من جيل الـى آخـر ، وتكييف الفرد لما هو مقبول من الحياة الاجتماعية المنظمة • أما من النـاحية الذاتية فتعني التي تمضي داخل الفرد مع استمرار تكيفه للنـاس المحيطـين به [٧] • ويعرّف آخرون التنشئة الاجتماعية بكونها : « عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف الى اكســاب الفـرد (طفـلا فمراهقاً فراشداً فشيخاً) ، سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها ، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية•• ولذلك يرادف العـالم «نيوكومب» بين مصطلح التنشئة الاجتماعية ومصطلح التعلم الاجتماعي•

والتنشئة عملية مستمرة لاتقتصر على الطفولة فقط • والفرد خـلال مراحل نموه ينتمي الى جماعاتجديدة ، ولابد أن يتعلم دوره الجديد فيها،

٥ ـ د. احمد زكي بدوي ، معجم العلوم الاجتماعية (بيروت : مكتبة لبنـان ، ١٩٧٨) ، ص ١٥٢ •

٦ ـ د. سناء الخولي ، الاسرة في عالـم متغير (القاهـرة : الهيئـة المصرية ، ١٩٧٤) ، ص ٧٨•

7. Fichter, J. H., Socidogy (The univ. of Chicago Press, 1966), pp. 22—23.

ويعدل سلوكه ويكتسب أنماطاً جديدة من السلوك(١٠) • ان التنشئة لاتجري في الاسرة فقط ، بل تشاركها المدرسة وجماعة الاصدقاء في المجتمع المحلي، ووسائل الاعلام ، ودور العبادة •• الخ • غير ان أهم محدد للتنشئة ــ من حيث المضمون ــ هو الثقافة • وهي مجموع ما يتعلم وينقل من نشاط حركي وعادات وتقاليد وقيم واتجاهات ومعتقدات تنظم العلاقات بين الافراد وأفكار وتقنية وما ينشأ عنها من سلوك يشترك فيه أفراد المجتمع(٩) • ويمكن التعبير عن تنشئة الفرد في المراحل المختلفة ، وطبقاً لأدوار الجماعات والاشخاص من ذوي التأثير في كل مرحلة كما يأتي :

يظهر الشكل السابق : ان التنشئة تتواصل عبر مراحل حياة الفرد ، وانها تمثل اشتراكاً لكل مؤسسات المجتمع وجماعاته ، وهي في كل مرحلة تتضمن اشغال منزلات جديدةوتعلم أدواراً جديدة • غير أن من المفيد أن نلاحظ ونحن ندرس الاسرة العراقية ودورها في التنشئة ان المجتمع العراقي، بعد ثورة ١٧ــ٣٠ تموز المجيدة عام ١٩٦٨ أعطى أهمية كبرى للدور الذي تقوم به المنظمات الجماهيرية في التنشئة (منظمات الطلائع والطلبة والشباب والمرأة ، فضلا عن النقابات وجماعات الحرفيين) ، وعن الدور المهم الذي يؤديه الحزب في التنشئة السياسية ، وهي وجه من وجوه التنشئة الاجتماعية •

---

٨ ــ د. مختار حمزة ، اسس علم النفس الاجتماعي (جدة : دار البيان العربي ، ١٩٨٢) ، ص ٢٠٣ــ٢٠٤ •

كذلك راجع : محمد محمود عبدالجبار الجبوري ، الشخصية في ضوء علم النفس (العراق : جامعة صلاح‌الدين ، ١٩٩٠)، ص٨٠ وما بعدها •

٩ ــ مختار حمزة ، المصدر السابق ،ص٢٠٧•

19- Gillin, J. L. & Others, An Introduction to Sociology (NewYork: the Macmillan, 1945), p. 563.

11- Goode, W. J., Family Disorganization, In Merton Rand Nisbet. R. (ed.), Contemporary Social Problems, (NewYork: Harcount. 1971), p. 467.

ثانيا : بعض خصائص الاسرة العراقية :

من الواضح أن الاسرة في كل مجتمع شهدت تغيرات عميقة في بنيتها ووظائفها • ويذكر (وليم جود) ، انه خلال مئات السنوات الماضية ، فان الاسرة كانت في حالة تدهور مستمر (ولا سيما الاسرة الامريكية) • غير أننا لابد أن نقر بأن الاسرة كانت هشة وصلبة في الوقت نفسه • هشة ، لان بنيتها تعرضت لانكسارات مستمرة وصلبة لانها ما زالت موجودة ولم تختف[11] •

يمكن تلخيص أوجه التغير التي طرأت على الاسرة في جانبين :

١ ــ التغير في بنية الاسرة[12] ، ويبدو ذلك واضحاً في حجم الاسرة وما يعنيه من ضيق ،أو اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية بين الافراد ، ومعدل الاعالة ، ومدى ثقل المسؤوليات الاجتماعية والاخلاقية •

ويمكن تلخيص ذلك في التحول من أسرة ممتدة Extended الى اسرة نووية (Nuclear) وأحيانا من أسرة ذات زوجين الى أسرة ذات أ واحد (وهو المرأة) فهي أسرة واحدية الأب ، معترف بها في الغرب •

ب ــ يتعلق بذلك التغير في اختيارات الزواج وقيمه ولاسيما حين يمثل ذلك التغير استقلالا عن (أسرة التوجيه) أي الاسرة الاصلية للفرد ، بحيث يصبح الزواج قراراً فردياً أكثر منه أسريا ، ويعتمد على التوافق غير ان الشباب العربي من الجنسين ما زالوا يهتمون بدور وقرار الاسرة في هذا الشأن •

حـ ــ تغير العلاقات الداخلية في الاسرة ولاسيما توزيع السلطة بعد أن أصبح للمرأة أدوارها الاقتصادية المعترف بها خارج المنزل ، وأصبح لها من الوعي ما يؤهلها للمشاركة في قرارات الاسرة ومواقفها •

---

١١ ــ راجع للتوسع ولمزيد من الايضاحات : د. سناء الخولي ــ الاسرة في عالم متغير ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ وما بعدها .

١٢ ــ المصدر السابق ، ص١٦٣ وما بعدها .

٢ ـ التغير في وظائف الاسرة : ويمكن ملاحظة هـذا التغير في الجـوانب الرئيسـة الآتيـة :

أ ـ تغير الوظيفة الاقتصادية : كانت الاسرة ولاسيما في المناطق الريفيـة ، تشكل وحدة اقتصادية مكتفية بذاتها •

ب ـ تغير الوظيفة التعليمية : الذي تمثل في انتقال مهمـة التعليـم الـى المدارس ، مع ملاحظة أن الاسرة في المجتمع العربي مـا زالت تواصل دورهـا الـرقابي •

وفي بعض الاقطار العربيةالتي أخـذت بسياسـة الخصخصـة ، والتكيف الهيكلي للاقتصاد ، أصبحت الاسرة هي مصدر الانفاق على تعليم أبنائهـا •

جـ ـ تغير وظيفة التنشئةالاجتماعية : من خـلال اتساع دور الجماعـات والمؤسسات في هذه العملية•ولعل أوضح الادلة ان الاستعانـة بكبار السن في عملية التنشئة أصبحت محدودة ، فضلا عن ميل الاسرة الى تحديد النسل والعناية بتربيتهم على وفقالاساليب الحديثـة • كما ان نمط العلاقة بين الأبوين انعكس على مضمون التنشئة فلم تعد تنطوي على تمييز شديد ضد الاناث، كما ان العلاقات الديمقراطية بين الزوجين قللت° من طابع القلق للشخصية •

وحين ننتقلالى الاسرة العراقية ،نلاحظ أن بعض التغيرات البنيويـة والوظيفية التي لحقت بها هي جزء أو امتداد للتغيرات التي شهدها العـالم وكان مصدرها عوامل متعددة ومتداخلة مثل التصنيع والهجـرة والتحضـر وتعليم المرأة وما ترتب على ذلك كله من مشكلات سلوكية •

غير ان للاسرة العراقية خصوصيتها أيضا ، ويمكن القول ان السنوات انعشر الماضية ، بما شهدته من حصار جائر مستمر ، هو في الواقـع عمليـة تنكيل مستمرة بالشعب العراقي ومن عدوان مسـتمر يهدد الامن الاجتماعي :

ويجعل المجتمع كله في حالة توتر وترقب • ويمكن ملاحظ خصائص الاسرة العراقية من حيث صلتها بالتنشئة الاجتماعية فيما يأتي :

١ ــ الاسرة العراقية كبيرة الحجم غير انها ليست ممتدة بالضرورة • وتشير بعض الاحصاءات الى ان حجم الاسرة العراقية تطور صعوداً من (٢ر٥) فرداً عام ١٩٥٧ الى (٥ر٦) فردا عام ١٩٧٧ ، ثم الى ٤ر٧ فرداً عام ١٩٨٧ • ويقدر المتوسط العالمي بنحو ٥ر٥ فرداً[١٣] • غير ان هذا الحجم الكبير قد يشير الى سكن عدة أسر نووية في بيت واحد، وليس الى أسرة ممتدة بالمعنى الذي يضم جيلين أو أكثر ، غير أن هناك تقديرات أخرى تجعل عدد الافراد المقيمين في الاسر المعيشية الحضرية (٨ر٣) عام ١٩٩٥ بعد أن كان (٨) في عام ١٩٨٤ــ١٩٨٥ • أما في الريف فقد بلغ (٣ر٤) فرداً عام ١٩٩٥ بعد أن كان (٨ر٨) فرداً عام ١٩٨٤ ــ١٩٨٥ • لكننا نشكك بصحة هذه الارقام المستقاة من مصدر[١٤] دولي •

٢ ــ ارتفاع معدل الاعالة : اذ توصل أحد البحوث الى ان معدل الاعالة هو (٥ر٣) أشخاص، أي ان كل فرد عامل عليه اعالة (٥ر٢) شخصاً فضلا عن نفسه [١٥] ، ويبلغ متوسط نسبة الاعالة في المنطقة (٨١) لكل (١٠٠) شخص في سن العمل[١٦] •

---

١٣ ــ جمعية الاقتصاديين العراقيين ، تقرير التنمية البشرية (بغداد : ١٩٩٥) ص ٢٤ •

(١٤) الاسكوا ، المصدر السابق ص٩.

١٥ ــ سهام محمد عبدالحميد ، دور المراة العراقية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية (بغداد بالرونيو ، بدون تاريخ) ، ص ٣.

(*) كان البنك الدولي قد قدر خط الفقر ب (٣٦٠) دولار سنويا اي ما يقل عن دولار واحد في اليوم •

١٦ ــ محمد كاظم المهاجر ، مصدر سابق ، ص ٢١ــ٢٢ •

٣ ـ ارتفاع عدد الاناث قياساً الى الذكور : فبين عامي ١٩٧٧ـ١٩٧٨ ارتفع عدد سكان العراق من (١٢٠٠٠٤٩٧) نسمةالى (١٦٣٣٥١٩٩) كانت نسبة الاناث ٥ر٨٤٪ الى ٦ر٤٨٪ وبلغت نسبة الجنس عام ١٩٧٧ (٣ر١٠٦٪)وبلغت عام ١٩٨٧ (٨ر١٠٥٪) • أما في عام ١٩٩٧ فقد بلغت نسبة الاناث ٣ر٥٠٪ وبلغت نسبة الجنس٨ر٩٨٪ •

٤ ـ انخفاض القدرة الاقتصادية للاسرة العراقية وتعاظم مؤشرات الفقر Poverty •فقد لاحظت دراسة FAO ان نحو ٥ر٣ مليون عراقي من الموظفين والقوات النظامية وبعض العجزة وأرباب المعاشات يحصلون علىاعاشة قدرها (٢٠٠٠) دينار شهرياً نحو دولار واحد(*)• وقد لاحظ الباحثون ان الاسرة العراقية تنفق مايزيد على ٨٠٪ من دخلها لكي تشبع حاجاتها في التغذية [١٧] •

٥ ـ أدى انخفاض القدرة الاقتصادية الى أن يقوم الزوجات بأعمال مرهقة ، وطويلة الوقت أحيانا لتوفير دخل اضافي للاسرة ، ولذلك يلاحظ اتساع نطاق القطاع غير النظامي أو ما يسمى أحيانا قطاع الفقراء ، أو غير الرسمي •

وقد لاحظت احدى الدارسات ان النساء العاملات في القطاع غير الرسمي هن من أسر كبيرة الحجم جدا ، اذ يصل معدل عدد أفرادها الى (٧ـ٩) أفراد [١٨] •

٦ ـ تراجع الخدمات التيكانت تقدمها الدولة مجانا ، أو شبه مجان ، مثل خدمات التعليم والصحة والتدريب ، والخدمات الترويحية •• الخ ، مما أدى الى تفاقم المسؤوليات الاقتصادية للاسرة،أو تراجع اهتماماتها

---

١٧ ـ د. آمال شلاش ، نشاط المراة في القطاع غير النظامي واثره في الحد من الفقر (بغداد بالرونيو ، ٢٠٠٠) ص ١٥ •

١٨ ـ د. عبداللطيف عبدالحميد ود. نبيل اسماعيل ، ظاهرة التسول ، دراسة ميدانية في بغداد ، ١٩٩٨) ، ص ٩ بالرونيو .

بعض تلك الانشطة كالتعليم ،الى حد اضطرارهـا لتشغيل أطفـالها وتركهم للدراسة .

٧ ـ النقص الواضح في الخدمات والامكانات المهمة التـي كانت متاحـة للاسرة وأهمها المياه المأمونة ، والكهرباء ، وتصريف المياه الثقيلـة . وتراجع امكانات بناء الدوروالشقق السكنية ، وصعوبة المواصلات ، واستحالة الحصول على بعض السلع المعمرة ، فيظل هذا المستوى من التضخم وضمور الدخول .انبعض تلك المؤشرات هي في الواقع أدلة على الحرمان البشري كما وصفته أدبيات الامم المتحدة .

ان اوضاع الاسرة العراقية اليوم جزء من أوضاع المجتمع العـراقي ذاته . تلك الاوضاع التي أفرزها ، ويفرزها العدوان العسكري والحصـار الشامل المفروض على العراق . غير اننا مع كل تلك الملاحظات والخصـائص التي تبدو سلبية ، لابد من أن نلاحظ ان الاسرة العراقيـة تمسكت بقيـم الصبر والتزمت اجراءات التدبير ، وواصلت كفاحهـا ، من أجل أن تستمـر حياتها على الرغم من جسامة التضحيات . كذلك لابد من الاشـارة الى ان قدرة الاسرة العراقية على مواصلة حياتها ، استندت الى اجراءات حـاسمة اتخذتها القيادة ، وأهمها البطاقة التموينية التي حالت دون وقوع مجاعـة واسعة ، ومدمرة في العراق . فضلا عن استمرار الخـدمات الرئيسة بأسعار رمزية ، وفسح المجال للنشاط الخاص ، حتى يوفر المزيد من فرص العمـل ، ويسهم على نحو أكبر في النشاط الاقتصادي للمجتمع .

ثالثا : اثر الخصائص الحالية للاسرة العراقية على عملية التنشئة الاجتماعية :

ان مراجعة لأي بحث يتناول الجريمة أو السلوك المنحرف ، تظهر انـه يركز على الدور الذي تؤديه الاسرة ، في سـياق عملية التنشـئة الاجتماعية باتجاه خلق شخصيات متوازنة ، سوية ذات قدرة على مواجهة الضغـوط الخارجية ، والتكيف للمتغيرات ، وادخال المنظومات الثقافية ، أي أن مـن الممكن أن نضع المعادلة الآتية :

أ ـ أسرة صلبة البناء ، ذات اداء فعّال للوظائف (بما فيها التنشئة الاجتماعية) تؤدي الى شخصيات فعالة ومرنة وسوية •

كذلك فان من الممكن أ ن نسأل :ما سمات التنشئة الاجتماعية المطلوبة ؟•

ب ـ ويمكن الاجابة عن ذلك بالقول : انها تلك التي تنقل الى الفرد قيماً وأعرافا تنسجم مع ثقافة المجتمع وتعزز ايمانه بوطنه ، وتحدد هويته الاجتماعية ، وتهيئه لأداء الادوار المطلوبة منهاجتماعيا، من دون أن تقع فيشرك التمييزالجنسي ، او في انقسامية الثقافات الفرعية ،وصراعاتها الاثنية ، مع تأكيد الطابع الوطني العام للشخصية•

وكما أشرنا فان المجتمع العراقي ، طوال عشر سنوات ، تميز بقدرة هائلة على المقاومة ومواجهة مصادر التدمير التي يمثلها الحصار الجائر والعدوان الاثيم • فالعراق مثلا لم يشهد مجاعة يأكل فيها القوي الضعيف ، كما أن مؤسساته الاجتماعية البنيوية ، بالرغم من ثقل العدوان ، سرعان ما استعادت عافيتها من خلال عملية الرد الحضاري المقابل ممثلة باعادة اعمار ما دمره الاشرار ، كذلك فان المواطن العراقي ، أظهر قدرة عالية على التكيف والابداع والمطاولة• فقد ابتكر العراقيون أساليب جديدة للعمل والانتاج بما في ذلك العمل المنزلي للاناث على نحو واسع ، فضلا عن اعادة الاعتبار لبعض الانشطة المنزلية مثلتهيئة الخبز والخياطة ، والحياكة والتطريز ، أو حضانة أطفال المحلة ، أو تحويل المنزل الى روضة •• الخ • لكن ذلك كله على عظمته ينبغي أن لايحجب عنا آثاراً سلبية ينبغي تشخيصها لكي نستطيع تجاوزها في المستقبل القريب •

١ ـ اثر تعاظم حجم الاسرة عى التنشئة الاجتماعية :

ليس لدينا أدلة احصائية حاسمة على أن حجم الاسرة الكبير يؤثر سلباً في شكل التنشئة الاجتماعية ومضمونه • غير ان هناك مؤشرات عديدة على أن حجم الاسرة الكبير يرتبط عادة بالفقر • فالأسر الفقيرة هي أسر كبيرة

الحجم ، وأن أغلب أفرادها تقل أعمارهم عن (١٥) سنة • وهذا يعنـي ان اهتمامات الأبوين تتوزع على عدد من الابناء يصعب ضبطهم وتوجيههم على النحو المطلوب • ان كثيراً من الآباء يحددون النسل انطلاقاً من مبـدأ ان قلة عدد الابناء يجعل التربية أكثر تأثيرا ونجاحا وليس من مبدأ اقتصـادي محــض •

وتظهر بعض الدراسات الميدانية لظواهر معينة كالتسول ، ان أسـر المتسولين هي في الغالب أسر كبيرة الحجم • إذ أن معظم أفراد العينة ينتمون الى اسر تتصف بكثرة عدد الأبناء ، حيث يبلغ عدد الابنـاء الكلي لأفـراد العينة (٥٠) نحو (٢٣٠٩) أفراد أي بمتوسط حسابي قـدره (٤ر٧) إبنـاً • إن كثرةعدد الابناء تعني انحسار القدرة على ضبط وتوجيه سلوكهم •

٢ ـ اثر ارتفاع معدل الاعالة في التنشئة الاجتماعية :

كلما ازداد عدد الافراد الذين تقع مسؤولية اعالتهم على فرد معـين ذي دخل محدود ، كلما ازداد احتمال انخفاض مايتوفر لهم من وسائل لاشباع الحاجات الأمر الذي قد يجعل الاسرة تدفع بعضا من أولئك الى العمل على الرغم من أن أعمارهم لاتسمح بذلك •

ان عمل الاطفال يرتبط ، كما أشار تقرير التنمية البشريـة لعام ١٩٩٩، بمؤشرات الناتج المحلي الاجمال ، وقيـاس التنمية البشرية ، وكان تقـرير للجامعة العربية قد أشار الى أن نسبة مساهمة الاطفال في قوة العمـل في العراق تقدر نحو ٣٧ر٢٪ عام ١٩٨٧ • وكان تقرير التنميـة البشـرية قد حدّد النسبة في المنطقة ككل بحدود ١٠٪ عام ١٩٩٩ ، بما يسمح بالقـول ان النسبة الآن في العراق تتراوح بين (١٥ ـ ٢٠) • وتشـير دراسـة عراقية الى أن كثيراً من الاطفال العراقيين يذهبون الى المدارس صباحـا من دون أن يتناولوا فطورهم اللازم لنموهم ، أو يتناولوا الخبز مع الشاي[١٩]•

---

١٩ ـ الاتحاد العام لنساء العراق ، اثر العقـوبات الاقتصاديـة في حـرمان الاسرة العراقية من فرص التقدم الاجتماعي (بغداد : عام ٢٠٠٠) ،ص١٠.

٣ ــ تدني الكثافة الروحية واثره في التنشئة الاجتماعية :

في مقابل الكثافة السكانية العددية هناك كثافةروحية ذات مضمون نفسي تحدد مدى قوة العلاقات الاجتماعية بين الناس في مكان معين . ويلاحظ ان هناك درجة عالية من التزاحم السكاني تعاني منه الاسرة العراقية[٢٠] ، غير أن انشغال معظم أفراد الاسرة بالعمل خارج المنزل ، بما في ذلك الاطفال والفتية ، أو الأبوان في الاقل ، يقلص دور الاسرة التربوي ومن أهميتها كمصدر لضبط السلوك ، مما يؤدي بدوره الى ضعف الشعور بالنحن والروح الجماعية . لقد أشار تقرير دولي الى الاطفال المنتشرين في الشوارع وهم يبيعون أشياء بسيطة وصغيرة عند الاشارات الضوئية .. ألخ . كما لاحظت° دراسة أخرى تدهور الحياة الاسرية على نحو جعل من الاطفال ضحايا للعنف ، وأضافت الدراسة ان ضغوط الحصار ، أدت الى تحطم أسر كثيرة ،وتشوهات في القيم الاجتماعية .

٤ ــ تغير الاهداف والاهتمامات واثره في التنشئة الاجتماعية :

أدت محدودية الدخل مقابل ارتفاع معدل التضخم وتراجع الخدمات التي كانت تقدمها الدولة (مجانية التعليم ــ دعم الغذاء والدواء...) الى تفاقم إحساس الاسرة بضغوط الحاجات الاساسية ، مما جعلها تغير ــ مضطرة ــ كثيراً من اهتماماتها ، وبالتالي من غاياتها ، فقد أصبح الحصول على الغذاء في مقدمة الاهتمامات . ويبدو ذلك في أن ٦٧٪ من المشكلات المعروضة على المنظمات الجماهيرية مثل اتحاد النساء العام لنساء العراق هي مشكلات اقتصادية .

وقد أظهرت نتائج دراسة لعينة عشوائية مؤلفة من (٧٥٠) امرأة ، تمثل ١ر٧٪ من النساء المعيلات لأسرهن في بغداد مدى ارتباط الفقر بالاعالة وأثره بالتالي في أولويات اهتمامات الاسرة . ان الملاحظات الميدانية اليوم تكشف حقيقة قد لايمكن تحديد مدى خطورتها احصائيا ، وهي أن

٢٠ ــ نفس المصدر السابق ، ص١٠.

نسبة الاطفال الذين يدفعون الى التسول أو الى بيع مواد بسيطة يقصد منها التغطية على التسول والتشرد ، وهي نسبة عالية ، كما ان سلوك هؤلاء لايقع خارج موافقة الاسرة وتأييدها . وبالتالي فإن اهتمام الاسرة بتعليم أطفالها أو تدريبهم على أنماط سلوكية مقبولة أخلاقيا لم يعد كما كان عليه .

٥ - تردي مستوى الارتياح النفسي والرضا عن العلاقات الاجتماعية واثره في التنشئة الاجتماعية :

ولذلك مصادر متعددة ، لعل أولها الاحوال الصحية المتردية ، حيث يشير تقرير لليونسيف بأن حالات مرض السل عند النساء ارتفعت نحو خمس مرات (من ٢٠٩٤ حالة عام ١٩٩٢ الى ١٠٠٣٠ حالة عام ١٩٩٦) . ويشير التقرير الى اشتداد العنف الأسري . اذ عندما يضعف دور الرجل التقليدي في توفير الدخل ، فان ذلك يدعوالى ازدياد العنف والاضطرابات المنزلية . فضلا عن ارتفاع معدل وفيات الحوامل ، والاطفال ، الرضع من هم دون سن الخامسة من العمر ، وازدياد نسب الولادات المشوهة والميتة ... ألخ [٢١] ، كل ذلك ينعكس على مضامين التنشئة الاجتماعية وأساليبها واجراءاتها ، إذ تأخذ طابع العنف والتوتر ، والابتعاد عن الاهداف المطلوبة اجتماعياً والمثمنة ثقافيا .

إذن ان تلك العوامل تنعكس كما قلنا آنفاً بالضرورة على نمط التنشئة ومضامينه وأساليبه..الخ ، كما انها بالتالي تحد من الدور المطلوب أو المتوقع للاسرة في اعداد أبنائها وتنشئتهم اجتماعياً ونفسياً .

ولعل أهم ملامح تلك الآثار تبدو في الغياب الطويل لسلطة الضبط المركزية في الاسرة ونعني بذلك : الأب أولا ، ثم الأم ثانياً . فضلا عن أن تغير الاهداف ، يجعل القبول بأنماط منحرفة في السلوك أمرا وارداً

---

٢١ - جمعية الاقتصاديين العراقيين ، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥ ، بغداد ، ص٢٢ .

ما دام يوفر دخلا اضافيا للاسرة• أي أن الغاية تصبح مبررا للوسيلة ، مع استمرار شيوع القيم المادية ، وانتشار فلسفة تبريرية للسلوك الانحرافي • من جانب آخر فإن الاهتمام المتعاظمبتوفير الدخل ، يقلل من الاهتمام ببعض جوانب الحياة الاخرى ، كالنظافة الشخصية والسلامة البيئية ، البيتية والمحلية الأوسع •

من جانب آخر فان جوهر التنشئة الاجتماعية يقوم على أساس قاعدة التقمص Identification لرموز الاسرة ،ومحاولة ادخال ما تمثله من قيم وتوجهات أخلاقية •

غير ان ظروفاً مثل ظروف العدوان والحصار قدتعزز رموزاً أخرى ، تمثل النجاح السريع والاثراء وقد يكون الفاحش والسهل ، مما يجعل الرموز الاسرية أقل تأثيراً ، يدعم ذلكالافلام ، والمواد الاعلامية غير الهادفة ، أو ذات المضمون الاخلاقي الواطىء • بل ان معايير النجاح ومؤشراته تصبح عرضة للتغيير ولذلك تبدو بعض المؤشرات مثل النجاح الدراسي ونيل الشهادة ، متدنية القيمة بالمقارنة مع النجاح (في السوق) •

فضلا عما تقدم فإن التنشئة الاسرية التي كانت تستهدف تكريس التكافل بين أفرادها وتعميق علاقة الابناء بالمجتمع الاكبر ، تصبح ذات مدلولات ذاتية أنانية ، فالفرد يصبح اكثر احتفالا بذاته ، وبالتالي يقل الحرص على سمعة الاسرة وتتراجع الرغبة في تضحية الفرد من أجل الجماعة •

والواقع ان ما أشرنا اليه ليس قابلا للتعميم على كل الأسر العراقية ، إلا ان مؤشراته ودلالاته الميدانية موجودة وظاهرة للعيان ، مما يجعل الموضوع المبحوث يزداد أهمية ويزداد خطورة فلابد من التعمق في دراسته وعدم اهماله •

الخـاتمة والتوصيـات :

اولا : الاسرة العراقية والتنشئة : المخاطر والآفاق :

ما زالت الاسرة العراقية متماسكة قوية ، ومع اننا لانستطيع الافتراض بأن مجرد رفع الحصار عن العراق سوف يعيد الامور الى نصابها ، فـان من المعقول الافتراض بأن بعض آثار الحصار سوف تستمر لفترة قد تكون طويلة نسبياً • إذ ليس سهلا حذف القيم والمعايير التي تبـرر السلوك الانانـي أو المنحرف ، وتعيد للعلاقات الأسرية عافيتها •

ان المخاطر الحالية تكمن في امكانية اتساع المؤثرات السلبيـة بشرياً وجغرافيا بحيث يزداد عدد الأسر المتأثرة بضغوط الحصار على النحو الذي يعوق المسار السليم للتنشئة الاجتماعية فيها •

فضلا عن احتمال تفاقم تلك المؤشرات مع استمرار الحصـار الجائر وهناك في الواقع أدلة عديدة على ذلك ومنها ، ازدياد عدد الأسر التي تعتاش على راتب الرعاية الاجتماعية، وتفاقم أعداد الاسر التي تراجـع صنـاديق التكافل الاجتماعي والاتحاد العام لنساء العراق للحصول على اعـانات مادية مما يعني ان أعباء الحصار تتعاظم على الاسرة الذي يعني في الوقت نفسـه تأثر وظائفها وازدياد المظاهر السلبية في حياتها وفي مشكـلات السلـوك المنحرف •

ان هذه الرؤية شبه المتشائمة تقابلها في الواقع اجراءات مهمة اتخذتهـا القيادة لمواجهة أعباء الحصار • ومنها كما أشرنا البطاقة التموينية ، وتيسـير الحصول على راتب الرعاية الاجتماعيـة ، وزيادات الاجـور والمرتبـات ، واستمرار الدولة في دعم بعض الخدمات الاساسية ومنها التعليم والصحـة ـ فما زالت أجورها رمزية وتكاد تكون مجانية قياسا لدول الجوار (غـير المحاصرة) • كما ان اجراءات تكافلية معينة تتميز بأهمية خاصة في هـذه المرحلة ومنها حفلات الزفاف الجماعي وقيام الأسر الموسرة برعايـة أبنـاء

الاسر الفقيرة، تعليمياً أو صحيا ، الى غير ذلك مما يجعل المجتمع العراقي يواصل حياته بالصبر والتدبير والتكافل والتضامن والتماسك الاجتماعي •

ثانيا : التوصيات :

١ ـ تعزيز كل الاجراءات والآليات المضادة للحصار بما في ذلك البطاقة التموينية ورواتب الرعاية الاجتماعية ، وتوحيد صناديق التكافل الاجتماعي ، والاستفادة من الاوقاف وصندوق الزكاة لدعم الاسرة العراقية •

٢ ـ هناك حاجة الى دراسات ميدانية لفحص واختبار بعض الفروض المهمة ومنها العلاقة بين حجم الاسرة ومدى تسرب أبنائها من الدراسة والرسوب والتخلف الدراسي ، أو مدى ممارستهم للسلوك المنحرف كالتسول والتشرد ، وما يترتب على هذا السلوك من جنوح وممارسات لا أخلاقية تتنافى وقيم المجتمع وعاداته وتراثه •

٣ ـ تكثيف الاعلام الاجتماعي الذي يشدد على أهمية دور الاسرة في اعداد الأبناء وتربيتهم وتعزيز الروابط الاسرية ، وأهمية الدور التنموي للاسرة بوصفه جهادا حقيقيا ضد الحصار والعدوان •

٤ ـ تعميق العلاقة بين الاسرة والمدرسة ، وهي علاقةتعرضت للانتكاس • ولم تعد مجالس الآباء والمعلمين سوى ممارسة شكلية ينبغي تفعيلها ، وفرض الرقابة على الاجراءات التي تقوم بها بعض المدارس والتي قد تجعل الاسرة قليلة الاهتمام بتعليم الابناء •

٥ ـ فرض رقابة اجتماعية صارمة على عمل الاطفال في الاماكن والبيئات التي تشكل خطرا على صحتهم وعلى مستقبلهم السلوكي •

٦ ـ تطبيق وصية السيد الرئيس القائد المنصور بالله (حفظه الله ورعاه) ، بإيجاد موقف اجتماعي موحد وصارم ضد كل أشكال الانحراف بما يؤمن تعزيز القيم الايجابية ومحاربة الممارسات والمبررات غير السوية في حياتنا الاجتماعية •

٧ ـ من المهم جدا أن نأخذ بنظر الاعتبار انوعي الابوين هو القاعدة الاساسية التي تحقق أفضل صورة للتعامل بينها وبين أبنائهما • ومع أننا كغيرنا نركز على وسائل الاعلام وهو دور حيوي حقا • ولكن لابد من البحث عن وسائل اخرى غير تقليدية تستطيع أن تقوم بها المؤسسات الجماهيرية كالاتحاد العام لنساء العراق والنقابات •• ألخ ، بل ان من المفيد أن نوجد حوافز معينة للاسر التي تؤدي واجباتها على نحو يظهر مستوى عاليا من الوعي والتفهم• كأن تكون هناك جائزة تنظمها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية مثلا أو غيرها ، على وفق شروط وضوابط معينة ، للاسرة المثالية التي تخلو من السلوك المنحرف ، ويبدو ذات اداء كفوء لواجباتها •

٨ ـ لابد من اعادة النظر بعلاقة الاسرة والمدرسة ، ان الشكل التقليدي لمجالس الآباء والمعلمين في المدارس لم يعد مناسبا تماما ، اذ ان هناك حاجة ماسة الى نوع من التكامل البنّاء في أنشطة المدرسة ، مع وظيفة الاسرة • فعلى سبيل المثال،تظهرفي الصحف بين آونة وأخرى احتجاجات من الآباء على قيام المدرسين والمعلمين بضرب التلاميذ ، كما تظهر في الصحف المحلية شكاوى من الهيئات التدريسية ضد الآباء والامهات • ان كل طرف يبدو ، مع ان دور المدرس والاب ، قد يوجدان معاً لدى الفرد الواحد ، وكأنه في معزل عن الآخر • فماذا لو أتيح لبعض الآباء والامهات من ذوي المستويات الدراسية العالية (ثانوية فأكثر) أن يقوموا باداء بعض الواجبات داخل المدرسة ؟ أو أن تقوم المدرسة أو المعلمة أو المدرس أو المعلم بزيارات ميدانية لأسر التلاميذ في أوقات معينة ، عند حدوث بعض الاشكالات للتلاميذ أو الطلبة لمد جسور التعاون بينهم وبين الآباء على سبيل المثال •

٩ ـ لقد أصبحت مكاتب التوفيق الأسري احدى الحلول المطروحة في عالمنا المعاصر لمعالجة مشكلات الاسرة الناجمة عن خلافات الزوجين • وفي

العراق يبدو دور الباحث الاجتماعي مهماً في محاكم الاحوال الشخصية، لكن هذا الدور على أهميته يظل شكليا باعتراف كثير من الناس الذين مروا بهذه التجارب • والمطلوب أن ينظم دور الباحثة بحيث يتحول اداريا الى مكتب للتوفيق الاسري وفنيا الى عملية بحثية دقيقة لظروف الزوجين على أمل تقليص احتمالات الانفصال والطلاق نظراً لخطورته على الاسرة ككل وعلى عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة خاصة •

١٠ ـ ان كثيراً من جوانب العلاقة بين الاسرة والمجتمع تبدو مجهولة في مجتمعنا ، ولاسيما فيما يتعلق بغموض الادوار ، وصراع الاجيال ، ومدى تناقض التربية الاسرية مع متطلبات الحياة الاجتماعية ، ولاتوجد في العراق اليوم جهة للبحث العلمي تقوم بمثل هذا الجهد وتوفر بيانات موضوعية ، عن ذلك ولا سيما بعد الغاء المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية التابع لوزارة العمل سابقا •

١١ ـ ان مركز البحوث والدراسات التابع لمديرية الشرطة العامة يستطيع أن يمدنا بمعلومات مفيدة عن دوافع ارتكاب الشباب والاحداث للجريمة وعلاقة ذلك بالاسرة ، ونعتقد انأهمية هذا المركز ستتعاظم لو تعاون بصيغة أوسع مع الاقسام العلمية بالجامعات العراقية ذات العلاقة •

١٢ ـ تقع على عاتق الاتحاد الوطني لطلبة العراق ، واتحاد شباب العراق مسؤولية كبرى في هذاالصدد• ونقترح هنا أن تكون في هذين الاتحادين وحدتان للبحث الاجتماعي تعني بسلوك الشباب ومشكلاتهم على الصعيدين السلوكي والاجتماعي مع الاهتمام بنوع من التكامل والتعاون مع أسرهم بهدف ارشادهم والأخذ بأيديهم •

١٣ ـ لقـد أكد السيـد الـرئيس (حفظـه الله ورعـاه) ، ضـرورة تكريس العلاقات الديمقراطية في اطار اتحاد الشباب •• وهذه الضرورة ينبغي أن تنعكس على العلاقات الأسرية أيضاً ، وعلى المدرسـة • ان الضغط البدني والنفسي والكبت والاحساس بالخوف والخجل لاتخلق أو تنشيء شخصية ايجابية مبدعة ، وعلى وسائل الاعلام أن تركز على هذه المسألة فتجعل من الاسرة بيئة ذات علاقاتديمقراطيـة تعتمد على التفاهم والتفهم في التعامل مع الابناء •

١٤ ـ من المهم جدا ايجاد الهوايات المفيدة في حياة الاسرة • فقد لاحـظ علماء النفس ان انعدام هذه الهوايات يجعل الكائـن البشري عـرضة لمختلف أنواع الانحرافات السلوكية والشخصية •

١٥ـ ان بعض مشكلات المجتمع العامة تنعكس على الحياة الأسرية بلا شك• ومن المهم متابعة تلك المشكلات وايجاد الرعاية الملائمة لها لحلها • متل الفقر ، واضطرار الأب أو الأم للغياب عن الاسرة بسبب ظروف العمل، وعدم توفر ظروف السكن الملائمة وغيرها تنطوي على آثار سلبية على البيئـة الاسرية •

الأسـرة والتنشئـة الاجتماعيه
ـ البعـد النفسـي ـ

الدكتور طـه النعمـة
عضو دائرة العلوم الانسانية

الملخـص

تؤدي الأسرة دوراً حيوياً في تنشئة أبنائها اجتماعيا ، خاصـة وأنهـا تؤديه في السنوات المبكرة الحاسمة من حياة الفرد ، وفي وقت يستكمـل الدماغ نماءه ويكون أنماطه السلوكية واستجاباته الأساسية •

وللأسرة ، في هذا السياق ، مهمتان رئيستان :

تتلخص الأولى في تنشئة فرد مستقر ، مطمئن وراسخ القدمين عاطفياً • بينما تتمثل الثانية في تلبية الاحتياجات الاتصالية والمعلوماتية التي تنمـي المهارات التكيفية الاجتماعية الضرورية التي تهيىء الفرد لاتخـاذ القـرارات الخاصة بحياته المستقبلية • ان فترة الطفولة ، التي تـم ايضـاح أهميتها ، تستدعي توفير مؤسسات واختصاصيين للعمل في مجالات الارشاد النفسـي الأسري ، علم نفس الطفل والطب النفسي للطفولة •

تمهيـد :

عند تناول موضوع البعد النفسي للأسرة والتنشئة الاجتماعيـة فـان ذلك ، في الأغلب يعني التحدث عن سنوات العمر الاولـى ، عندما تـؤدي الأسرة كامل دورها ايجابا أو سلبا في تنشيئة أبنائها • وليس مـن المبـالغة الحديث عن أهمية السنوات الأولى من عمر الانسان التي يقتضيها في كنف أسرته ، فقد قيل الكثير حول تلك الاهمية ، حتى اننا نجد أنها من الامـور المتفق عليها أكان في التراث العلمي أو في الموروث الشعبي •

مع ذلك فأهمية السنوات الاولى التي غالبا ما تشكل الخطوط الاساسية لملامح شخصيتنا الراشدة يمكن أن تكون أكثر وضوحا إذ تأملنا ما يأتي :

ما تتلقاه من الآخرين المهمين وما نتبادله معهم خلال سنوات حياتنا المبكرة يخترقنا ويتغلغل داخلنا من دون أن نملك له رفضاً أو قبولا • أو • بحسب المفاهيم النفسية الشائعة ، نحن نستدمج أو نجتاف أسرنا : كأنساق وعمليات ، كعناصر مفردة ومجموعات ، كأشخاص ومفاهيم ، كقيم ورموز، وكتحيزات وعادات ، وكأنظمة وتقاليد • والاسرة تستدمج أيضا باعتبارها متصلا مكانيا وزمانياً ، فما يستدمج ليس العلاقات المكانية فقط وانما أيضا التواصل والتوالي الزماني كذلك •

هذا الاستدماج التجريدي المستقرى يمكن أن يكتسب مفهوما عيانياً مادياً أيضا ، وذلك عندما نأخذ بنظر الاعتبار أن الانسان يولد بدماغ يتألف من حوالي (١٠٠) بليون عصبون (نيورون) أو خلية عصبية وهي الوحدة الوظيفية العصبية • وكل واحد منها عبارة عن معالج دقيق إلا ان هذه المعالجات الهائلة العدد ليس بمقدورها تأدية الوظائف المناطة بها ما لم يتم توصيل بعضها ببعض ، وفي المتوسط هناك ألف وصلة لكل عصبون • بعض الوصلات جاهزة منذ البدايات الأولى • ولكن الجزء الاكبر من شبكة الوصلات هذه يتم انشاؤها في الفترة الواقعة بين ما يسمى بالولادة الطبيعية والولادة الاجتماعية ، أي في الفترة المحصورة بين الانفصال عن رحم الأم والانفصال عن رحم البيت عند بلوغ سن المدرسة ، وهي الفترة التي يمضيها الفرد أساساً في كنف الاسرة •

هذه الوصلات إذن تنمو وتتشابك تحت التأثير المباشر للأسرة ، مما يجعل الاسرة ، بكل ابعادها التي سبق ذكرها ، حاضرة في الشبكة الاتصالية للدماغ • وهذا يعني ، ببساطة ، ان الاسرة لاتسهم فقط في البناء النفسي التجريدي للفرد وانما أيضا ، جزئياً في الاقل ، في تشكيل دماغه عضوياً وتقرير الكيفية التي سيعمل بموجبها مستقبلا •

من وجهة نظر نفسية ، نعتقد أن للأسرة مهمة أساسية تتلخص بما يأتي:
تنشئة فرد مستقر مطمئن وراسخ القدمين عاطفيا ، مـن خلال القيـام بدور الوسط الاتصالي المناسب ، وتزويده بالمعلومات والمهارات السلوكيـة المساعدة على التكيف الاجتماعي • فاذا كانت المدرسة تعلم الفرد كيف يفكر فان الاسرة تعلمه ، حسب اعتقادي ، كيف يشعر !

ليس بمقدورنا التحدث عن قواعد او توصيات نهائية في كيفية انجـاز هذه المهمة ، إذ تصعب الاحاطة بكل الخيارات والمسارات الممكنة ، ولكـن بمقدورنا تأشير بعضها في ضوء التجربة العيادية •

الطفل البشري ومنذ أيامه الاولى مهيء جينياً لتلقي الاشارات والايماءات غير اللفظية والاستجابة لها لاسيما تلك الصادرة عن الأم • فالاتصال البدني والبصري والصوتي والايمائي مع الأم ، أو من يقوم مقامهـا ، من خـلال الضمّة والتربية والهدهدة والمناغاة يؤدي دورا حاسما في النمو العاطفـي للطفل ، وهناك الكثير من الشواهد على ان الاتصال البدني الحميـم بـين الرضيع وأمه ليس حيويا للنمو العاطفي وحسب بل هو كذلك أيضا للنمـو الفيزلوجي والصحة البدنية عموما •

هذه العلاقية الاتصالية بكل ما تمنحه من شبع مادي ومعنوي ، فضلا عن قدرة الاسرة على منح الطفل حبا غير مشروط ، تشكل الخطوات الاولى والرئيسة في طريق طويل تقطعها الاسرة لكي تكسب الفرد الشعور المناسب بقيمته الشخصية ، وهي احدى دعامات الطمأنينة والامن الداخليـين ، أو أن تهدد ذلك الشعور ، وفي هذه الحالة فان الفرد اما أن ينشـأ اكتئابيـا انسحابيا هروبيا لايرى في الآخرين إلا كذابين ومستغلين ومعذبـين ، ممـا يحول دونه والقيام بدوره الاجتماعي المتاح ، أو أن يلجـأ الـى أساليب تعويضية ملتوية وربما فتاكة للحصول على تلك القيمة سعيـا وراء الأمـان الداخلي المفقود ، كمحاولته ، على سبيل المثال ، اكتناز المال أو السلطـة أو

الاثنين بأساليب ليست بالضرورة مشروعةأو أخلاقيـة وربما أحيانا كذلك محاولة اكتناز العلم من دون القدرة على الانتفاع به •

بما أن الافراد الراشدين في الأسرة ، ولاسيما الوالدين ، هم الممثلون الاوائل للسلطة الاجتماعية في حياة الابناء ، فان سلوكهم ازاء صفتهم تلـك ستكون محكاً مهما للكيفية التي سيتشكل عليهاموقف الابنـاء الاسـاسي تجاه ممثلي السلطة ورموزها في حياتهم اللاحقة • فعندما ينشأ الابناء على الثقة بمصداقية السلطة الوالدية ، على سبيل المثال ، فان موقفهم من السلطات الاجتماعية اللاحقة سيكون مختلفا عما عليه لو نشأوا على علاقـة مفعمـة بالشكوك في مصداقية السلطة الوالدية •

مسألة أخرى ، غالبا ما لا تعطى ما تستحقه من انتباه ، يمكن ايضاحها كالآتي : نحن ، عموما ، كلما تعلقنا بشخص وكبر احتياجنا له ، كان أقدر على اثارة مشاعر الاحباط والغيظ في نفوسنا ومن ثم في اثارة دوافعنا العدوانية• لذا فان مشاعرنا تجاه الاشخاص المهمين ــ وتحديداً أفراد الاسرة الآخرين ــ لاتأخذ نمطاً أو شكلا أحاديا • فهي مشاعر مزدوجة تتأرجح بـين الحميميـة والجفاء ، الرضى والغيظ ، المودة والضغينة ، اذ لا وجـود لحب مطلـق أو عدوانية مطلقة فأحدهمـا يغلف الاخر ويقود اليه •

لذا يمكن القول ان الاسرة تقدم خدمة لاتقدر بثمن الى المجتمـع إن هي استطاعت تكييف نفسها لهذه الثنائية والتعايش معها ، وتدريب أبنائهـا على التنفيس عن مشاعر الغيظ والاحباط بنفس القدرالذي تسمح فيه لمظاهر الاعجاب والمودة بالتعبير عن نفسها • ففهم هذه الثنائية والتعامل معها بكفاءة يساهم في منع نمو مشاعر الذنب وما ينجم عنها من مضاعفات ، كما يمكـن أن يشكل مصدرا ضد التفريغ العشوائي والتخريبي للشحنـات العـدوانية باتجاه الرموز الوالدية والأخوية •

من الناحية الاخرى فالاسرة معين هـام لتلبية الاحتياجات الاتصـالية والمعلوماتية ، وهي ليست احتياجات نفسية واجتماعية فقط وانمـا أيضـا

احتياجات إحيائية • لان هناك جوعا بايولوجيا حقيقيا للاتصال والمعلـومة • ولأن الدماغ ، كما قدمنا ، بحاجة لهما كي يكتمل نموا وتخصصا •

وباعتبارها ممثلا للهيئة الاجتماعية فان الاسرة هي الناقل الاول لقيـم الهيئة الاجتماعية : كالصدق والامانة والانصاف والعدل والتعاون وخلافها.

كذلك فهي تؤسس وتنمي المهارات الضرورية والانمـاط السلوكيـة والمراسيم الواجب اتباعها في التعامل والتعاطي الاجتماعيين • حيث ان هذه المهارات والخبرات ستساهم في تحول الكائن البشري من طفل بدائي فردي أناني النزعة الى راشد اجتماعي متقبل لعضويته ودوره الاجتماعيين • فنحن، في واقع الحال ، ندفع من حساب سيطرتنا على دوافعنا الانانيـة البدائيـة رسوم اشتراكنا في الهيئة الاجتماعية •

من المفيد للمجتمع أن تقنع الاسرة أبناءها بأنه لايوجد شخص معصوم عن الخطأ ، ولايوجد خطأ لايمكن الصفح عنـه • وأن للحيـاة مسـاوىء محتومة يتعين قبول بعضها بالتكيف لها ، والمناورة على بعضها الآخـر بغيـة تقليل الاضرار الى حدها الادنى •

وأن كل قرار يحمل في طياته قدرا محسوبا من المجازفة ، والذي دون قبوله يتعذر الوصول الى أي قرار • والاسرة تقدم خدمة اكيدة للمجتمـع عندما تتيح لأبنائها الاطلاع على عملية صنع القرار في البيت والمشاركـة فيه كل ما أمكن ذلك • وأن يكونوا على بيّنة بما سيترتب عليه من نتائـج ، بذا تتيح الاسرة الفرصة لأبنائها كي ينمّوا قدراتهم على اتخـاذ القـرارات الخاصة بحياتهم •

بالرغم مما تقدم ، فاننا لانعطي الوضع النفسي لمرحلـة الطفولة القيمة المكافئة لأهميتها • وقد تكون الخطوة الاولى باتجاه تصحيح هذا الـوضع هو توفير متخصصين في مجال الارشاد النفسي الأسري ، علم نفس الطفـل والطب النفسي للطفولة ، حيث لاتتوفر مثل هذه الاختصاصات فـي القطـر في الوقت الحاضر •

المصادر :

— Atkinson, R.L., Atkinson, R.C. & Hilgard, E.R. (1983) Introduction to Psycho!ogy, NY, Harcout Brace Jovanovich, pub.

— Baron, R. A. & Byrne, D. (1984): Social Psychology, fourth edition, Boston, Allyn and Bacon, Inc.

— Hebb, D.O. & Donderi, D. C. (1994): Textbook of Psychology. revised Dubuque. lowa Kendall / Hunt Publieation Comp.

— Pine, F. & Bergman, A. (1975). The Psychological Birth of The Human Infant. NY: Basic Books.

الأسـرة والتنشئـة الاجتماعيـة
البعـد الانثروبـولوجي

الدكتور خالد الجابري
قسم الاجتماع ـ كلية الاداب
جامعة بغـداد

الملخـص :

يتناول هذا البحث الاسرة والتنشئة الاجتماعية في منظور أنثروبولوجي (علم الانسان) فهو يتعرض الى الاسرة كوحدة اجتماعية أساسيـة نمـت خلال التطورات التاريخية لتكون أحد أنساق « البناء الاجتماعي » على وفق أسس الانتروبولوجيا الاجتماعية ونظريتها « البنائية ـ الوظيفية » فللأسرة وظائف حيوية أساسية ، من جملتها الانجاب وهي أداة المجتمع لتمرير ثقافته الى الاجيال وهي واسطة التنشئة الاجتماعية .

مقـدمـــة

سيكون تعاملي مع الموضوع من خلال خمسة مداخل هي :

أولا : دور المجتمع في تكوين الاسرة وتشكيل نمط التنشئة الأسرية .

ثانياً : ان هناك نوعا من «التواصل» ما بين التنشئة والتربيـة ، وحسـب تصوري ان الفصل بينما يفضي الى حالة مـن الخطـأ في تشخيص الحقائق وتقدير النتائج وتحديد المعالجات .

ثالثاً : عمليات التنشئة والضبط الاجتماعي ودورها في تكوين الشخصيـة القوميـــة National Charucter

رابعاً : مصادر التنشئة في المجتمع .

خامساً : التغير الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية .

وسوف أعالج هذه المداخل واحداً بعد الآخر .

اولا : دور المجتمع في تكوين الاسرة وتشكيل نمط التنشئة الاسرية :

ان المنظور الانثروبولوجي للاسرة هو منظور بنيوي وظيفي ويعني الاتجاه البنيوي الوظيفي ان المجتمع هو بناء ووظائف ويجب دراسته دراسة كلية[1] ، وان الاسرة ما هي الا استجابة لحاجة المجتمع ولها وظائف اجتماعية ولقد أشار العالم الانثروبولوجي مالينوفسكي الى ان المؤسسات الاجتماعية استجابات للحاجات الاساسية للانسان .

اننا جميعاً نعرف أن الاسرة هي أداة المجتمع في التنشئة الاجتماعية، وان التنشئة الأسرية هي البوابة التي ينفذ منها الفرد الى المجتمع الاوسع الذي يمارس فيه تكيفه ويواجه فيه متطلبات الحياة الاجتماعية .

ومما لايخفى ان المجتمع هو الذي كون نظام الزواج والاسرة فوضع نظاماً شرعيا معترفا به لتحقيق الزواج وقيام الأسرة لتكون مؤسسة اجتماعية تتولى وظائف كلفها بها المجتمع ومن بين هذه الوظائف وظيفة تنشئة أبناء المجتمع تنشئة اجتماعية ، وان المجتمع يقولب الاسرة بقالبه على وفق ثقافته بما فيها من دين وقيم وأعراف وقواعد للسلوك والتعامل ، وهو الذي يحدد النمط العام للتنشئة . ولو تفحصنا عملية التنشئة لوجدنا أن احدى مهماتها الرئيسة هي نقل ثقافة المجتمع وتراثه الاجتماعي الى الأبناء ، كما أن الاسرة هي احدى الجماعات الاولية التي صفها « جاراس كولي » بالتفاعل المباشر والعلاقات الصميمية والتعاطف وهي أولى الجماعات التي يلتقي بها الفرد في الحياة . ان الاطفال انما يتقبلون التوجيهات المتعلقة بالتنشئة لانهم يجدونها صادرة عن الاسرة التي توليهم الحب والرعاية لذا يتقبلون التعليم والتدريب والنصيحة والتوجيه لثقتهم العالية بالاسرة التي تحميهم وترعاهم ومن هنا يأتي نجاح الاسرة كمؤسسة اجتماعية في القيام بوظائفها في مجال التنشئة الاجتماعية .

1. Brown, Radcliffe - Structure and Function in Primitive Society, London, 1952. p12.

ثانيا : التواصل ما بين التنشئة في الاسرة والتربية في المجتمع الاوسع :

الواقع ان الفرد خلال تنشئته يتعلم في ثلاث مدارس ، فالمدرسة الأولى هي الاسرة والمدرسة الثانية هي المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية حتى الجامعة ويتلقىفيها الطالب أنواعاً من التنشئة والتربية الاجتماعية والمدرسة الثالثة هي المجتمع الأوسع الذي يتضمن المحلة والشارع والمؤسسات المختلفة •

يرى بعضهم أن التنشئة الاجتماعية تتم في حدود الاسرة في حين أن التربية تتم في المؤسسات الاخرى كالمدرسة وغيرها والمجتمع الاوسع ، ولكن الحديث عن التربية هو الحديث عن التنشئة فالمدرسة تهتم بكثير من القضايا التي تهتم بها الاسرة كالدين والاخلاق وقواعد السلوك الاجتماعي والنظام والنظافة خصوصا وان المدرسة وبعض المؤسسات الاخرى قد أخذت بعض وظائف الاسرة كالتعليم والتربية الدينية والاخلاقية والتربية الصحية ، وكذلك فان المؤسسات الصحيةقد أخذت على عاتقها الاهتمام بصحة الاطفال •

وربما نستطيع القول ان هذا التقسيم (تنشئة / وتربية) انما يخدم التوجه لتصنيف المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة في المجتمع فمنها الاسرة ومنها المدرسة وغيرها •

ان القيم وقواعد السلوك موجودة كقوالب نموذجية مثالية وتجريدية في أذهان الناس الى درجة معينة ولكن تطبيقها في السلوك الواقعي لايرتفع الى مستوى النموذجالمثالي[٢] ، ولذا فان بعض المفكرين في الوقت الحاضر يرون أن السلوك الواقعي للفرد هو ما يتعلمه من الناس في المجتمع الأوسع، في الشارع • ومن خلال أساليب التعامل اليومية ومن خلال الامثلة والحكم•

2. Williams, Thomas, Psychological Anthropology, Mouton Publisher, Paris, 1957, p6.

إذن فان التنشئة الاجتماعية للافراد ليست محدودة بحدود الاسرة ، وما يسمى بـ « التنشئة اللاحقة » من المجتمع الاوسع وتستمر مع الفرد في مختلف مراحل العمر •

إن البدائيين يهتمون بالمراحل العمرية وكل مرحلة لها مهمتها الاجتماعية ولايجتاز الانسان احدى المراحل إلا بصعوبة بالغة كأن يقف في الشمس لساعات أو يذهب الى الغابة لثلاثة أيام يدبر فيها وجوده وطعامه أو يجرح وجهه • وهناك مرحلة الشباب الذي يكونون المحاربين ومرحلة الكهونة، ومرحلة كبار السن الذين يكون منهم أعضاء المحكمة القضائيـة ، او الحكام الاداريـون •

فما دام ما يهمنا تكوين التوافق النموذج من خلال التنشئة وبما أن التنشئة هي حصيلة التواصل ما بين التنشئة في الاسرة والتنشئة في المجتمع الأوسع في المراحل اللاحقة فعلينا أن نهتم بدراسة التنشئة اللاحقة وتأثير مصادرها العامة في المجتمع وأثر المؤسسات الاجتماعية في عملية التنشئة •

ثالثا : عملية التنشئة والضبط الاجتماعي ودورها في تكوين الشخصية القومية:

لايخفى أننا عندما نقول الشخصية القومية فليس المقصود هو المعنى السياسي «أو القومية» وانما المقصود الشعب أو الأمة ، أو السمات الثقافية للشعب والامة وسمات الشخصيةفي ذلك الشعب التي هي انعكاس لشخصيته•

ولقد ظهر علماء وظهرت دراسات في هذا المجال ومن العلماء العالمة الأمريكية الانثروبولوجية (روث بندكت) والعالمة الامريكية الانثرويولوجية (ماركريت ميد) و (كاردنر) و (سابير) وغيرهم •

ان روث بندكت كتبت كتابها Patterns of culture (أنماط الثقافة) عن قبائل من الهنود الحمر وقسّمت هذه القبائل الى قسمين وهما النمط الهادىء وسمته النمط الابولوني على اسم الاله اليوناني «أبولو» اله الشعر والموسيقى والجمال (أي الهدوء والتوازن) والنمط «الدايونيزي»

على اسم الاله دايونير اله الخمر والعربدة والعنف ، وفي النمط الاول الهادىء نجد أن الشخصية هادئة ومتوازنة تمثل المجتمع ، وفي النمط الثاني نجد أن الشخصية عنيفة ومشدودة الى اتجاهات متطرفة ، ولذلك فهي ممزقة وتظهر فيها الامراض النفسية[٣] . فالشخصية صورة للمجتمع وهكذا نحن نقول الشخصية اليابانية أو الالمانية أو البدوية أو الانكليزية وهكذا اهتمت الدول بشكل متزايد الآن بدراسة شخصيات لمعرفة طبيعة الضعف والقوة والاستفادة منها في مجال الحروب والحرب النفسية والمفاوضات والتجارة .

ان هذا مجرد تعريف لمعنى الشخصية القومية التي اهتمت بها الانثروبولوجيا . والمهم فيه ان التنشئة الاجتماعية في الاسرة والضبط الاجتماعي في الأسرة والضبط الاجتماعي في المجتمع الأوسع يعملان على تنميط الشخصية القومية على وفق قواعد المجتمع فاذا ما كانت التنشئة الاسرية والضبط فيها يعملان بصورة عملية واذا ما كانت التنشئة والضبط الاجتماعي في المجتمع الأوسع يعملان بصورة دقيقة عند ذلك تتكون الشخصية القومية التي هي ناتج التربية والضبط والقواعد والقيم التي هي القاسم المشترك بين أبناء الأمة وبما اننا نريد شخصية قومية تمثل قيم مجتمعنا وقواه فعلينا أن ننمط هذه الشخصية من خلال التنشئة الناجحة والضبط الناجح .

وهنا في هذاالمجال تظهر أهمية نظرية (تالكوت بارسوتس) العالم الاجتماعي الامريكي في التوقعات المتبادلة ونظرية التبادل الاجتماعي القائمة على المنفعة ، فعندما يتعود الافراد على الاهتمام بالتوقعات المتبادلة من خلال عملية الضبط الاجتماعي فانهم سيسلكون السلوك المطلوب الذي يتوقعه

---

3. Benedict. Ruth Patterns of Culture, Routledge and Kegan Paul Ltd, London, 1963, p125.

الآخرون • وعندها يتعلمون ان هناك مواقف متبادلة تحقق المنفعة ولكنها ترتكز على الحقوق والواجبات فانهم يعملون على وفق ذلك(٤) •

فيجب علينا أن نحقق التنشئة السليمة والضبط السليم في الاسرة والمجتمع وبما يتواءم مع هذه الأسس ويفضي الى حياة اجتماعية سليمة •

رابعا : مصادر التنشئة في المجتمع :

ربما يكون من الممكن أن نقسم مصادر التنشئة في المجتمع الى قسمين:

الاول / يضم الدين والتراث والقيم والأعراف •

والثاني / يضم المؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة بالتنشئة الاجتماعية •

وبالنسبة للقسم الاول ، فالدين مصدر أساسي ومهم في مجال التنشئة الاجتماعية وذلك بما يحتويه من قيم روحية وخلقية وانسانية تتمثل في طاعة الله وطاعة الوالدين والتمسك بالاخلاق الحميدة والفضيلة والصدق والامانة وعدم الاعتداء والابتعاد عن الرذيلة بجميع أنواعها • ان معاني الثواب والعقاب الواردة في القرآن الكريم هي من أسس الضبط الاجتماعي • وان توجيهات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة تكوّن منظومة قيمية تغطي حياة الاسرة والمجتمع وتحث الافراد على السلوك القويم فالأسرة تعلم أبناءها ما يأمر به اللهوما جاء به القرآن والأحاديث النبوية فانهم ينشأون على دين مجتمعهم • وكذلك تتولى المدارس تعليم الدين وتوضيحه للطلبة •

والجانب الآخر هو التراث الذي نستقي منه القيم السامية والاعتزاز بالأمة والثقة الناتجة عن الإرث الحضاري العظيم ومن الجانب الآخر فأن القيم والأعراف التي يلزمنا المجتمع بالتمسك بها والعمل بموجبها هي من مصادر التنشئة التي الاسرة وهي من مصادر التنشئة اللاحقة •

---

4. Parsons, Talcott, Te Social system, The Free Press, Illinois. 1952. p211.

أما القسم الثاني يتناول المؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة بالتنشئة وهي :

١ ـ الاسرة :

هي المؤسسة الاولى ذات الشأن الكبير في مجال التنشئة الاجتماعية، ان المجتمع يزود هذه الاسرة بما يريده من قواعد السلوك والقيم والأعراف ويحملها المسؤولية في تنشئة ابنائها على وفق قواعد[٥] ، كما أن الاسرة تصبح الوسيط ما بين الفرد والمجتمع فهي تضم الفرد الى المجتمع من خلال تعريفه على الاقارب وتعليمه السلوك السليم مع الجيران والمجتمع وتدخله المدرسة وتنظم معاملاته الرسمية في الدوائر المختلفة • ان الاسرة لاتستطيع القيام بهذه المهمة الكبرى في التنشئة الا اذا كانت بوضع سليم ولذا فان من الضروري أن تقوم الدولة بدعمها مادياً وتوعيتها وتوفير السكن لها : ان عدم وجود السكن الملائم يؤدي الى الجنوح والامراض النفسية والبدنية ويؤثر في عملية التعلم ويعوقها لاننا لا نريد اسرة القشر الفارغ التي تصنع الجنوح والاجرام والأسرة تنتج أعداء المجتمع ، أو الاسرة التي تؤدي الى اخفاق العملية التربوية في المدارس • كما ان السكن غير الملائم يؤدي الى الاحباط والضغوط النفسية التي تؤدي الى العدوان كما هو معروف لدى التربويين وعلماء النفس والجريمة •

٢ ـ المؤسسة السياسية :

هي مصدر من مصادر التنشئة فالدولة تؤثر في عملية التنشئة من خلال عقيدتها وقوانينها وتوجيهاتها للمؤسسات التربويةلوضع مناهجها وأسس عملها بما يتلاءم مع ثقافة المجتمع وبما يتواءم مع عقيدة الدولة وكذلك فانها توجه اعلامها ليخدم ثقافة المجتمع ودينه وقيمه

5. La Piere R. Theory of Social Contorol. NewYork. 1954, p167.

ويخدم عقيدتها وبذلك فهي مصدر أساسي من مصادر التنشئة وتستطيع الدولة الارتفاع بمستوى التنشئة الاجتماعية من خلال توعيتها للاسرة بخصوص أساليب التنشئة السليمة وتوجيه المؤسسة التربوية لوضع المناهج السليمة وأسس التعليم السليم وبما يخدم ثقافة المجتمع وأهدافه وأن تقوم الدولة بدعم الأسر والمؤسسة التربوية وتوجيه الاعلام الوجهة السليمة لخدمة التنشئة(٦) .

٣ ـ المؤسسة التربوية :

تقوم هذه المؤسسة بما لديها من مدارس في المراحل المختلفة بتربية الطلبة وتعليمهم أسس النظام السليم ، والدين والوطنية والقيم الاجتماعية ، لذا يجب أن تكون فلسفتها ومناهجها سليمة وأساليب تدريبها سليمة هذا من الناحية الذاتية أما من ناحية الشروط الموضوعية فيجب أن تتوفر للمؤسسة التربوية الأجواء السليمة من أبنية ووسائل إيضاح وكتب ومدرسين ناجحين وان تُدعم مادياً إذ ان عدم توفر الشروط الذاتية والموضوعية السليمة يؤدي الى اخفاق المؤسسة التربوية في القيام بواجبها .

٤ ـ المؤسسة الدينية :

تتكون من الفكر الديني ومن المؤسسات التطبيقية كالجامع ، ان المؤسسات التطبيقية يجب أن تأخذ دورها في عملية التنشئة اذ أن من الممكن أن تلقى في الجامع المحاضرات التربوية وأن تعقد فيه الندوات ليتدارس الآباء حالة التربية وأن من الممكن أن يطبق رجل الدين المسؤول عن الجامع وظيفة أخرى الى مهماته التقليدية فالخطيب مازال يردد الخطبة الواحدة منذ ألف سنة وان بامكانه أن يضيف بعداً آخر الى خطبته وهو البعد الاجتماعي والتربوي .

6. La, Piere, Ibd, p193.

٥ ـ المؤسسة الاعلامية :

ان هذه المؤسسةخطيرة وهي تدخل كل بيت وتؤثر في كل فرد في المجتمع وفي مراحل العمر المختلفة فاذا كانت أساليبها غير سليمة فانها ستنزل بالتنشئة الأسرية والمدرسية ضرراً بالغا ٠لذا فان من الضروري أن تعمل هذه المؤسسة على وفق أسس سليمة وهادفة لمساندة عمليات التنشئة الأسرية والمدرسية وترسيخ القيم العليا وتوعية الأسرة ٠

خامسا ـ التغير الاجتماعي والتنشئة :

يتناول بعضهم التنشئة والتربية وكأن شيئا لم يكن وكأن المجتمع هو في حالة ثباتية راكدة في حين ان هناك في الواقع تغيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية وتقنية ، فنحن في عصر الحاسوب والليزر ومايسميه الكاتب (الفن توفلر) « حضارة الموجة الثالثة»[٧] أي حضارة ما بعد الصناعة التي هي الموجة الثانية التي أعقبت الموجة الاولى وهي مرحلة الزراعة٠ان هناك تناقضات منسية وهي التناقضاتالقائمة مابين أساليب التربية القديمة وأساليب التربية الحديثة وهناك تناقض مابين الأسرة التقليدية والمدرسة ، كما ان هناك صراع القيم وصراع الأجيال ٠

وان الغزو الثقافي يلعب دوراً خطيرا في استلاب الثقافة والتراث، فعلينا أن نقف وقفة طويلة متفحصة لهذه الامور ودراسة واقع التنشئة ومصيرها عندنا في خضم هذه التغيرات[٨]٠

---

(٧) توفلر ، الفن ، حضارة الموجة الثالثة ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ١٩٩٠ .

(٨) النوري ، د. قيس نعمة ، آفاق التغير الاجتماعي ، النظرية والتنموية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ مطابع التعليم العالي ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

انـا يجب ان نوظف القيم والأعراف والاسس الروحيـة والمؤسسـات لتقوم بعملية التغذية التربوية او التغذية في مجال التنشئة فتكـون لدينـا مدخـلات In put التي هي الاسس الروحية والقيم والاعراف وجهـد الأسرة وجهد المؤسسات الاخـرى التي تستنتـج المخرجـات Out put والتي هي الأسس السليمة لتنشئة سليمة وتكوين الجيل الايجابي المنتـج وتكوين العقلانية والواقعية والتفكير العلمـي لدى الاسـرة والمدرسـة والمؤسســة التربوية والأبناء .

التوصيــات

أولاً : الاهتمام بالاسرة باعتبارها أولى المؤسسات التربوية ودعمها مـادياً لكي تتمكن من توفير أسباب الحياة الضرورية وبما يكفـل تنشئـة أبنائها تنشئة سليمة .

ثانياً : توفير السكن الملائم للأسرة حيث ان عدم توفر السكن المـلائم لـه انعكاسته السلبية على الصحة البدنية والنفسية للابنـاء ويؤدي في حالات غير قليلة الى الانحراف .

ثالثاً : الاهتمام بتوعية الاسرة فيما يتعلق بأساليب التنشئة السليمة .

رابعاً : الاهتمام بالمؤسسات التربوية ودعمها ماديـاً وتوجيههـا نحو الأخذ بالمناهج السليمة وأساليب التدريس السليمة التي تساعـد على قيـام تنشئة سليمة في المجتمع .

خامساً : الأخذ بنظر الاعتبار التغيرات الجارية في المجتمـع وآثارهـا على التنشئة عند دراسة قضايا التنشئة أو التخطيط لها .

سادساً : تشجيع أساليب التفكير العقلاني والواقعي العملـي لدى الأسـرة وكذلك ضرورة قيام المدارس بتنمية هذا النمط من التفكير لدى الطلبة.

سابعاً : ضرورة اسهام الجامع بدور فاعل في عملية التنشئة السليمة .
ثامناً : توجيه المؤسسة الاعلامية لكي تضطلع بمسؤولياتها تجاه التنشئة بحيث تؤدي برامجها ونشاطاتها الى قيام التنشئة السليمة في المجتمع .
تاسعاً : أن تساهم المؤسسة التربوية والدينية والاعلامية بمواجهة الآثار السلبية للحصار على التنشئة .

المصادر العربية :

١ ـ توفلر ،الفن ، حضارة الموجة الثالثة .
٢ ـ النوري ، د. قيس نعمة ، آفاق التغير الاجتماعي ، النظرية والتنموية .

المصادر الاجنبية :

1) Benedict, Ruth. Patterns of Culture Routledge and Kegan Paul Ltd, London 1963.
2) Brown, Radcliffe. Structure and Function In Primitive Society, London, 1952.
3) La Piere, Theory of Social Control, New York, 1954.
4) Parsons, Talcott, The Social System, The Free Press, Illinois, 1952.
5) Williams, Thomas Psychological Anthropology, Mouton publishers, Paris, 1957.

FAMILY AND SOCIALIZATION

The Anthropological Dimension

Dr. Khalid Al-Jabiri
Department of Sociology
College of Arts
University of Baghdad

ABSTRACT

This reasearch discusses the family's role in Socialization from the Anthropological Perspective and thus it deals with family as social unit that developed during history.

Accordin to the "Structural - Functional Anthropological theory" it has its function : Tran smitting culture , and Socialization.

The Family and the Social Bringing - up
(A Psychological Perspective)

Dr. TAHA ALNA'AMA
(Psychiatrist)

ABSTRACT

The family plays a vital role in the social bringing—up of the young. due to the fact that the role is played during the critical early years of the child's life; when the brain is concluding its growth and establishing its basic behavior patterns and responses. It has been suggested that the family carries out, in this context, two major tasks. The first could be summarized as to bring — up a secure and emotionally stable individual. The second is to provide information about life to enable the individual to master the necessary adaptive social . skills Childhood, as important as it has been pointed out, merits the provision of resources for child psychology, psychological family counseling and pediatric psychiatry.

THE ROLE OF IRAQI FAMELY IN SOCIALTZATION

Dr. Nahideh Abdulkareem

ABSTRACT

Family and socialization are the two significant factors that caused social and cultural continuity and personality formation. The research dealt with family's role in socialization with special reference to the present circumstances specifying the difficulties all of which would enhance the effectiveness of the role , all through out a theoretical fromework, with conclu - sion and recommendations.

Family and Socialization

— Educational Aspect —

Dr. Musare' Al-Rawi

ABSTRACT

The educational aspect considers Family as the basic foundation of society. Family is the first environment, which interact with heredity factors to form the individual personality . Its role is to transfer social heritages and knowledge therefore family p'ays a good and active role in process of social actions and education. There is a need for more cooperation between Family and education institutions for building Child personality through (PTA.)

Summary of the research entitled ' Grammar in our Educational Institutions' (Methods of its teaching and subject matter)

Kasid Y. Al-Zaidy

ABSTRACT

After along experience in the field of education, the researcher asserts the necessity of using, standard Arabic in the process of learning, as early as the primary stages of education. The material of grammar on which the research was based, should take into consideration a number of aspects, one of which is to avoid in comprehensable memorization. Second: learners (beginners in particular), should avoid the logicization of grammatical rules. A third imortant aspectis the avoidance of grammaticalization of disapproved matters. Fourth. Itis of great importance to take the Qura'an based grammar as the prime reference in addition to its styles.

Last, it is valuable to avoid invalid assumptions basicly applied by grammarians. The exaggerated use of replacing devices from the Qura'an is very risky. Finally, when studying grammatical meanings they should be referenced to the Qura'an.

Cultural Globalization
and its Political Impacts on the Regional State

Dr. Gazi Rababah
Jordan University - Amman

Abstract

This study tries to assess the impacts of cultural aspects Globalization on the future of the state national identity and religious beliefs. Although there was a universality of cultural as ancient as time, but the Globalization of culture within the current communication revolution may lead to the dominance of one culture over the present pluraity of cultures. A!so, if Globalization continues to and here to the principles and values of Amer:can culture. This trend will lead to the distruction of National cultures of other peoples and probab!y creat ac:volizational dash between Nations. Arab Nation is warned to protect its National and religions values in time were the world is leaning toward mutual interdependence between the weak and the strong.

The Educational content of Environmental
(Conservation in the Curriculum of Arab colleges of Nursing)

Prof. Muna Younis Bahri

College of Education Ibn Rushd

Baghdad University

Feb. 18th, 2001

ABSTRACT

Arab Colleges of Nursing put agreat emphasis on environmental subjects in its curriculum.

The present research aims at identifying the educational content of environmental conservation in its Text book; quan - tatively and qualitatively, depending on the method of content Analysis A tool for classifying thema was prefared. It covers (7) Categories; Safety, Maintanance, prevention control, appreciation, utilization, improvement. Among conclusions is the unstability of thema across classes, the little emphasis on the beauty of environment; the stoppage of enviroment deteruation; the national, regional and global cooperation of improving health environment.

THE RED SEA

Dr . Ali M. Maiyah

Honorary member. Iraq Academy

ABSTRACT

Strategic Geography Strategic geography is a branch of military geography that deals with war plans, military Campaigns and military movements. The Red Sea is a region of conflict and of constant change. It is not only an oceanic shipping thoroughfare connecting southern seas with northern ones, but a terminal for some Arab Gulf oil and that coming recently from Yemen and Sudan inland oil fields. Pipelines carrying oil have created a new set of strategic "hot spots" in places like Djibouti and Suez. Djibouti is terminus for the railway to Addis Ababa. It occupies an important stratigic position at the narrow entrance to the Red Sea through the Straits of Bab -Al- Mandeb. Because of the importance of its natural resources and its Strategic significance the Red Sea is aregion the world connot afford to ignore.

Some Trends in Educational Supervision

Hikmat. A. AL Bazzaz
Prof. of Education
Prof. of Supervision

ABSTRACT

Supervision is considered as an important part of the educational process. It is also an important element of the educational System. In spite of its effects on improving the educational process (directing, conducting, and evaluating), it still needs more efforts to clarify its trends even to those who work in the field of education.

In order to give a clear picture to the role of supervision, the present study aims at:

a. Explaining the historical roots of educational Supervision, as well as its necessity to the educational process.

b. Identifying some aspects of its qualitative development in Iraq.

c. Recognizing the most important modern trends in the field of supervision which may enable the supervisors to step up their efforts and efficiencies.

The Arabic Universities ; The Present State and the Prospectives

By: Najih El-Rawi

ABSTRACT

The paper deals with the present state of the Universities in the Arab Home land.

The increasing number of students attending the Universities affecting the quilty of education. The University goals are:

Transfer of Knowledge, generation of knowledge, and serving the public.

Our Universities are short of generating the knowledge, due to shortage in the teaching staff, financial and social problems Some suggestions to improve University education are sited.

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 **Fax : (964 - 1) 4254523**

E-mail : aos@uruklink.net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ٢٠٠١



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 3

Vol. 48

1422 H—2001